هَمَسَ

في

أُذنِها...

جمعة سعيد السّمان



هَمَسَ في أُذنِها

جمعة سعيد السّمان

دار الجندي للنشر والتوزيع

القدس

00972022340035

info@aljundi.biz

www.aljundi.biz

الطبعة الأولى (2014)

صورة الغلاف

الفنانة رشا السرميطي

هَمَسَ في أُذنِها...

جمعة سعيد السّمان



الفهرست

لوثة الهوى

علا صوت الأب غليظا خشنا:

- تبكي من أجل فتاة..؟؟ أنت عار على الرجال.. كفكف دمعك لا تفضحني بين الرجال.

قال الابن ملتاعا:

- أحبّها يا أبي.. رفع اللّه عنك شرّ الهوى.. كم قامت من أجله حروب.. وكم أطاح بممالك.. وأهان رجالا!!

قال الأب وقد زاده قول ولده غضبا:

- واللّه من فعل به الحبّ هكذا.. ما شرب من ثدي حرّة.. ولا كان له شأن بين الرجال

غدا نذهب الى سوق النخاسة..

وأبتاع لك جارية أكثر منها فتنة وجمالا..

قال الإبن والصوت فيه تذلّل واسترضاء:

- يا أبي القلب هو الذي اختار.

سأل الأب لا يقيم لقول ولده وزنا ولا اعتباراً:

– متى كان للقلب حضور في مثل هذا المجال..؟!!

لا تتفوه بمثل هذه المهازل.. حتى لا تصغر في عين الرجال.

قال الولد يسأل باستغراب:

– ألم يداعب الحبّ قلبك في يوم من الأيام..؟؟

قال الأب بثقة الرجال أصحاب المال:

- الذي أحبّه أشتريه بالمال.. أشطب نداء القلب.. وتبقى لي مكانتي بين الرجال.

قال الولد مقهورا يقدّم البرهان:

– أبي ألم يكن قيس "مجنون ليلى" رجلا.. وكذلك قيس لبنى..

وكثير ممّن هم على شاكلتهم من الرجال..؟!

قال الأب متشائما:

– الموت يطولك خير من عار الجنون يشوّه شجرة العائلة.. ويلحق عارا بالأنساب.

ذهب الولد الى أمّه يسأل.. والدمع في عينيه:

- حيران أمّي.. ألم يكن لكلمة الحبّ بينك أنت وأبي ذات يوم مكانة أو اعتبار..؟؟

قالت الأمّ يحيّرها السؤال:

- والله يا ولدي لا أعرف عن ماذا تتكلم.. كان يحضر كل ما يحتاجه البيت..

كان رجلا وما قصّر بالتزام.. والشهادة لله ما رأيت منه ما يعكّر صفوي.. كان خير الرجال.

زاد وجع الابن مع مرور الأيام.. لام الأب ضعف ولده.. وزاده ذلاً واحتقاراً.

الى أن ضاق صدر الأب بولده.. فذهب الى صديق اشتهر بالخبرة والتجربة والحكمة..

فنصحه أن يزوج ابنه من الفتاة التي يحبّها..

إلا أن الأب أبى واستكبر.. فالفارق في النسب بين العائلتين كبير..

الى أن ازداد تعلّق الإبن بالفتاة.. فأصابته لوثة الهوى.. فهرول الوالد فزعا الى صديقه المجرّب الحكيم ، يشكو إليه حال ولده.

صعب على الرجل الحكيم حال صديقه.. فتنهّد ينشد:

إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى.. وأذللت دمعا من خلائقه الكبر.

يا أخي إذا كان الهوى قد أدمع عين فارس العرب.. أبا فراس الحمداني.. أتستكثر على ولدك البكاء يا رجل؟!

حواء والحوت

حكاية قديمة قدم التاريخ.. لا أعرف نسبة الحقيقة فيها.. وما أنا سوى راوٍ.. ليس لي في العير ولا في النفير.. وإذا كان لحواء اعتراض.. فلتبحث في بطون التاريخ.

هما حبيبان.. يتحصّن كل منهما بحجاب.. خوفا من عين حسود.. أو غيور.. أو حاقد.

ما رأتهما عين إلا اشتهت وتمنّت.. إن كان شابا يشتهي أن يكون له مثل هذه الحبيبة..

وإذا كانت صبيّة.. تشتهي أن يكون لها مثل هذا الحبيب.. كان لهما دوما صخرة لقاء تجمعهما عند شاطئ البحر.. والموعد بعد أن تتوارى الشمس في عمق البحر.. ويسود الدنيا غروب.. ويشتعل الأفق بلهب الشفق.. يعطي لون ماء البحر لون خدّ وردة حمراء.. الى حلول الظلام..حيث يكون القمر والنجمات في الإنتظار.

كل يرمي بخيوط نوره تصطاد البسمة والضحكة والكلمة الحلوة ثم الغوص داخل العمق..

قلبان لهما صفاء ونقاء لؤلؤة بحرية جميلة بالغة الثراء.. دخل الحبيبان البحر.. والحب قد شغلهما عن الحذر والإحتياط.. كان الفرح بادياً.. والضحكة تعلو على صوت الموج.. لها رنين وطول بقاء.

قالت الحبيبة تمازح الحبيب.. والقصد امتحان واختبار:

- حبيبي لو أنه صادفنا حوت الآن.. ماذا ستقول له؟

أقول له ابتلعنا نحن الاثنين.. دونك ليس للدنيا طعم.. والحياة تكون شقاء.

غضبت الحبيبة.. قالت والصوت فيه عتاب:

لو أنك تحبني.. ما تمنيت لي الموت في بطن حوت.

راجع الحبيب نفسه:

- إذن أقول له ابتلعني أنا.. ما أسعدني أن أكون لك فداءًا!

غضبت الحبيبة.. تتركني في هذه الدنيا وحدي.. وأنت تعلم أنني من غيرك لا تطيب لي حياة؟

يالك من شقيّ يتمنى لي العذاب والشقاء.

فجأة صخب البحر وعلا موجه.. ودخل بهما الأعماق.. والعودة باتت من سابع المستحيلات.. وبات الموت أقرب إليهما من أي

أمل في الحياة. حضن الحبيبان بعضهما.. يأملان في ربوع الجنة لقاءً.

وإذا بقارب يقترب منهما.. وصوت الربّان يعلو.. هو شخص واحد فقط مكتوب له النجاة.. ولكما الإختيار.

أخذ الشاب يفكّر والحب صراع في قلبه.. بين روحه وروحها يختار. إذا بالفتاة تمسك بطوق النجاة تلفه حول نفسها.. والبحارة تشدها الى المركب.. تردّد:

- يا روح ما بعدك روح.. إذا سبقتني الى الجنة حبيبي.. لا تختر حورية غيري أرجوك انتظرني.

النساء أولا

عزيزي القارئ صباح عطر البراءة التي ترفع عني الملامة من الأخوات اللواتي اعترضن ولمنني على قصة المرأة والحوت.

وما كنت سوى راوٍ ليس لي في العير ولا في النفير.. وقد فوجئت بصوت إحدى الأخوات -على الهاتف- مليء بالملامة.. تتهمني بالعنصرية والقسوة والتجنّي على المرأة.

وكانت قد نبشت الماضي تدعم قولها بقصّة كنت قد نشرتها على صفحة الفيس بوك قبل أربعة أيام.. أنها كانت أكثر شرا وأذى وافتراء على المرأة.. التي أنا عدوها من قصة المرأة والحوت

ladies first.. النساء أولا.

هما حبيبان كان قد وصل العشق بينهما منتهاه..أشرقت الدنيا.. واكتست بالربيع الأخضر.. وتفتّحت براعم بساتينها..وأطلقت شذى عبيرها.. تعطّرالدنيا.. تحيّة وإكراما لهذا الحبّ..الذي استمر يعكس الأمل.. والوجه الضاحك للدنيا مدى سنين..الى أن جاء يوم لعب فيه القدر لعبته.. أخذ المال.. وساء الحال.. واستبد الظلام يعكّر صفو حياتهما..

صعب عليهما أن يعيش هذا الحبّ والعشق عيشة الحرمان والإذلال.. فقررا أن ينتحرا.. اعتليا صخرة الإنتحار..قالت الحبيبة وأسى المرارة يبحّ صوتها:

- حبيبي الق بنفسك أولا تشجعني.

أطاع الرجل الحبيب المسكين ولبّى طلبها. إلا أنها وفي لحظة مراجعة حساب مع نفسها تراجعت.. ونزلت عن الصخرة فرحة بنجاتها.. وعاشت العمر الطويل سعيدة بحياتها..

إلا أن الرجال بعد ذلك فطنوا لغدر حواء ومكرها.. "فلم يجدوا سوى مقولة "النساء أولا" **ladies first** يأمنون بها شرهنّ.

عجيبة..

قالوا .. وأنا راوٍ لم أر بعيني.. ولا أشهد بحقيقة ما سمعت.. إنما هي كلمات مبعثرة لملمتها

عن ألسنة أهل ذلك العصر.

قالوا أن أفعى ضخمة كبيرة في العمر.. نبت لها قرنان.. أي أن عمرها تعدّى مئة عام.. عاشت في خرابة بعيدة عن مركز القرية.. تسكن في بيت تعبت وشاخت حجارته.. كل حجر يحمل الآخر فوق ظهره على ما يزيد عن مئة عام.. فبدأت حجارته تتهاوى وتنهار.. كانت الأفعى شريكا تسكن مع أهل هذا البيت.. دون خوف أو ريبة.. لا يتوقعون منها أذى أو شرّا.. فهى الجارة للجدّ قبل الإبن والأب والحفيد.. كانوا يرونها .. ولم يحاولوا ولو مرة أن يستفزّوها أو يؤذوها.. يؤمنون بالمثل الذي كان شائعا في تلك الأيام: (عند العقرب لا تقرب .. عند الحيّة افرش ونام).. وكانوا يسمونها "المبروكة".. مرّات ومرّات رأوا أحد أطفالهم رأىَ العين يداعب الأفعى ويعضّها بأسنانه الثلاثة.. اثنان في الفك العلوي والثالث في الفك السّفلي.. وما كانت لتنفر منه أو تؤذيه.. عاشت تلك الأفعى مع أقدم سكّان البيت.. والأطول عمرا ممّن ما زالوا أحياء فيه بمحبة ووئام.. وملتزمين بمعاهدة صلح ومحبة وعدم اعتداء.. إلاّ أنه حدث أمر غريب بعد طول هذه السّنين..حيّر العلماء والخبراء.. والحواة

الذي عاشوا مع الأفاعى العمر الطويل. جميع أهل القرية تحدّثوا حتى تعبت ألسنتهم وأجهدت عقولهم .. وما اهتدوا الى تفسير....هذا الطفل الصغير صاحب الأسنان الثلاثة.. طالت يده فأوقعت إناء زجاجيا فكسره.. أمسك الأب بالطفل وضربه على ظهر يده.. تألم الطفل صاح وبكى.. وإذا بالأفعى تهيج وتهجم على الأب تلدغه ..وتفرز من غدتها سما اختزنته منذ سكنت هذا البيت.. مات الأب وهربت الأفعى..بحثوا عنها في الخرابة والبيت فلم يجدوها.. وما وقعت عليها عين بعد ذلك أبدا.. هجرت الدار والخرابة.

قالوا أنها كانت تحب الطفل.. حين استفز بكاؤه عاطفتها.. فانتقمت ممن تسبب له بالأذى.

ضحك رجل يستهزئ بهذا الكلام.. وعلّق ينتقد صاحبه:

تتحدّث وكأن للأفعى عقلا يفكّر.. أو عاطفة أمومة ذات حساسية عالية.. تصل حدّ القتل.

ردّ عليه رجل آخر معترضا:

- لماذا تستهزئ بكلام الرجل.. ألم تسمع بالغزالة التي أرضعت طفلا..؟

أو بالذئبة التي درّ الحليب من ثديها.. حين سمعت بكاء طفل جائع يتحسّس بشفتيه ثديّ أمّ ميّته..؟؟

علا صوت رجل رابع:

- خرافات.. واللهّ لا يصدق هذا سوى مجنون.. الحقيقة أنني رأيت المرحوم والد الطفل

يكسّر بيض الأفعى في خمّ الدجاج تحت كومة القش.. فانتقمت منه.

انقسم الجماعة بين مؤيد ومعارض.. وعلا الصوت.. وازدادت قسوة الكلمات والتّهم.. للدرجة التي ما عادت الكلمة تشفي غلّ المتجادلين.. وهمّ الطرفان بالإستعاضةعن الكلمة باستعمال اليد

الى أن علا صوت المختار:

يا إخوان إن فصل القول عند شيخ القرية.. وأشار إليه يجلس في صدر الديوان:

- ما رأيك يا شيخنا فيما قالوا.

قال يتحسّس بكف يده لحية بيضاء طويلة.. تصل حتى أسفل صدره.. وحّدوا اللهّ يا إخوان..

ما أكثر الأشياء التي لا نفهمها في هذا الكون.. سرّها عند العالم العلاّم العظيم..

وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلا.. صدق اللهّ العظيم.

عودة الكابوس

تعدى الليل منتصفه.. الدنيا ظلام.. هاجر القمر من سماء المدينة.. تمسكت بأذياله النجمات

أطبق الغيم الكثيف على عنق الفتاة.. فضاق الصدر وعزّ الهواء.. علا صوتها صراخا

أفزع الرعد.. وتوارى خلف الغيم القمر شاحبا.. والنّجمات غمسن رموشهن في كحل الليل..

فعمّ الدنيا رهبة وساد سكون. كابوس.. كابوس يطبق على عنقي.. لولا أنني أمسكت بذيل الروح. كانت الملائكة تزفّني الآن في أعالي السماء.. ضاقت الدنيا في وجه الفتاة.. ذهبت الى الكنيسة.. جلست على كرسيّ الإعتراف:

الذنب كبير.. كيف الخلاص يا أبي..؟؟

قال الراهب:

- طهّري نفسك بالتّوبة يا بنيتي.

عادت الفتاة عازمة على التوبة والخلاص. نامت.. وإذا بالكابوس جهنم.. والنار انفجار بركان. .تسبح فيه.. والنار تحيط بها من كل مكان.. استعاذت باللّه من الشيطان..

لكن اللسان كان يابسا والحلق جافا.. أمسكت بكوز الماء تحاول أن تشرب بعض قطرات.. وإذا

دويّ الرعد انفجار.. أرعب الفتاة.. وأسقط من يدها كوز الماء.. ودقات القلب صراخ آهات

كان صوت المطر يهطل من الغيمات زخّات زخّات.. الدنيا ظلام والقمر والنجمات في الطرف الآخر من السماء. تعرّت من ملابسها وخرجت تقف تحت ماء المطر الطهور وأطالت الدعاء

غسلت الذنوب.. ولبست ثوب الطهر.. كأنها الوليد من رحم أمّه نزل ومعه البراءة والنقاء

عادت.. ودخل معها السلام والأمان .. نامت نوما هادئا.. ما عرفته عيناها منذ سنوات

لكنه الشيطان..عاد وزيّن لها الذنوب.. فنامت في حضن الخطيئة.. وعاد لها الكابوس أشرس ممّا كان.. فعاد يأكلها القلق.. والخوف سيطر..فذهبت تجلس على كرسي الإعتراف.

قال الراهب يشفق عليها:

- أعلنت التوبة غفر اللّه لك.. عدت الى الخطيئة.. عاد الشيطان ومعه الكابوس يؤرقك.. ويقضّ مضجعك..شرط التوبة أن تكون توبة نصوحا.. لا رجعة فيها يا بنيتي..

تقربي من اللّه فيها.. وستنعمين بالراحة مدى الحياة .

النصيحة بجمل

نصيحة لا تفاصل .. ولا تسأل عن ثمن سلعة.. وإلا سيصيبك ما أصاب الأستاذ حسن

الرجل سريع الغضب.. العصبيّ المزاج..الذي سرعان ما سبقت يده تفكيره..

وصاحبه الندم مدى عمره.

وقف الأستاذ حسن أمام بسطة خضار.. أتعسه لسانه حين سأل عن ثمن كيلو البندورة وشعر بإرتفاع الثمن.. حاول أن يخفّض من السعر قليلا.. وبين أخذ وردّ.. طال لسان صاحب البسطة عليه.. ورماه ببعض كلام جارح.. لم تتحملـه كرامة الأستاذ حسن.. فرفع يده ولطمه على وجهه.. لم يثر صاحب البسطة..لم يحتدّ..لم يشتم أويلعن.. هما كلمتان فقط وجّههما بلسان واثق قادر.. غضبت عليك أمّك.

تدخّل بعض الحضور.. وكان من بينهم صديق للأستاذ حسن.. فأوعز له أن يذعن ويبادر بالصلح.. فالرجل باعه طويل بالشرّ.. سمع الأستاذ حسن النصيحة.. وتقدّم من صاحب

البسـطة معتـذرا.. أخطـأت ومنـك السـماح.. اللهّ يلعـن الشيطان..وقدّم وجهه من الرجل .. هيا خذ بثأرك واضرب بـدلا من اللطمة اثنتين.. إلا أن صاحب البسطة أبى واستكبر وعـاد يهـدّد.. جـاءك غضـب الوالـدين.. وأبى الرجـل أن يصـفح أو يسامح.. فارتدّت يد الأستاذ حسن خائبة تحمل وزر فعلتها.

بعد صلاة العصر بقليـل.. وإذا برجـل مـن أهـل الخير صـديق للأستاذ حسن..يطرق الباب يفاجئه

ماذا تفعل أستاذ حسن.. يجب أن تذهب ومعك جاهه من أجـل أن تأخـذ "عطـوة".. وإلا الأخـذ بالثـأر سـيكون مـن حقّهـم.. وسيكون الرد وخيماً.. فهم أشداء أقوياء قادرون.. وعددهم مـن الرجال كثير..ثم علا صوت الرجل يستحث الأستاذ حسن:-

هيا يا رجل لقد شارفت الشمس على المغيب.

أخذ الأستاذ حسن يدور حول نفسه.. لا يدري ماذا يفعل.. فهـو رجـل مسـكين .. لا ظهـر ولا أهـل ولا سـند.. يقـف نـدا للخصم....ارتدى ملابسه بسرعة وذهب مع الصديق.. يجمعون جاهـة مـن أهـل الإصـلاح.. وذهبـوا الى بيـت المعتـدى عليـه.. فوجدوا الرجال بالإنتظار.

بعد جدل طويل بين أهـل المعتـدى عليـه.. ورجـال الإصـلاح .. وأخذ وردّ.. اتفق الطرفان

على صلح غداء.. يتكلّف به الجاني الأستاذ حسن...ركض الأستاذ المسكين بين الأهل والأصدقاء.. يستدين ثمن الذبائح صلح غداء تنتهي بعده المشكلة.

اجتمع الرجال على مائدة الصلح.. وساد الجلسة لسان الأخوة والصلح والمحبة...مضى الشهر يتلوه الشهر.. ثم السنة تتبعها السنة والأستاذ حسن يقتطع من راتبه نقودا.. وعن فم عياله غذاءا.. من أجل أن يسدّد دينا كان في غنى عن ذلّه.. لو أنه استعاذ بالله من الشيطان.. وعدّ للعشرة.

لماذا؟؟؟

هما صديقان.. ضاق بهما الحال.. فقررا أن يبحثا عن الـرّزق في بلاد غير هذه البلاد بعد جدل طويل.. وأخذ وعطاء.. استقرّ الرّأي على الرّحيل الى أمريكا.. بلد الدولار والثراء.. كان لكل منهما طباع وصفات.

الأول: كان كشرا..عبوسا.. ينطق وجهه باللؤم والقسوة.. بخيل بالضحكة.. شحيح العطاء..

استوطن نفسه وعقله مبدأ..(معك قرش تسوى قرش).. ومن منطق هذا المثل أخذ يتعامل مع الدّنيا.. ومن خلاله أيضا كان يضبط خط سير خطواته.

أمّا الثاني: فكان سمحاً بشوشاً مرحاً.. لا تسقط الضحكة عن فمه.. كريما معطاءا..

مفتوح الجيب.. والمبدأ..(اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب).. واطعمني اليوم واشنقني بكره)...احتارت الدنيا معهما.. فما أمكنها أن تجمع بين الإثنين في بيت واحد.. الطّباع مختلفة.. والنفوس أكثر اختلافا.. فهما كريم وبخيل..

متسامح ولئيم.. افترقا وذهب كل منهما يبحث عن رزقه في طريق.

مضت الأيام تتبعها السّنون.. مرض الصّديق الطيّب الكريم.. فذهب الصّديق البخيل لزيارته.. فاستغرب حين وجد المرح والفرح والسعادة مرسومة على الوجه.. وكذلك الضّحكة لا تسقط عن الفم.. والكلام المتفائل الجميل يتسابق على اللسان، فقال واللهجة ملؤها العجب والإستغراب:

- لعل المال الكثير يسعدك وينسيك المرض.

قهقه الصديق وقال:

- واللّه يا صديقي أنني لم أدّخر من المال ما يقيني شرّ جوع غدي...اتسعت عينا الصديق وازداد دهشة واستغرابا.. يكاد لا يصدّق:

- جوع ومرض وفقر..وتضحك وتقهقه..؟

قال وما زالت بقايا ضحكة تلمع على شفتيه:

- لا تستغرب يا صديقي.. أنا اضحك على الدّنيا.

قال الصّديق والدهشة والإستغراب في ازدياد:

- كيف ولماذا.. ؟؟

هربت الذّاكرة بالصّديق الطيّب لحظة.. ثم أخذ يواصل الحديث :

- كانت الدّنيا تنتظر موتي على أحرّ من الجمر.. كانت قد اعطتني الكثير وصبرت مدى سنوات عمري.. تنتظر أن تكسب صفقة إرثي.. وإذا بها تدور حول نفسها تائهة مندهشة.. حين علمت أنني لا أملك شيئا تأخذه مني...ضحكت على الدنيا يا صديق.. سعدت وانفقت كل ما أعطتني.. صعب عليّ ان أترك متع الحياة وبحر إغراءاتها ومباهجها ومسرّاتها.. وأحرم نفسي لأجل أن ترثني .. وتنعم بتعبي وعرقي، ثم واصل الحديث وقد هرب من الدنيا.. وهربت عيناه عن أعيننا ينظر الى البعيد:

- أنظر.. أنظر هناك بعيد.. بعيد في زاوية الكون إني أراها تبكي... ثم أغمض عينيه وأسلم الرّوح.

ذهب الصّديق حزينا.. يفكّر في حكمة استقاها من حياة صديق عمره الطويلة، فتح جيبه وأجزل العطاء.. يواجه الدنيا.. ويخوض غمارها إنسانا جديد لم تعرفه الدّنيا من قبل.. نهل من ملذاتها.. وسبح في بحر إغراءاتها حتى الثّمالة.. إلى أن أنفق آخر قرش في جيبه.

التفتت إليه الدّنيا شرسة عنيدة.. وكانت شديدة الحساب.. قاسية العذاب، تشرد ومرض وجاع.. ومدّ يد ذلّ السؤال.. حتى

اشتد عليه المرض أكثر، فأصابه يأس .. وأخذ يزحف الى الموت باشتياق.

إلا أنّه قبل أن يفارق الحياة.. سمع الدّنيا تضحك.. فاغتاظ يهمس.. والحسرة في القلب نارٍ:

رحم اللّه صديقي.. علّمني الكلام.. ونسي الأفعال. أعطاني السيف.. ولم يعلّمني النّزال.

ضحك على الدّنيا.. ولم يعلّمني كيف أتّقي شرها.. وأحمي نفسي من سخريّتها وأذى ضحكتها.

الأرملة اللعوب

هـو شـاب.. كـان حظّـه في الإرث عـظيمـا.. في المـال والعلـم.. فوالده كان شيخ العطارين..

توفي وترك له مالا كثيرا.. وعلما في العطارة عظيما...يعيش في الدار وحيدا.. توفيت أمّه قبل أبيه بعدة سنين.. كان شابا دمثا خلوقا كريما، له السمعة الطيبة عند أهل حيّه.. والمحبة والثقة عنـد التجـار في سـوق العطـارين..فهـو التـاجر الصـادق الأمين....كان له جارة أرملة ..شبقة لعوبا..لها مع عالم الرجال حكايـات ومواويـل.. معجونـة بمـاء الشـياطين، تقرّبـت إليـه بالعطف والحنان.. والحجّة أنه يتيم، طرقت البـاب وقـدّمت لـه الطعـام شـهيا لذيـذا.. تلـبس العبـاءة محتشـمة.. والمنـديل محكم على الرأس .. يحضن شلال حرير، أخـذ الطعـام مـن يـد الطهر.. فالكلام فيـه تقـوى وصـدى صـوت المـؤمنين، تنـاول الطعام حامدا شاكرا.. وغسل الصحون.. وذهب يطـرق بابهـا، تناولت منه الصحون عاتبة.. ما كان عليـه أن يتعـب ويكلـف نفسه بغسيل الصحون..وحذّرته بدلال الأنثى اللعـوب.. أنهـا ستغضب منه إذا عاد وكرّر مثـل هـذه الفعلـة.. التيهـي مـن اختصاص ربّات البيوت.

جاء الصباح.. طرقت الباب وقدّمت له طعام الإفطار وإبريق الشاي...أخذ طعام الإفطار حامدا شاكرا.. وطرق بابها يردّ لها الصحون مغسولة نظيفة، وكم كانت ثورة غضب الدّلال شديدة.. عندما رأت الصحون مغسولة نظيفة، كان العتاب شديدا.. ولم تتركه إلا حين أخذت منه قسما.. أن لا يكرر مثل هذه الفعلة التي تغضبها.. وقبل أن يلقي عليها التحيّة.. ذاهبا الى عمله.. استوقفته تسأل:-

الى أين..؟؟

- قاصدا باب الكريم.. الى عملي.

قالت والإصرار في لهجتها:-

ليس قبل أن تحضر كل ما اتسخ من ملابسك ويحتاج الى غسيل.

حاول أن يتمنّع.. ولكنها أصرّت تارة بالدلال.. وتارة بحجة حق الجار على الجار، ممّا اضطره أن يحضر لها بعض ما اتسخ من ملابسه.

مرت الأيام وهي تتعامل معه بنفس الأسلوب.. حتى ألفها.. واستأنس بها.. وشعر أنه تخلص من فراغ الوحدة.

شعرت الجارة بميل وإرتياح الشاب لها.. فغيّرت سلوكها..وانتهجت أسلوبا آخر...أخذت تطرق بابه تقدم له

طعام العشاء دون عباءة.. وشلال الحرير مفرودا على الصدر والكتفين.

أما في الصباح.. وكانت قد طلبت منه أن يحضر المتسخ من الملابس ، فأحضر لها شيئا بسيطا.. فتصنّعت الغضب بدلال الأنثى .. واندفعت داخل بيته وصوت العتاب مرتفع :-

أنا لا أثق بك سأدخل وأتحقق بنفسي.. فلا بد أن هناك الكثير .. ولكنك تخجل مني...دارت داخل البيت.. أخذت البشاكير والمناشف.. وغطاء الفراش والوسائد.. ورمته..بنظرة عتاب.. كان ظنّي في محلّه.. لن أسمح لك أن تخجل مني مرة أخرى...جاء المساء .. طرقت عليه الباب.. ولكن في هذه المرة لم تكن تحمل صينية الطعام، فقالت وفي عينيها توسل ورجاء:-

أدعوك لتتناول طعام العشاء الليلة معي، حاول أن يعترض ولكنها الأنثى.. وفن استعمال السلاح.. الكلمات تقطر شهوة.. وفي العيون غزل إباحي.. والدلال غنج.. فاستسلم الشاب وألقى السلاح.. الحصن هدم، والمقاومة انتهت.. وذاب العيب والحياء والخجل في رذيلة الشيطان.، وباتت الحياة سهرا في الليل.. والنهار نوم وساعات شوق وانتظار..حتى يخيّم الليل.. ويسرعان الى أماكن اللهو والفجور.. حيث الخمر وطاولات القمار.

هزل جسم الشاب وأصبح خيالا.. وكذلك جيبه فرغ من المال.. باع حانوت العطارة..وأتبعه بالبيت الذي آواه وربّاه.. فما عاد

عنـــده الصـــحة.. ولا المـــال....ردّت لـــه الجميـــل أيامـــا.. تطعمـــه وتسـقيه..وفي بيتها تأويه.. الى أن فاض بها الكيـل..وارتـدت الى أصلها غادرة ابنة ليل.. ركلته خـارج بيتـها.. ولم تعـد تتعـرف عليـــه...تـــاه الشـــاب في الحيـــاة مشـــردا ذلـــيلا.. والحقـــد يمـــلأ قلبه....ضاقت البلاد في عينيه.. حـتى اسـتطاع ان يجمـع ثمـن تذكرة سفر الى أمريكا..

هناك تعرف على عصابة إجرام تخصّصت في ترويج المخدرات.. وكان الشاب جريئا

اعتلى سلم هيكليّة مراكز هذه العصابة بسرعة.. وجمع مـن المال أرقاما تشبه الخيال..

ولكنه بالمقابل.. ارتكب من الجرائم ما جعله مطلوبا للشرطة.. والحكم قد يصل حدّ الإعدام

فعاش الخوف متخفيا .. مشردا.. بعيدا عـن الأنظـار .. لا يثبـت في مكان.. وليس له عنوان.

وكلما مضت الأيام ونظر الى نفسه مجرما.. مشردا.. مطلوبا للعدالة.. لا بيت ولا استقرار

عزّت عليه نفسـه.. وزاد حقـده علـى الجـارة.. وزاد إصـرارا علـى الإنتقام.

الى أن قرّر ذات يوم أن يعود الى البلاد.. وينتقم مـن الجـارة الـتي أوصلته الى هذه الحال.

كانت الشرطة تتابعه.. وقد قدّرت أنه سيعود لينتقم من تلك الجارة.. فنصبت له كمينا..

وقع فيه في ليلة ظلماء سوداء .. لا قمر فيها.. ولا خيط نور يشي بنواياه...أحالته الشرطة الى المحكمة.. ووقف في قفص الإتهام.. يقصّ حكايته مع الجارة...وكيف كان .. وكيف آل الى هذه الحال؟ كانت الجارة تتابع محاكمته.. التي استمرت عدة جلسات.. وانتهت بالحكم المؤبد

مع الأشغال الشاقة مدى الحياة.

بعد أن استمع الى الحكم.. علا صوته من داخل القفص محتجا.. يشير الى الجارة:-

وهذه التي كانت سبب وأداة كل الجرائم.. ما حكمها أيها القضاة..؟ التفت الحضور عيونا مليئة عليه بالشفقة.. وحقدا على الأرملة اللعوب.

حورية البحر

هو فارس.. أشهر من امتطى ظهور الخيل.. هي فارس.. أشهر من امتطى موج البحر.

جمعت بينهما رحلة على ظهر مركب.. وقد نام الموج على سطح البحر مرحّبا، يحمل المركب تحيّة لعيون بكر لم يدخلها من قبل شقاوة الحب...هي ابنة ساحل.. جارة للبحر.. هو ابن الجبل وفارس ميادين الخيل.

كانت الشمس ما زالت خيوطا تعوم على سطح البحر.. تملأ الدنيا نورا..تمطّت أكثر حتى أمسكت بأطراف حدود السماء...الجهد كبير.. وجه الشمس ينضح بالعرق الغزير..

ينصبّ ندى على ورد البساتين...وقفت على حافة سطح المركب.. تنظر الى مولد يوم جديد

خاشعة تسبّح قدرة الخالق العظيم...كان الشاب يقف الى جانبها.. احتار ينقل النظر بين شروق الشمس وطلّة شروق وجهها.

قالت تحضن وجهه بكفيها.. توجه نظره للأفق البعيد..حيث يرتكز قرص الشمس على سطح ماء البحر:-آية اللّه هناك يا صديق.. أغمض عينيك وادعُ على اللّه علّه يحقق لك أمانيك.

أذهلـه جـمــال الـفـتــاة.. يــنـعـكـس شـــروق الـشـــمـس في زرقـــة عـيـنيـهـا:-أمـنيـتـي عـلـى اللّه أن تـكـوني لي في الحـيـاة شـريـكـا.

قـالـــت وفي لـهجـــة الـســـؤال دهـشـــة:- لـــك جـــرأة ومـغـــامـرة المتهـورين.. تـطـلـب مـن اللّه أن اكـون لـك شـريـكـا، وأنـت لم تـرَ مـنّـــي ســـوى الـشـــكـل.. وقـــد نـســـيـت الأصـــل والجـــوهـر.. هـــل هـــذا مـعـقـول..؟؟

قـال : اللّه جـمـيـل لا يـرسـم طـلّـة الجـمـال عـلـى وجـه مخـلـوق.. إلا إذا اكـتـمـلـت جـمـيـع عـنـاصـر الجـمـال فـيـه.. الأصـل والمعــدن والجــوهـر.. جـمـيـعـهـا يـضـعـهـا عـلـى رأس ريـشـة قـلـمــه.. ويـعـطـيـهــا الـشـــكـل الجـمـيـل.

قـالـت وفي الـلـهـجـة إعـجـاب: شـاعـر.. ؟

- بـل فـارس شـهـدت لي مـيـاديـن الـسـبـاق والـنّـزال.

قـالـت: عـنـتـرة..؟؟

قـال: الـسـيـف سـيـفـه.. والـرمـح رمـحـه.. والـشّـجـاعـة قـلـبـه ولـكـــنـنـي أفـوزعـلـيـه أن حـبـيـبـتـي أجـمـل مـن حـبـيـبـتـه "عـبـلـة".

ضـحـكـت وقـد سـرّهـا غـزلـه الـرقـيـق.. وقـالـت تـزهــو بجـمـالـهــا تـرفـع خـصـلات طـيّـرهــا الـهــواء مـــن شـــعـرهـا: أنــا أجـمــل مـــن عـبـلــة صـاحـبـة عـيـون المهـا.. وشـعـر سـواد الـلـيـل..؟؟

قال وفي لهجته تأكيد:-كيف لا.. ولعينيك لون زرقة ماء البحر.. ولشعرك لمعان ذهب شاطئ الرمل..؟؟

اطمأنت النفس للنفس.. وارتاح القلب للقلب.. وتآلفت الروح مع الروح..وتبادلت العيون الرسائل.. وعزفت أوتار القلب ألحان حب جارف..ورقصت الروح رقصة عاشق.

سأل :-ما اسمك..؟؟

- اسمك عنترة.. واسمي حورية البحر.. لا تسأل أكثرا.

اتفقا على ذلك.. وبعدها ما افترقا.

كانت صديقتهما الشمس ساعة الشّروق.. ترتكز على سطح ماء البحر، وحبيبهما القمر يرتكز على قمة جبل بعيد عن ساحل حدود البحر.

مرت أيام والمركب يمخر عباب البحر.. والبحر صديق مخلص معجب بحب برئ. ولكنها كانت ليلة تذكّر فيها الشاب قول جدّه "لا تأمن غدر البحر يا ولدي"اكفهرت السماء.. ولامس الغيم الأرض.. وركض الضباب على سطح البحر، وأشعل البرق السماء.. وهجمت الريح تجلد البحر.. فعلا وهاج الموج جبالا، وبات المركب يسير على كفّ الرّحمن.

بدأ الماء يتسرب داخل المركب.. هرب الجميع الى السطح.. دخل الخوف قلب الشاب..كانت الرّيح تتمايل به على سطح المركب.. أمسكت الفتاة بحبل كانت تلعب به الريح..

قدّمته للشاب تحذره.. تمسّك بهذا الحبل جيدا.. لا تخف أنا حورية البحر.. لقد مرّت عليّ مثل هذه العاصفة عواصف.. ولكنها الريح كانت تقذف بالناس من على سطح المركب الى عرض البحر.. كأنها ريشة طائر.

فجأة هجمت على المركب موجة بحجم الجبل.. حملت الشاب وألقت به الى عرض البحر..

رمت الفتاة نفسها خلفه.. وجاهدت حتى أعادته الى سطح المركب.. حاولت أن تتبعه.. إلا أن الموج أحاط بها.. وابتلعها مع الآخرين.. ولا شئ سوى صوت الفتى ينادي حتى بحّ صوته.. ابتلعه الريح.. وذاب بين طيّات الموج....هذا ريح يزمجر.. وذاك موج يهدر.. وانتهت حياة الفتاة.. وما عاد لها وجود.

بعد ساعات هدأت العاصفة وعاد المركب به ومن بقي فيه الى الشاطئ سالمين.

اكتأب الشاب.. وتاه عقله بين الحقيقة والخيال.. صوتها في أذنيه صرخات تكاد تسبب له الجنون.. عيناه مفتوحتان يخاف أن تغفوا ويعود إليه الكابوس..يراها تجاهد الموج وتستغيث..ثم تغوص الى العمق ولا تعود.

اختار الشاب لنفسه زاوية من زوايا البيت يحتمي بها من هجمات الذكريات.. صراخ الفتاة.. يصم أذنيه ..يكاد يورثه الجنون..يغلق أذنيه بكفيه..يصرخ..أنا الجبان.. أنا الجبان .. بسببي غرقت الفتاة.. وما يكاد أن يهدأ ..حتى تهجم على

عينيه صورة غرق الفتاة بين جبال وأودية الموج.. يصرخ.. خذلك صديقك يا حورية البحر..أنا الجبان الذي لا يعرف العوم.

وهكذا انحصرت حياة الشاب بين أذنيه.. لا يسمع سوى صوت استغاثتها..وعيناه لا ترى

سوى صورتها تغرق بين جبال الموج.. والريح تخطف صوت استغاثتها من على شفتيها

فيضرب على رأسه أنا الجبان الذي خفت على نفسي ولم أنقذها ..وهبتني الحياة .. وأنا الذي قتلتها.. الى أن طرأ على فكره خاطر.. رماه في أحضان الخيال.. خطر له أن يتعلم السباحة.. لينقظ جسد حبيبته من شر أسنان الأسماك تنهشها.

سرّ طبيبه النفسي وشجعه على هذه الفكرة.. كان همّه أن يخرجه من زاوية الخوف.. والأصوات والذّكريات التي تسكن نفسه.

تعلم السباحة وحاز على النجاح.. وشغله الحماس والسّباق والتّنافس مع الزملاء عن نفسه

ومأساة الأصوات وصور الذكريات.. إلى أن أعلن عن سباق سباحة المسافات الطويلة.. تحمس ودخل السّباق معركة.. يؤكد لنفسه أنه يستطيع أن يصل الى مكان غرق الحبيبة.

كان السّباق بالنسبة لجميع المتسابقين مجرد سباق عادي.. أما بالنسبة للشاب، فكان ميدان حرب.. موت أو حياة.

فاز الشاب وكان فوزا مذهلا.. المسافة كبيرة بينه وبين من يليه من السبّاحين.. وكان أن طلب من اللجنة أن تنقش على الكأس الذي فاز به.. اسم "حورية البحر".

حمل الشاب الكأس.. وسبح به الى حيث غرقت الحبيبة.. ورمى لها الكأس هدية

معترفا أنها حتى بعد موتها.. جعلت منه أفضل سبّاح.

هل تصدّق.. ؟

له جناح نسر كبير.. يعيش تحت ظلّ دفئه زوجة وابنة.. لها كل الحب والدلال الأثير..

كان يجوب السماء وله هيبة الملك.. سلطان حق وعدل.. فهو العادل الأمين.. وعلى

الأرض كانت تنحني له رؤوس جميع فصائل الطيور.. تعترف له بالحب وبالولاء تدين،

ما ترك عشّا إلا وأعطاه من فائض رزقه.. فهو الكريم.

كان عشّه يعتلي قمة شجرة.. كان لها الظل الوفير.. والفاكهة تتدلى من أغصانهاعناقيد

في غابة شاسعة واسعة.. فيها جميع انواع الطيور الجارح منها.. والضعيف منها صاحب المنقار الهشّ الصغير.

كان هذا العشّ ومن على رأس هذه الشجرة.. يوزّع البهجة والسعادة على الغابة كلها

فالزوجة والزوج بطفلتهما سعداء فرحين...كبرت الطفلة.. واشتدّ الجناح.. أخذ يرفرف.. اشتاق ان ينطلق.. ويحلّق في الفضاء مع النسور يطير.

فرح الأب والأمّ وعلّماها كيف تستعمل الجناح.. وتتسلق حبال الهواء.. الى أن أصبحت

تعتمد على نفسها.. وكأن موج الهواء قد خلق ليلهو به فن جناحها...الى أن تأخرت ذات ليلة.. ولم تكن هذه عادتها..فخاف وقلق الأب والأم .. وبقيا مفتوحي العيون حتى دخلت تصطحب غرابا معها.. دهش الأب والأم.. وكانت صدمة لهما.. فعائلة النسور حسب ونسب.. والغراب من طائفة الدون .. دون ضمير.. يأكل فراخ العصافير.

سأل الأب : من الضيف..؟؟ وكيف تجرأ أن يدخل العرين..؟؟

قالت والصوت فيه توسل ورجاء:-

زوج المستقبل يا أبي.. اخترت أن أمضي ما تبقى من العمر تحت ظلّ جناحه.

غضب الأب.. وطرده خارج العشّ قائلا:- يا ابنتي أيّ جرم في حق نفسك ترتكبين.. وحق عائلتك صاحبة الحسب والنسب الأصيل؟.

لوعلمت النسور لطالت ألسنتها.. وطردونا من حظيرة عائلة النّسور شرّ طردة.. وأصبحنا مشرّدين.. لا أهل.. ولا وطن.. ولا ملجأ نرتدّ إليه ويعطف علينا.

بكت البنيّة وقالت: هو القلب يا أبي ليس لي عليه حيلة.. أنت تراه غرابا وأنا أراه الملك..

تخفض جبابرة طيور السماء له الجناح.. ولا عرين أسد على الأرض سوى عرينه..مرت الأيام وكان نداء القلب.. أقوى من صوت الأب .. فالإبنة كانت تطير له في جنح الظلام.. تختفي في سواد لون ريش الغراب.. الى أن أغراها ذات ليلة أن تستبدل جناح النسر أبيها ..بجناح الغراب حبيبها ..وكان في كلام الغراب سحر أقنعها.

ذات ليلة وفي قلب الليل.. استغلت البنيّة نوم أبيها.. وبدّلت الجناح بالجناح.. وعادت بجناح النسر القوي الى الغراب.

أخذ الغراب جناح النسر القوي.. ونسي أنه غراب.. وأخذ يجوب به السماء جبارا..

كيفما طار يورث خرابا ودمارا.. شرّا وأذى.. حتى عافته جبابرة جوارح طيور السماء..

وكرهته ضعفاء طيور الأرض.

استيقظ النسر الأب كعادته في الصباح .. وفرد جناحيه ينطلق من قمة شجرة في الغابة

فإذا به يقع على الأرض بين ضحكات جميع فصائل الطيور.. فالجناح جناح غراب ضعيف

والجسم جسم جبابرة الطيور...بينما عاث الغراب في الأرض فسادا.. قتل واستبد واغتصب.. وعشق على البنيّة.. التي باعت أهلها وتخلّت عن أصلها.. واستبدلت جناح النسر أبيها.. بجناح الغراب حبيبها.. فكانت الصدمة شديدة عليها.. وتاهت في السماء الواسعة.. تقودها شر فعلتها الى المجهول.

أما الأب فقد استيقظ من نومه يلعن الشيطان.. كان كابوسا مزعجا.. فذهب يأخذ شربة ماء..

وإذا به يسمع آهات وتنهدات.. وحديث شوق وغرام.. بين ابنته وشاب يعمل في البيت خادما.

خادمة

القصر كبير.. أنعم اللّه على صاحبه بالمال الوفير.. فبسط يده وجلب له كل جميل أحاطه بالبساتين.. الورد له ألوان أجنحة العصافير.. والعطر فوّاح مع النسيم على خيوط شروق الشمس يطير.. والدنيا فتحت عينيها تملأ الصدر بنسيم عليل.. الشمس تركض في السّماء.. والقمر يستعجلها.. يتوقّف الزّمن .. وينسى نفسه القمر.. يطلّ مأخوذا بالمنظر الجميل.

كان يقوم على خدمة هذا القصر خدم كثير.

"أمّ أحمد" خادمة كان لها الإخلاص والوفاء والحرص في القصر على كل ما هو ثمين.. فقدّرتها صاحبة القصر.. وميّزتها عن الخدم الآخرين.

اضطرت "أمّ احمد" ذات يوم أن تجلب معها الى القصر ابنتها الصغيرة "صابرين" وما زالت في العمر صغيرة.. بعمر برعم.. ماعرفت شيئا من الدنيا سوى ما تعايشت معه في بيتها الفقير.. وكان لصاحبة القصر ابنة صغيرة في مثل عمر ابنة " أمّ أحمد " اسمها "ياسمين"...ذهلت صابرين عندما رأت محتويات القصر.. وأكثر ما لفت نظرها ألعاب ابنة صاحبة

القصر ياسمين... لعبت الطفلتان معا.. وعندما انتهى الدوام.. وجاء موعد مغادرة القصر.. أحبّت صابرين لعبة من لعب ياسمين..فأخذتها وأخفتها في حقيبة أمّها.

انتبهت ياسمين وذهبت تبكي الى أمّها:

- صابرين سرقت لعبتي.

أوقفت صاحبة القصر الخادمة أمّ أحمد .. وطال لسانها بجارح الكلام تلومها...كان يجب عليك ان تعلّمي ابنتك الأمانة والخلق الكريم.

دهشت أمّ احمد..فقالت: لا أفهم ماذا تقصدين..؟

ابنتك صابرين لصّة.. سرقت لعبة ابنتي ياسمين.

نفت أمّ احمد التهمة تشيد بأمانة وخلق ابنتها..مندفعة بحماس كرامتها...سحبت صاحبة القصر الحقيبة من يد أمّ أحمد.. فتحتها وأخرجت اللعبة من حقيبتها.

ذهلت أمّ أحمد.. وأخذت تلوم ابنتها:-ماذا فعلت يا صابرين.. ؟

قالت صابرين ببراءة تبرّر فعلتها:

- أخذت اللعبة ألعب بها اليوم.. وأنوي أن أعيدها غدا.

قالت صاحبة القصر غاضبة توجه الكلام الى أمّ أحمد:-إذا كنت تنوين الإستمرار في عملك بهذا القصر.. فلا تعودي بصحبة هذه السارقة الصغيرة.

توجّعت كرامة أمّ أحمد.. وثار عليها كبرياؤها... انتهت لقمة عيشي عندك سيدتي.. وما عادت لي عودة الى هذا القصر.

كانت صابرين طفلة ذكيّة.. لم يبخل عليها ذلك البيت الفقير بالتعليم مهما غلا ثمن الكتاب.. حتى أنهت الجامعة طبيبة.. وكانت ذات علم وفير وسمعة طيّبة، فاشتهرت وذاع صيتها.. وأصبح لها في ميادين العلم حضور وتأثير، وذات يوم أصاب ياسمين ابنة صاحب القصر مرض..فلجأت إليها تستعين.

وبمجرد أن رأت الطبيبة صابرين ياسمين عرفتها .. وقفز الى ذاكرتها ذلك اليوم الذي سرقت فيه اللعبة.. وما غابت عنها يوما الإهانة التي نالتها هي وأمّها من صاحبة القصر.

دخلت ياسمين داخل الستارة.. وأجرت لها صابرين الفحص.. وكتبت لها وصفة الدواء.

لكن وقبل أن تخرج ياسمين من الغرفة.. صرخت بها صابرين تستوقفها، ورفعت سمّاعة التلفون تطلب أمن المستشفى..

حضر رجال الأمن على عجل، فقالت الدّكتورة صابرين منفعلة:

- هذه اللصّة سرقت محفظة نقودي.

دهشت ياسمين وطلبت من الأمن أن يأخذ مجراه.. فهي الموسرة صاحبة المال والجاه والمركز .. لا تقبل على نفسها مثل هذه التهمة، فتح الأمن حقيبة ياسمين.. وإذا بهم يجدون محفظة الدكتورة صابرين.

دهشت ياسمين.. جلست على المقعد بثبات تدقّق النظر في وجه الدكتورة صابرين.. فعادت بها الذاكرة الى ذلك اليوم الذي طالت به يد صابرين لعبتها.. فأصرّت ان تتدخّل الشّرطة.. وبعد بحث وتدقيق لم يجد خبير البصمات أي بصمات لياسمين على جلد محفظة الدكتورة صابرين.. عندها تشدّد رجال الأمن بالتحقيق مع الطبيبة.. اعترفت أنها في اللحظة التي دخلت فيها المريضة ياسمين داخل ستارة الكشف.. أسرعت ووضعت محفظتها داخل حقيبة ياسمين، وكانت هذه تهمة كبيرة على عائلة عريقة ذائعة الصيت.. مثل عائلة ياسمين.. فأصرّت العائلة أن ترفع شكوى الى نقابة الأطباء ضدّ الدكتورة صابرين.

إلاّ أن ياسمين اقتربت تهمس في أذن الدكتورة صابرين:

- إذا تنازلت عن القضية .. هل تنسين الماضي وتغفرين..؟؟

هزّت الدكتورة صابرين رأسها:

- سـأرعـاك بـعـيوني يا ياسـمـين.

مراهقة

كان لسكين النّار ولا العار رهبة.. ولزغرودة غسل الشّرف بالدّم ذعر.. وقوّة ردع.. يمنع ارتكاب الخطيئة.. وتدنيس شرف العائلة.. فقلّما ما كنّا نسمع عن مثل هذه الجرائم والإنحرافات في تلك الآونة من ذلك الزمان.. أو نسمع بكاء طفل ملقى أمامم مسجد، أو بجانب حاوية قمامة يشكو اللّه فعلة أبيه وأمّه.

نستعيذ باللّه من ذلك المنظر.. ونستعيذ باللّه من تلك اليد المجرمة.. وذلك القلب المتحجّر.

ولكنني أتساءل.. ما الحلّ مع هؤلاء الشبان.. الذين ما عاد يردعهم رادع.. ولا يهابون سلطة ربّ بيت.. ولا نفوذ قانون.. التهوّر والتمرد وعدم الإنضباط والإنفلات أصبح شرعهم ورائدهم.. ضلّوا الطريق.. وابتعدوا عن صرح أخلاق وعادات وتقاليد ما يفخر به العربي.. منذ أن شكّل اللّه جزيرة العرب.. وفرد رمال صحرائها طاهرا نقيّا.. يعطّر الدنيا بالمروءة والشّرف.. والخلق الكريم.

إلا أنه علا صوت كثير من الآباء يشتكون من عدم السّيطرة على أبنائهم.. سواء أكانوا ذكورا أم إناثا.

العصيان والتّمرد والفهم المغلوط للحرية.. المستوردة من بلاد تفككت فيها الأسرة.. وساد فيها الإنحلال.. أصبحت القدوة والمثل الأعلى الذي ينضوي تحت لوائه.. ويدافع عنه هؤلاء الشّبان.

الخروج من البيت في أيّ ساعة يشاؤون مباح.. والعودة حتى ولو كانت بعد منتصف الليل فيها تهاون وسماح.. وإذا ثارت الحمية العربية.. والدم العربي الحرّ.. وأنّب الأب الولد أو البنيّة.. أو طالت يده على أحدهما بصفعة.. صفّدت يداه بالقيود وكان مصيره السّجن.. وتبعته وصمة عار أنه رجعي.. لا يتمشّى مع تطور العصر.. ولا يفهم حاجة الشباب الى الحرية والإنفتاح.

الحالة التي نحن أمامها الآن.. هي شابة ترقد على السّرير.. مع مأساة أنها حملت سفاحا.. منحبيب عاشق. الدمع من عينيها ينهمر غزيرا.. والأمّ تجلس الى جانبها.. وقد قرّح البكاء عينيها.. والآهات تخرج من عمق الصدر.. نداء الى اللّه أن تمرّ هذه المأساة على ابنتها بسلام.. كان كلام الأمّ هديل حمام وتهليلا.. تسألها الصبر والسلوى.. وأن الصّبر والزّمن بهذه المأساة كفيل .

هو الشّاب الحبيب الذي أغواها بقصائد العشق والغرام.. وقدّم لها الهدايا أشكالا وألوانا.. وأخيرا أقنعها بوثيقة الزواج العرفي.. وذيّلها بشاهدين.. ليس أقلّ منه إجراما وانحرافا.. وعندما أسرّت له بحملها.. تنصّل وأنكر.. وادعى أنها تهمة

باطلة ..هو منها براء.. بل مكيـدة بهتـان وافتـراء. لقـد أكـل شبابنا الجـزرة.. وما عادوا يرهبون العصا.

أسطورة الفراشة والضوء

حدّثتنا الأسطورة.. أنه كان في قديم الزمان طفلة بعمر البرعم الصغير.. كانت تحثّ الشمس

على اعتلاء الأفق ..تتمتع بمنظر الشروق.. وتأخذ من قرصها المشتعل في طرف الكون دفئا..وتفاؤلا بمولد يوم جديد.. فتخرج مع أولّ رفة جناح فراشة.. وزقزقة أول فرخ عصفور.. ينادي على الشمس .. تمنحه الدفء.. بعد أن قضى مع البرد ليلا طويلا.

كانت تخرج الى البستان.. تركض وراء الفراشات.. صوت ضحكتها يختلط بصوت تغريد العصافير.. أغنيّة الصباح الجميل.

ذات يوم.. وقد أخذتها الفرحة تركض وراء فراشة جميلة.. فإذا بقدمها تدوس وردة متفتحة تفوح منها رائحة عطر جميل.. جلست القرفصاء أمام الوردة وقلبها حزين.. تختلط قطرات دمعها مع حبّات الندى.. تشكّل حبة لؤلؤ كبيرة.. متعة للناظرين.

سمع صوت بكائها ابن البستاني الصغير.. كان يجلس على حافة الغدير.. تقدّم منها يمسح عن خدها بأنامله الصغيرة الحنونة دمعا غزيرا .

قال والصوت فيه تفاؤل وتشجيع :

- لا تحزني.

زاد بكاء الطفلة حين أمسكت بعنق الوردة تعيدة مستقيما معافى سليما.. إلّا أنه عاد وانثنى

يقع على التّراب سقيم.

أحضر ابن البستاني عودا وغرزه الى جانب الوردة.. وأسند عليه عنق الوردة.. فإذا شوكة

تنغرس في إصبعه الصغير.. وينساب الدم غزيرا.

أمسكت الصغيرة بيده.. وذهبت به ناحية الغدير.. غسلت الإصبع وعاد سليما. ورجعا معا الى الوردة يحملان وعاءً فيه من ماء الغدير..أسقيا الوردة حتى ارتوت.. واستمرا على هذا الحال أياما .. حتى صحّت الوردة وطال عنقها..وعبق عطرها.. وفرحت بها الصغيرة.. وفرح لفرحها ابن البستاني الصغير.

كبرت الصغيرة تعتقد أن الشروق الجميل يأتي مع طلّة وجه ابن البستاني.. فتهرول مسرعة

تلتقي به.. يركضان وراء الفراشات .. أو يسقيان ورد البستان من ماء الغدير.

الى أن جاء يوم انتهت فيه براءة الطفولة.. وتعالت الفتاة أنها ابنة صاحب البستان..وأن الذي يتربع في القلب ليس سوى ابن بستاني أجير.

كان عند الشاب ابن البستاني كرامة الحرّ الأصيل....فغضب ورحل عن البستان.

نزلت الفتاة كالعادة مع طلّة الشروق.. فلم تجد ابن البستاني.. جلست على حافة الغدير.. الماء هو نفس الماء.. والخرير هو نفس نغم خرير الغدير.. إلا أن السعادة مفقودة..

وخرير الغدير حزين...ملأت الوعاء ماء.. وذهبت تسقي الورد.. وجدت الوردة التي داستها بقدمها ذات يوم ذابلة ملتويّة العنق.. لا عطر ولا أريج.

ذات ليلة والقمر بدرا يتوسط السماء.. ضاق بها البستان.. وملّت نغم خرير الغدير.. وأصبحت تحن وتشتاق الى كلّ مكان كان لهما فيه ضحكة وسعادة وحديث.

خرجت في قلب الليل.. كانت الدنيا سكونا.. كأنها في سهوة حلم جميل.. جاءها بعد أرق طويل.. رفعت الفتاة كفيها الى السماء.. أغمضت عينيها وتمنّت على اللّه :-

ربّ اجعلني فراشة أطير بالجناح .. أبحث عن حبيب اشتاق إليه القلب.. وتاهت بعده الروح.

استجاب الله طلبها..ولبست تاج ملكة.. وكانت أجمل الفراشات.. فتجنّدت لخدمتها جميع الفراشات.. يبحثن عن حبيب الملكة.. فكن يتبعن الضوء أينما كان.. حتى لو كان جمرا.. أو لهب نار..فالمسكينة ما زالت تذكر أن طلّة الضوء كانت تأتي مع طلّة إشراقة وجه حبيبها..

وهكذا كان اعتقاد جميع الفراشات.. فيندفعن بلهفة الحب.. يحضنّ بأجنحتهن أيّ طلّة ضوء تغازل أعينهن.. يعتقدن أنه وجه حبيب ملكتهن.. جاء محمولا على خيوط نور.. وإذا بهن يحترقن في مواقد الجمر.. أو على جدار زجاج سراج يشتعل نارا.

ومنذ ذلك اليوم أصبحت جميع الفراشات يندفعن الى أي مصدر ضوء.. يبحثن بين خيوط النور عن حبيب الملكة.. ويحترقن في وهج نار.

فالمسكينة ما زالت تذكر أن طلّة الضوء كانت تأتي مع طلّة شروق وجه حبيبها.. وهكذا اعتقدت جميع الفراشات.. فيندفعن بلهفة الحب فاردات أجنحتهن يحضن كلّ طلّة ضوء.. يعتقدن أنه وجه حبيب ملكتهنّ.. جاء محمولا على خيوط نور.

لحظة ضعف

لم يبق سوى سويعات حتى تطل الشمس من عمق البحر.. ترتكز على سطح الماء

تفرد شلاّل شعرها الذهبي على مدى أفق الكون.. مبللا بماء البحر.. يحمله النسيم

قطرات ندى .. يقبّل بها ورد البساتين.

وقفت الحبيبة على الشاطئ مع بزوغ الفجر.. والفرحة تحمل بقايا نعاس من عينيها

تذروه على موج البحر.. علّ النعاس يخدّره.. فتأخذه سهوة ينام على سطح الماء

حتى تصل الباخرة الى الشاطئ تحمل الحبيب.. تأمل أن يكون لهما في الحياة نصيب

ولكن هيهات أن يغلب النعاس عين الموج .. وقد أحاط بالباخرة كأذرع أخطبوط .. كلما

أفلتت من ذراع.. التفّت حولها أذرع.. فالباخرة بالنسبة للموج صيد ثمين.

اجتمع المئات من أهل وأحباء وأصدقاء ركّاب الباخرة على الشاطئ.. والباخرة فأر

والموج قط لئيم.. والعاصفة شيطان رجيم.. والبرق حريق أشعل السماء.. والشرر

بدأ يتساقط على الأرض صواعق.. أينما حلّت تشعل حريقا.. والغيم تائه بين الأرض

والسماء.. بدّل البرق لونه الأبيض.. فأصبح لون الغيم أسود كثيفا..والرعد سقط من

فم الغيم على الجبل والسهل والوادي يدوّي.. الطوفان آت.. آت.. الويل لمن ضلّ الطريق

وحبل الدعاء متّصل بين السماء والأرض.. يسأل اللهّ السلامة للولد أو الزوج أو الحبيب.. يعبث به جنون الموج.. والعاصفة والنوّ شديد.. والباخرة عصفور مكسور الجناح، يسقط في أودية البحر كلما هم أن يطير.. وفاض الدمع على الشاطئ كلما طلّ القمر من بين الغيم.. لمعت خيوط نوره على حبّات الرمل حزين.

كانت الباخرة قريبة من الشاطئ.. تبدو في سواد الليل.. كأنها خيال جبل على قمم الموج عظيم..كانت تبدو واضحة

للعيان.. كلما لمع برق.. أو سنحت لعين القمر فرصة أن يطلّ من بين الغيوم. وفجأة علا الصراخ بعد موجة هائلة ارتفعت ووصلت حدّ الغيم.. وعادت تهبط على الباخرة.. تغوص بها الى عمق البحر.. وما عادت تعرف طريقها الى سطح البحر.. اختفى الجبل.. غرقت الباخرة.. الرحمة للشهداء.. اللهم آمين.

كانت صدمة افلتت من الصدور صرخات مفجعات.. وانفجرت العيون بالدموع.. وكان المجنون الذي فقد عقله.. وهجم على البحر.. يريد أن يغوص في العمق.. علّ الروح تلتقي بالروح.. فما كان يستطيب حياة بعد فقدان ولد.. أو زوج.. أوحبيب.

أخذ الحماس أهل الشهامة والمروءة من الصيادين وكلّ من له قارب.. ونزلوا الى عرض البحر يصارعون الموج.. وعاد كل قارب يحمل قدر استطاعته.. ممّن وجدوه طافيا على سطح الماء.. سواء أكان قد أسلم الروح .. أو ممّن ما زالت تتردّد في صدره بقايا روح.

اندفع أهل الخير والمتطوعون الى القوارب.. حملوا من عليها.. يسعفون الحيّ.. ويترحّمون على الغريق.

اندفعت الحبيبة التي أتت مع بزوغ الفجر تأمل أن تعود متأبطة ذراع حبيبها..تبحث بين الأحياء فلم تجده.. مشت بخطوات الفزع والحزن.. ترفع الغطاء عن وجوه الغرقى فلم تجده.

نزلت على ركبتيها.. لا تقوى على الوقوف...ربّ قبره في قلب البحر.. جفّف البحر إلهي ..

أو اجعلني روحا حول المزار أحوم وأطير...العيون مغرورقة بالدموع.. والرؤيا غباش وإذا بيدين حنونتين تمسكان بيديها.. تعينانها على النّهوض.

مسحت الدّمع بظهر كفها وإذا بها وجها لوجه أمام الحبيب فزعت تتحسّس وجهه بكفيها:

- خيال أنت.. أم روح الحبيب...حضنها رمت برأسها على صدره...تأخرت عن موعد الباخرة حبيبتي.. استقليت أول طائرة.. وأتيت أحمل فستان الزفاف في حقيبتي.

وصيّة جد

هي شجرة زيتون.. عطاؤها وفير.. وظلها كبير.. تحت جناح ظلها كان ساعة الهجيرة يستظل الجدّ وأبناؤه وأحفاده الكثيرون.. وعندما كان يحلّ الظلام.. كان يعلّق على أغصانها

السراج والفوانيس.. ويطول السهر.. وتحلو القصص والحواديث... ولشدة حبّ الجد لها أطلق عليها لقب " المبروكة ". كان يتفاءل بعطائها.. ولا يخلط حب زيتونها.. أو زيتها مع باقي شجر أرض الزيتون..كان يعتقد أن في زيتها شفاء.. ولا يؤمن بغيره دواء...كان في ظلّ فيئها يزوج أبناءه وأحفاده.. معتقدا أنه سيكون زواجا ميمونا.. وذرية صالحة..ولاينسى أبدا أن يأخذ بقراته وعنزاته يلدن التوائم تحت فيئها.. معتقدا أن العطاء كان بفضل بركتها.. فيأنس لها.. وينام القيلولة قرير العين تحت ظلها.

كبر الجد.. وكبرت الزيتونة.. وقبل أن تأتيه المنيّة.. أوصى أبناءه وأحفاده بها خيرا.

استمرت الشجرة في عطائها أجيالا..لا تبخل أبدا.. كلّ جدّ وأب ينقل وصية الجد الى الأبناء والأحفاد...إلاّ أن الزمن بدأ

يرمي عليها بثقل أعراض الشيخوخة.. فاصفر لون أوراقها.. وقلّ عطاؤها، وشحّ زيتها.. وتضاءل ظلها.. ويبست معظم أغصانها.. فقد سيطر الكبر عليها، فعرّاها من أوراقها.. وما عاد يزيّنها حبّ.. ولا أمل في قطرة زيت.. فآلت الى لا شئ سوى حطبة جرداء في بستان أخضر.

إلاّ أنها وبخبرة طول عمرها.. وكثره ما رأت عيناها.. أعطت لنفسها حق الكلام.. وما غفل عنه.. أو نسيه الآباء والأبناء والأحفاد من تاريخهم.. أو أحداث وتاريخ قريتهم.

فكانت في كل مساء.. عندما يجتمع الآباء والأبناء والأحفاد.. تحدّثهم عن حياة أجدادهم في قديم الزمان.. وكذلك القرية وكيف كانت وما جدّ عليها من جديد قبل أجيال واجيال.

فاستطابوا الحديث.. وأنسوا إليه.. فهو وثائق وتاريخ، الى أن جاء ذات عام فصل شتاء شديد البرودة.. فاحتاجوا الى الدفء.

فاجتمع الآباء والأحفاد.. كلّ يرتعش من البرد.. ويدلي برأيه في أمر شجرة الزيتون التي أصبحت حطبا هم في أشد الحاجة إليه في شتاء عاصف قارس.

اختلف أبناء العائلة.. وانقسموا بين مؤيد ومعارض، علا صوت المعارضة بلسان كبيرها :

- إنها وصيّة الجدّ الى الأب الى الحفيد.. تعاقبت أجيال...والجميع كان على الوصية حريص أمين.. فأيّ خطأ

ترتكبون..؟؟لقد جادت وأعطت مئات السنين.. إن في نسيج أبدانكم من عطاء زيتها وزيتونها فلا تكونوا جاحدين.. وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.. أليس هذا قول رب العالمين..؟

قال المؤيدون لقطع الشجرة على لسان كبيرهم.. الضّرورات تبيح المحظورات..

رحم اللّه يوم أن كان لها فائدة وعطاء.. كان عطاؤها زيتا وزيتونا.. أما اليوم فعطاؤها

كلام.. يطير في الهواء.. والحيّ أفضل من الميّت.. فشدة البرد تكاد تميتنا.

كان لكلمات هذا العجوز مفعول.. فانهالت البلطات على الشجرة تقطّعها حطبا يطعمونها للنار.. وكانت كلما انطلقت شرارة من الموقد يسمعون أنّات وآهات.. الى أن ضاق صدر كبيرهم فانسحب يداري دمعة.. تنهد وقال: تدفأت الأجساد .. وبرد الضمير .. جمّده الجحود ومات.

محطة الباص

في خطوتها كبرياء الأميرات.. والثقة الزائدة بالنفس ثقة ملكات.. يقلّدها الطاووس.. ويذوب في شموخها الغرور.. طاع لها الجمال.. فالعين عين غزال.. والشعر مغزول من خيوط الشروق.. يلمع على حبّات الندى في ربيع نيسان.. والقوام سبحان اللّه عود الخيزان.

كان يفصل بين بيتها وبين محطة الباص خطوات.. تقطعها في دقائق معدودات.. مع كل خطوة عيون تعشق.. وقلوب تحترق.. وما أكثر الأنّات والآهات.

كان الصباح يجمعها في كل يوم..في نفس المحطة مع شاب مهذب خلوق فيه أناقة وجمال..

ما جرؤ يوما أن يلقي عليها تحيّة الصباح.. فقط عيون تلتقي تحكي قصص حب وشوق وغرام، ولكن الجبن كان دوما مسيطرا على الأجواء.

تأتي الحافلة.. فيوسع الشاب للفتاة بين جموع الناس مكان.. ويحيطها بعين حريص من سفيه يتحرش بها.. دون إلتزام بأدب.. أو أخلاق.

وكان كثيرا ما يحدث أن تتأخر الفتاة عن موعد حافلة الساعة السابعة والنصف.. فكان ينتظر خاضعا لمشيئة القلب.. العين ترقب.. والروح تركض ذهابا وإيابا بين بيتها ومحطة الباص.

الى أن تصل المحطة .. يأكلها الندم .. لقد تأخرت عن موعد الدوام.. العيون تتكلم .. هي تعلم أنه تأخر من أجلها.. ولكن اللسان ما زال عاجزا عن الكلام.

وما كانت أقل منه حبا وشهامة.. فكانت تفعل نفس فعلته لو أنه تأخر وفاته موعد الباص..

عيون مليئة بالملامه.. تمسحها بسمة اعتذار...الى ان حصل ذات يوم بينه وبين بعض الأشقياء في المحطة عراك.. تكاثروا عليه.. فاندفعت كالنمرة تقاتل وتدافع عنه.. كأنه الحبيب.. أو أقرب الأقرباء.

بعد أن انتهت المعركة اقترب منها.. تختلط المشاعر داخله.. بين أسير معروف.. وحب

أشعل القلب نار على مدى ليال وأيام طوال:

-هل تقبلين بي زوجا..؟؟

لا يدري المسكين كيف تحول الوجه الرقيق اللطيف فجأة.. الى وجه صلب شديد حاقد.

فالعين التي كان فيها وداعة عين حمامة.. إذا بها عين تنّين شرّير غاضب...والصوت الناعم الذي كان يحاكي صوت خرير الغدير أصبح صوت نهر له هدير.

خاف الشاب وارتدّ الى الوراء خطوات:

- ما بك يا آنسة.. أنا أسأل عن العنوان .. حتى أتقدم وأطرق الباب حسب الأصول؟ وما انحرفت عن أعراف أو تقاليد.

قالت والصوت فيه دهشة:

- تريد أن تتزوجني قبل أن تعرفني.. ؟؟

قال واللطف والودّ يقتر عن لسانه:

- نحن في كل صباح نلتقي على أرض هذه المحطة.

قالت يغلب لهجتها التهكم:- وهل تظن أن اللقاء تحت سقف هذه المحطة يعطينا رخصة زواج..؟ ثم واصلت الحديث باستغراب:

- ما كان منظرك يوحي.. أن للسانك مثل هذه الزلّات.

صبغ الحياء وجه الشاب بلون أحمر.. وانسحب مبتعدا خوفا من أن يسمع من مثل هذا الكلام كلاما..

دخل القلق قلب الشاب.. ولفّت به الحيرة تستعيد معه الذكريات..كانت العيون مليئة بالشّوق والحب.. والرسائل كانت

تنتقل بين القلب والقلب.. على شعاع موجات...والعراك الذي كان من أجله.. ألم يكن تضحية وفداء..؟؟ هل كان كذبا.. وخداع قلب لقلب..؟؟.

بعد سهر.. وحديث ليال طويلة مع القلب.. قرّر الشاب أن يتأكّد، فذهب الشاب الى محطة الباص.. واختفى في مكان يراها ولا تراه... اقتربت عقارب الساعة من السّابعة والنّصف.. موعد الباص الذي يقلّهما الى مكان العمل..ضاق صدر الفتاة.. وتاهت عيناها تبحث عنه.. توقف الباص عند المحطة.. ثم واصل الدّرب..

وبقيت الفتاة على رصيف المحطة.. بعد دقائق ظهر الشاب.. وما أن رأته حتى انطلقت تنهيدة من القلب.. ولا شئ سوى نظرة مليئة بالعتاب.. الى أن جاء باص آخر.. استقلّاه وذهب كل منها متأخرا الى مكان عمله.. دون كلام.

إلّا أن قلب الشاب ما زال متكدرا لأنها رفضته زوجا..وهو يعلم أن له في قلبها مكانا.. فقرّر ان يحتال على قلبها كاتم الأسرار.. وما عاد له من راحة سوى في أخذ الثأر والإنتقام.

حضر الى محطة الباص ذات صباح قبل الوقت بقليل.. يلبس في بنصر يده اليمنى خاتما يلمع

في ضوء الشمس.. وما أن وقعت عليه عين الفتاة.. حتى شهقت وعلا صوتها .. "هل خطبت".. ؟؟.

اكتفى بحركة من رأسه إمعانا في إغاظتها.

كانت صدمة جعلت الفتاة تدور على كعبيها وتعود الى بيتها.. تلمع الدموع في عينيها.

في المساء طرق الشاب باب الفتاة بصحبة أبيه وأمه...استقبلهم والدا الفتاة بالترحاب والمحبة...بعد الترحيب والمجاملة.. استأذن الأب بالحديث وطلب يد الفتاة عروسا لإبنه

غابت الأمّ بعض الوقت.. وعادت مع ابنتها.. حتى تتعرف على هذا الخطيب، وما أن وقعت عين الفتاة عليه.. حتى انفجرت:

- محتال لئيم تريد أن تخطب فتاتين في وقت واحد..؟

اتسعت حدقات العيون.. وارتسم على الوجوه دهشة، ثم أخذت تنقل عينيها بين العيون المندهشة.. لقد رأيت صباح هذا اليوم في بنصر هذا المحتال خاتم خطبة .

كان في ثورتها صدمة للجميع...رفع الشاب يده اليمنى..لم ير أحد في أصابعه أي خاتم.

فانبرى الأب والأم يدافعان عن ولدهما.

وقف الشاب وأدخل يده في جيبه وأخرج الخاتم يلمع أمام عيني الفتاة.

قالت مندفعة تلصق به التهمة:

- هل رأيتم هذا هو الخاتم الذي يحتال به على قلوب العذارى؟

ضحك الشاب وقال:

- هذا الخاتم له إسم يا آنسة.

التفت إليه الجميع يسأل... فتوجه بنظره الى الفتاة وقال:

- العين بالعين والسن بالسن والبادئ أظلم.

حارس الكنز

هو بيت قديم.. قدم التاريخ.. أصحابه ضدّ التطوّر.. وكلّ ما هو حديث، بيت موروث عن الآباء والأجداد.. لا يعرف عددهم سوى التاريخ.

يقبع البيت في طرف المدينة البعيد.. ارتحل جميع سكّانه الى قلب المدينة حيث التطور والمدنيّة.. وكلّ ما هو حديث.. وبات المكان قفرا.. لا جار ولا جليس.. ولا ونيس سوى القطط التي لا ترضى عن مسقط رأسها بديلا.. بيت لا يحمي سقفه زخة مطر.. ولا تصدّ نوافذه هبّة ريح. لا شيء أمام البيت سوى جمل وكلب.. وعشّة فراخ.. وفي الليل خيوط نور تطل من النافذة.. تشعّ من فتيلة سراج.. قليل الزيت.. في عطائه بخيل.

تعبت الأذن تسمع.. وتعب اللسان يخمّن ويسأل.. لا بدّ أن هناك سرّ عظيم..حتى يبقي هذا الرجل وحيدا في مكان مقفر.. يستطيب فيه الحياة.. مع جمل وكلب.. وعشّة فراخ، وبيت يشاركه فيه المطر والريح.. في فصل الشتاء.. وقيظ الحرّ في فصل الصيف.

ولكن عندما تعب العقل.. وغفا التفكير.. كانت عين الفضول مفتوحة.. تصوّر كلّ حدث غريب.. فما رأت سوى عرّافين ودجّالين.. يدخلون الدار.. وموائد طعام فرد عليها ما لذّ وطاب من فواكه وطعام...بعدها يعلو صوت قراءة قرآن.. وأدعية .. وحلقات ذكر.. تستمر حتى الفجر...الى أن دبّ خصام بين صاحب الدار.. وأصدقائه من العرّافين والدجالين..

مّما استدعى أهل الخير والصّلاح الى التّدخل بينهم .فقال صاحب الدار:

لقد تناقلنا نحن الأحفاد عن الآباء والجداد.. أن في أرضنا كنز عظيم ثمين.. فلجأت الى هؤلاء العرّافين من أجل أن يكشفوا لي عن مكان الكنز، واتفقنا على ألف دينار يأخذونها حين ظهور الكنز.. على أن لا تطول المدّة عن ثلاثة أيام.. ألبّي فيها جميع طلباتهم.. وكان عليّ في كل يوم أن أجهز لهم مائدة عشاء .. تحوي كل ما يروق لهم من فاكهة وطعام، ومضى حتى هذا اليوم أسبوعان وأنا ألتزم بهذا الوعد حتى أنفقت كل ما في جيبي من مال.. وما عدت أستطيع أن أقدم لهم مزيدا من موائد الطعام....وإذا بهم اليوم يهدّدوني.. إذا توقفت عن جلب الطعام .. فانهم سيتوقفون عن مواصلة التشاور والحديث مع "الجان" حتى يصلوا الى مكان الكنز.. فماذا أفعل وقد أنفقت عليهم كل ما أملك من مال.. وما عدت أملك شيئا أعتاش منه؟

عرضت عليهم أن أقدم لهم حصّة حين ظهور الكنز فرفضوا، عدت وعرضت عليهم أن أرفع المبلغ الى ألفي دينار.. بدلاّ ألف دينار.. فرفضوا أيضا.. ماذا أفعل الآن..؟؟

قام كبير العرّافين يدلي بدلوه:-لقد قمنا بالواجب وأكثر.. قرأنا القرآن.. وأكثرنا من الدعاء..

لكن الجان لم يخبرونا عن مكان الكنز حتى الآن.. وما عاد عندنا طاقة لقراءة.. أو دعاء دون طعام .. فماذا نفعل..؟؟

بعد جدال طويل.. وبعد أن تاكد العرّافون الدّجالون أنه ما عاد في جيب الرجل ما ينفق عليهم من مال.. أشاروا له عن مكان محدّد يحفر فيه.. وإن شاء اللّه سيظهر الكنز.. حسب ما أشار عليهم الجان...فرح المسكين صاحب الدار.. ومن فوره اشترى فأسا ومجرفة.. واخذ يحفر..

وبعد جهد وعرق .. فجأة ظهرت أفعى لدغته.. ولم يظهر الكنز.

شقاوة عصفور

أنا عصفور صغير.. لكنّ الذي يسكن صدري قلب له ثورة تنّين.. صوتي جميل.. يطير على جناحه أحباء وعاشقون.. لون جناحي يتناغم مع جميع ألوان الطيف..كغزل عين الشمس مع ورد البساتين...لكنني فقير.. تعلّق قلبي بأميرة.. في كل صباح تمتطي صهوة حصان ابيض .. تملأ صدرها بنسيم عطر البساتين.. والفرسان حولها.. قوة وجبروت.. الى ميادين الصراع قتال.. كل يطمع أن يكون لقلبها سيّد وأمير.

ولمّا كنت عصفورا في صدري قلب تنّين.. أحببتها وقرعت طبول الحرب متهورا، أنافس رجال الحرب الطامعين بالزواج منها.. والفوز بلقب أمير.

قررت خوض المعركة وسلاحي وردة حمراء.. وتحيّة الصباح بألحان العصافير، كنت أخترق صفوف الفرسان من حولها مترجلا.. أقدّم لها الوردة.. وألقي عليها تحيّة الصباح بلحن وأنغام العصافير....كانت تهزّ رأسها فرحة مرحة.. ويشرق وجهها بابتسامة كطلّة الصباح تشتاق

لـهـا الـعـصـافير، مـرت الأيـام ونحـن عـلـى هـذا الحـال .. أختـرق صـفـوف الـفـرسـان راجلاً.. أقدّم لـهـا

الـوردة.. وألـقـي عـلـيـهـا الـتحـيّـة.. وتـهـزّ رأسـهـا فـرحـة مـرحـة.. ويشـرق وجـهـهـا بـابـتـسـامـة، الى أن جـاء يـوم.. قـدمـت لـهـا الـوردة.. وكـان الى جـوارهـا حـصـان أبـيـض .. لـه نـفـس لـون حـصـانـهـا.

فـقـالـت : امـتـطِ صـهـوة هـذا الحـصـان أيـهـا الـفـارس الأمـير.

تـلـفّـت حـولي مـأخـوذا تـائـهـا.. أجـول بـنـظـري أبحث عـن صـاحـب الحـظ الـسـعـيـد.. الـذي اسـتـولى عـلـى قـلـبـهـا.. وأصـبـح أمـيـرا...أنـقـذتـنـي مـن حـيرتي تـركّـز عـيـنـيـهـا عـلـى وجـهـي بـنـظـرات الحـبّ.. الـتـي لا يـنـالـهـا سـوى فـارس عـظـيـم.

امـتـطِ صـهـوة هـذا الحـصـان أيـهـا الـفـارس الأمـير.

أشـرت بإصـبـعـي الـشـاهـد الى نـفـسـي غـير مـصـدق .. بـعـد أن خـذلـنـي لـسـاني :-أنـا..؟

قـالـت بـلـهـجـة الـتـأكـيـد :-نـعـم أنـت.. امـتـطِ صـهـوة حـصـانـك أيـهـا الـفـارس الأمـير؟ هـات وردة الحـبّ.. وغـرّد لي لحـن الـسـلام والأمـان، قـرفـت الـعـنـف والـدم .. وجـبروت محـترفي الـقـتـال.

تسلق الأمل على خيوط القمر

ارتكز القمر على قمة الجبل يستريح.. كان المشوار طويلا.. قطع فيه نصف محيط كوكب الأرض.. نظر من عليائه.. فوقعت عيناه على قصر كلّ ما فيه جميل.. رخام وتحف ولوحات .. ومن الذهب تماثيل.. يحيط به الورد والزهور بساتين.. خدم وحشم وعبيد.. وصاحب القصر ملك.. لا ينقصه سوى التاج.. سلطة وقوة.. ومال كثير.. قصره خمسون غرفة.. ودائما يتأفّف القصر ضيّق صغير.. وعدد أفراد الأسرة أربعة.. زوج وزوجة وطفل مدلّل.. وطفلة يحيط بها الخدم يقظين حريصين.

في المساء يعود الرجل منهكا.. فالمال في جيوبه ثقيل.. يفرغه في خزنة ذات أقفال ومفاتيح.. يركض الخدم في القصر.. جاء ربّ النعمة.. كلّ يؤدّي فروض الولاء والطاعة.. والويل لمن أخطأ وتاه عن الطريق.. جهنم له منزل والشيطان رفيق.

الحمّام جاهز.. يغسل تعب يومه.. ثم الى غرفة الطعام مائدة.. تحوي ما لذّ وطاب من فاكهة وطعام.. ولا أحد سوى الزوج والزوجة والطفلين والخدم يلبّون الطلب.. على أهبة الإستعداد يقظين.

هي لقيمات يأكلها الزوج والزوجة.. ويصرّ الأب والأمّ على الطفلين أن يأكلا المزيد..فالجسدان نحيلان.. والوجهان شاحبان..كأنهما عاشا الفقر والحرمان سنين..المائدة شهيّة..تكفي لعدد من الضيوف.. يفوق عدد أصحاب القصر بكثير.

مرضت الطفلة.. حضر على الفور طاقم أطباء.. يفحصون ويتشاورون.. ومعهم صندوق دواء.. والنتيجة وعكة برد.. لا يخلو منها إنسان في فصل الشتاء.. قدّموا القرابين..وقدّموا الذبائح حين منّ اللّه على الطفلة بالشفاء.

في الليلة التالية أعاد القمر الكرة.. ودار حول محيط نصف كوكب الأرض.. وارتكز على قمة الجبل يرتاح.. وقعت عيناه على كوخ يقع عند قاعدة الجبل.. على حافة النهر.. رجل وزوجته وسبعة أولاد.. أربعة ذكور وثلاث إناث.

كوخ فقير.. حتى أن السّوس أكل بعضا من أخشابه.. له نافذتان غير محكمتيّ الإغلاق.. وحصيرة تمتد على أرض الكوخ.. وفراش ضيق المساحة.. ينام عليه الأولاد ملتصقين ببعضهم.. حين يأتي الى العين النعاس.. راضين قانعين.

الأولاد امام الكوخ يمرحون ويلعبون..الصحة تبدو نضرة.. حمرة تعتلي الخدود.. والزوجة نشيطة تتحرك في الكوخ نحلة..عين على الأولاد.. وعناية في الكوخ وترتيب.

ظهر الأب من البعيد..ركض اليه الأولاد فرحين مهلّلين.. كان يحمل حزمة حطب على ظهره.. وفي يده رزق زوجته وأولاده ممّا يسّر له اللهّ في ذلك اليوم.

عادوا مع أبيهم الى الكوخ.. والفرحة تملؤه وتصل الى أشجارالغابة على ضفاف النهر.

استقبلته الزوجة بوجه مرح مشرق بشوش.. أحضرت إبريق ماء وصابون.. صبّت الماء فغسل يديه ووجهه.. وجلس على الحصيرة يسند ظهره الى خشب الكوخ.. ركضت الزوجة وأحضرت طبق قشّ عليه عدّة أرغفة خبز.. وجبن وزيتون وزيت وزعتر وحبّات بندورة وخيار....تحوّط الجميع حول طبق القش.. أكلوا حتى شبعوا.. حمدوا اللهّ.. وما أبقوا على الطبق شيئا من طعام....بعدها أحضرت الزوجة طبلة.. وطلب الزوج منها أن تحضر العود.. وأخذت تنقر على الطبلة .. والزوج يعزف على العود.. غنّوا ..رقصوا ..طربوا..حتى تعبوا وبدأ التثاؤب يسود.. والنعاس يقف على رمش العين.. استلقى الأولاد ملتصقين ببعضهم.. والقلب تملؤه الفرحة.. والعين تعد بأحلام جناح الخيال.

استمرت السعادة تحضن الكوخ.. الى أن وصلت قصتة الى أذن صاحب القصر.. فذهب إليه يكتشف سرّ السعادة مع العوز والفقر وضيق الحال.

رحّب بـه صـاحب الكـوخ.. فـرأى وسـمـع العجـب.. واسـتمرت الزيارة أياما.. رأى فيها طبق القشّ يهجم عليـه الأولاد.. طعـام فقير لا يزيد عن عدّة أرغفة وقطعة جبن وزيتـون وزيـت وزعتـر.. رأى الوجوه نضرة سعيدة.. والأجسـام صـحيحة.. فاسـتغرب.. كيف تأتي الصحة والسعادة من مثل هذا الطعام الفقير..؟؟

رأى أحد الأولاد مريضا.. يرقد علـى فـراش خشـن يـابس.. وقـد أعجزه المرض عن مشاركة إخوته اللعب.. وما كان الدواء سـوى سائل من خلطة أعشاب شربها.. وبعـد سـاعات نهـض مـن فراشه يشارك إخوانه اللعب.

في المساء سمع نقر الطبلة من أصابع الزوجـة.. وعـزف العـود من ريشة الرجل فطرب ونسي نفسه.. فغنّـى ورقـص.. وجبـال من الهمّ والغمّ طارت مع الغناء والطرب.. فعشـق الحيـاة مـع الكوخ وأصحابه.

الى أن أخذ الغناء والرقص والطرب بعقله فاقترب من صـاحب الكوخ يهمس بأذنه:

هل تقبل أن نتبادل.. أنت تأخذ قصري.. وأنا آخذ هذا الكوخ..؟؟

ضحك صاحب الكوخ.

استغرب الرجل وسأله.. لماذا تضحك..؟؟ أنا جاد في كلامي.

قال صاحب الكوخ: السعادة ليست في هذا الكوخ يا سيدي.. وليس في هذه الطبلة ولا في هـذا العـود.. ولا في طبـق القـش

الفقير.. السعادة تأتي من داخل النفس.. من شئ اسمه القناعة.. الرضا.. القبول.

سأل الرجل مستغربا: أنت تتكلم عن شئ لم أره.. ولم أتعرف عليه داخل نفسي..

أين يقع هذا الذي تتكلم عنه من جسم الإنسان..؟؟

قال صاحب الكوخ: إنه شئ له صفات الروح.. لا يرى بالعين.. ولا يلمس باليد.. أنت تعطيه الأمل وهو يعطيك السعادة.

عاد صاحب القصر يسأل : كيف تعرّفت على هذا الشئ غير المرئيّ.. ويشبه الروح في صفاته؟؟

قال صاحب الكوخ: سمعت قول حكيم.. واسترشدت به "كن جميلا.. ترى الوجود جميلا"

الصّياد والفريسة

فتاة في عمر بداية تفتّح البرعم.. أنهت دراستها الثانوية.. ووضعت قدمها على أول سلّم درجات الجامعة.. عالم غريب عجيب.. فتيات وفتيان والعالم خليط..

فتى وفتاة في ظل شجرة.. وضحكات تهزّ أغصانها.. والفرحة كأنها يوم عيد..والكلام كأنه هبّات النسيم تنطلق من قلب عليل...فجأة استبدلت الذاكرة هذا المنظر.. واستحضرت من المدرسة مدرسة الدين تنذر وتحذّر "صوت المرأة عورة".. الى جهنم وبئس المصير.

أغمضت عينيها تغيّر وتبدّل المنظر الذي حرّمه الشرع والدين...هناك فتى وفتاة يجلسان على مقعد متجاورين في حديقة الجامعة، الرأس يكاد يلامس الرأس.. والحديث وشوشة وهمس.. تفاءلت وأحسنت الظن، لا بدّ أنهما زميلة وزميل.. في حديث المعرفة والعلم منسجمان.. اقتربت.. أرخت أذنها.. إذا بالهمس أنّات وآهات ..والقلب أتون نار..والحب حطب الحريق...فاحمرت وجنتاها.. وابتعدت تنجو بنفسها من همس الشياطين.. وذهبت تجلس على الحشيش.. تنضم الى شلّة من الفتيات.. علّها تستفيد من معلومة.. أوعلم حديث.. وإذا بها

تصطدم بدموع عذاب فتاة.. جمعها الحبّ مع طالب.. عاش حبّهما مع ربيع حياة الجامعة.. حتى أينع والأمل بالزواج بات قريبا.. وإذا بها فجأة تكتشف أنه يقع في حبّ زميلة لها.. والأمل أصبح ركاما.. والطريق تاه عن قدميها.. والدنيا بدت في عينيها ظلاما.

أوجعت دموع الفتاة قلب البنية فابتعدت.. وجلست بالقرب من دائرة طلاب شباب..أرخت أذنيها.. فإذا بالشباب كلّ يتباهى بالحبيبة.. ويحفظ أبياتا من شعر الغزل .. ويخطّط للقاء.. يبوح فيه بلواعج نار قلبه.. ويلقي عليها أبيات شعر مسروقة...مضت أيام والبنيّة تجلس وحيدة.. ليس سوى عينين ترقب وتتعجّب...ثم تخوض في حديث مع النفس مأخوذة مندهشة...هي خطوة بين الأمس واليوم.. كيف تغيّرت هذه الدنيا..؟؟

كان المريول أزرق .. والشعر جديلتين.. والإلتزام بالكلمة والضحكة.. ووداعة النظرة.. والمواضيع المحصورة بين الدرس والأخلاق والأدب والحلال والحرام..

وهذه الحياة الجديدة.. فتيان وفتيات.. من جميع الأشكال والألوان.. ومواضيع لو سمعتها في الأمس كانت تحمرّ لها الوجنتان.

طالت وحدتها.. غريبة عن كل ما يدور حولها.. وفي النهاية لم تجد بدّا من حلّ الجديلتين.. وارتداء قميص مفتوح.. يكشف عن

العنق.. وجزء من شقّ النهدين.. وتجرأ اللسان.. غيّر وبدّل في الكلام.. كلّ هذا حصل من تأثير نظرة شاب.. حين التقت العينان.. ودخلت النظرة الى القلب جريئة دون استئذان.. وجاء أمل في بيت تكون فيه ملكة.. وحياة أمن واستقرار.

ذهبت البنيّة لأمّها والفرحة تملأ القلب.. أمّي إنه شاب جميل ظريف مهندم.. سيارة وفي كل يوم ملابس جديدة.. تنم عن زيادة في المال.. وبحبوحة في العيش.. وحسن حال.. قد ينفعنا أمّي.. يرفع عنا الفقر والحاجة وذل السؤال...اهتمت الأمّ بالأمر.. فأخذت تختصر من مصروف البيت.. تشتري لإبنتها كلّ جميل..تلفت به نظر الشاب.. فأحسنت التدبير والتخطيط.. فاغتر الشاب.. تاه وظنّ أنه على أبواب كنز ثمين.. شعرت البنيّة.. فتعالت حسناء جميلة.. وانطلق منها اللسان بأجمل الكلام.. والذي كان عيبا ومستحيلا أصبح مباحا وجميلاً.. وتفتّحت عينا البنيّة جريئة.. فاقت جميع الزميلات.

أرهق مصروف البنية الأمّ فحذرتها.. يا ابنتي.. لقد قترت على البيت كثيرا..حتى كاد يصيبه جوع.. أخشى ما أخشاه أن تكوني في غفوة حلم.. والشاب خيال ليس لك فيه سوى نشوة الأحلام.

قالت البنية والثقة بالنفس عالية: أمّي ابنتك ما عادت حمامة الأمس ساذجة.. أنا اليوم عنكبوت.. يحسن الصيد.. ونصب الشباك..وغزل الخيوط.

ذات يوم غاب الشاب عن الجامعة فانشغل عليه قلب الحبيبة.. فذهبت إليه تزوره في بيته.. استقبلتها أمّه.. فأجلستها على كرسي من الخشب فقير.. وأمعنت النظر في البيت.. فإذا به فقير.. سألت عن الحبيب.

قالت الأمّ: ذهب يعيد السّيارة الى صاحبها فهو صديق حميم.

أخذت البنية فنجان قهوتها.. خرجت والصدمة شديدة.. والخيبة أليمة.. والأمل بات أمامها ركاماً.. لقد جاع البيت.. ولبست كل جديد.. والظن أنه صيد ثمين وما خطر بالبال أبدا أن هذا الحبيب قد يكون مخادعا لئيما.

عادت الى البيت والدمعة ملء عينها.. بكت خيبتها على صدر أمّها.. حين ظنّت نفسها عنكبوتا لا يفلت صيد من شباكها..كانت الدمعة تنساب من على خدّها تائهة حائرة.. لا تعرف هل تبكي ضياع حبيب كذّاب لئيم مخادع.. أشادت على أعمدة خداعه وكذبه عشّ حبها.. أم تبكي مستقبل يوم إذا تزوجته.. ستعيش الفقر والعوز.. تكرر حياة الفقر في بيت أبيها..؟؟.

عاد الشاب الى بيته.. أخبرته أمّه أن الحبيبة جاءت تسأل عنه فأكرمتها وقامت بواجبها.. ولم تخف عن شدّة حب وإعجاب بها.

كانت الصدمة كبيرة على الشاب.. لقد تأكد الآن أن عين فتاته وقعت على الحقيقة واكتشفت كذب وهم حياة ومستقبل أيام جميلة أهداه لها.

ذهب من فوره الى بيت الحبيبة.. طرق الباب.. استقبلته الأمّ.. أجلسته في غرفة ينبلج الفقر من سقفها وجدرانها وحتى بلاطها.. ودخلت الفتاة ترحب به.. التقت العين بالعين.. فضحكا ضحكة طويلة.. اكتشف كلّ منهما الآخر.. فقير وفقيرة جمع الحب بين قلبيهما.

في المساء حضر والد الشاب يطلب يد الفتاة.. واتّفق والد الشاب مع والد الفتاة أن يفرغ والد الشاب غرفة من غرف بيته.. يجمع بين القلبين..وتتم فرحة الأسرتين بهما.

عين واشية

جاءت لها عين الواشي بخبر.. زوجك نكث العهد.. وخالف الوعد.. واستباح الحرام

وحلّل الحرام.. وقصّ رباط الزوجية بمقصّ الشيطان.. وزيّنت له الدنيا متعة الحرام.. ودخل فراش الزّنا في بيت مشبوه.. له ماض فاضت به الفواحش والشرور.. فاحذري بيتك بات غير مأمون. ثم واصلت عين الواشي الحديث:

الى هنا انتهت مهمتي.. هات أجرتي.. بت أشتاق الى منظر الدنانير ترد لهفتي.

الزوجة من بيت دين وأصول وتقوى وصلاح.. والعين الواشية شاهد.. دونها لا يصح إثبات ولا دليل....أسرعت ترتدي ملاءتها.. وأسلمت يدها الى الواشي يدلها الى الطريق...مشت والعقل تصدمه الحقيقة وخيبة الأمل.. والقلب ينفي.. لا بدّ أنها تهمة كذب وإدعاء.. فالعين عين واش منافق كاذّب...طال الحديث مع النفس.. لا تعي طول المسافة.. فالعقل والقلب في معركة وشجار الى أن أشارت لها عين الواشي الى المكان.

طرقت الزوجة الباب.. فتح الباب بزاوية صغيرة تطل منه فتاة.. تفوح منها رائحة المنكر..والوجه تعلوه طبقات من الأصباغ.. ذات أشكال وألوان.. لوحات من الفحش والفجور تقشعر لها الأبدان. أما الهندام.. فهي ملابس شفافة.. مصنوعة من قماش الخيال.. هفهافة لها نسيم الأحلام ....صاحبة الدار تسأل : من أنت.. وماذا تريدين..؟؟

قالت: رسالة توصليها لذلك الفاجر المارق اللئيم.. الناكر للجميل.. الذي يسكن الآن فراشك.. العصمة في يدي.. أخبريه أنني أخلعه..هو طالق.. وليس له عودة الى بيت طاهر.

واستدارت تعود الى بيتها.. تسترجع ذكريات أيامها.. ضربت على رأسها.. سالت دموع ندم من عينيها.. كيف ارتضت به زوجا..؟

كان عاملا في مصنع أبيها.. يذلّه البؤس والعوز.. أما الوجه.. فكان يغشاه صلاح وتقوى.. وقد كان للعمال مثالا وقدوة.

لكنها اعترضت: يا أبتي إنه نبتة خضراء نبتت في مستنقع.. لا بيئة.. ولا أصل.. ولا منبت.

قال الأب يقنعها.. ويصر على قبولها به: يخرج من ظهر الطّالح صالح.

تم الزواج وأفردت الزوجة له كرسي السيادة والرّيادة في صدر البيت.. جلس عليه الآمر الناهي.. ومع ذلك كانت حذرة.. أصرت أن تكون العصمة في يدها.

جلس على الكرسي.. ولكن الكرسي كان عليه واسعا.. نسي نفسه.. وعلا صوته وردّه الغرور الى أصله.

صبرت عليه مدة لعله يرتد.. إلا أنها كانت مهلة أورثتها صدمة.. وخرجت منها بحكمة (لا يصلح العطار ما أفسد الدهر).انتبه الرجل الى نفسه..فاستغفر ربه.. وعاد يطرق باب زوجته.

سألت : من الطارق..؟

- مخطئ استغفر ربه تائبا.. وخير الخطّائين التوّابون.

- ما عاد لك في هذا البيت شربة ماء.. هيا ارحل.

- اللّه غفور رحيم.. من وقف على بابه تائبا غفر له..فهلاّ غفرت..؟؟

- كفرت بالنعمة.. ولكل خطأ عقاب.. وكان خطؤك كبيرا.. رغم أن عطاء اللّه كان لك عظيما.. وقد حذّرنا نبينا عليه السلام حين قال "إيّاكم وخضراء الدمن".. وأنت خضراء الدمن.. هيا اغرب عن هذا البيت.. أخاف أن تدخل ويدخل معك الشيطان.. فهذا بيت دين وتقوى وصلاح.

ذهب الرجل يحمل ذنب عقاب خطيئته..كان قهر الذلّ عليه شديدا.. بعد أن كان ملكا.. له قصر ومال وخدم وحشم.. فوجد نفسه مشردا.. لا عزّ.. ولا جاه.. ولا مال. كسرة خبز..أو ينام على الطّوى.. إذا لم تمتد له يد إحسان.

لكنها كانت توبة نصوحا.. فاستنجد بالعلم.. وصاحب العلماء أهل الفقه والشريعة والدين.. واشتهر بعمل الخير والإصلاح والوعظ.. وأصبح له أتباع...مرت الأيام والسّيدة تعيش في قصرها الكبير.. خدم وحشم والأمر مطاع والمال كثير.. لكن الحياة كانت جافة.. والقلب سقيم.

ساء حال السيدة.. هجرتها الضحكة والفرحة.. والحياة المرحة.. واشتدت عليها الوحدة.. فاقترحت عليها خادمة مقرّبة أن تذهب الى مجلس عالم جديد.. فيه تقوى وصلاح.. قد ترتاح إليه النفس .. ومنه تستفيد....اصطحبت السيدة خادمتها.. وذهبت الى حيث يجلس العالم.. ومنذ اللحظة التي أقبلت على مجلسه.. ولمحتها عيناه عرفها.. فخفق قلبه.. وعاد للعشق في القلب حديث...حضرت بين يديه.. وكان ذا هيبة.. لحية طويلة.. وجبّة.. وعلى الرأس عمامة.. والصوت رزين وقور.. له صدى إيمان وورع... قصّت عليه قصّتها.

فقال يسألها: ترى لو أنه ارتد إليك تائبا نادما.. هل تغفرين.. ويكون له للبيت عودة؟

قالت ودمعة ندم على رمش عينها.. غفر ربي.. ولم أغفر أنا.. ليغفر اللّه لي ذنبي.

في المساء طرق الباب.. نهضت السيدة الى الباب.. فإذا بالعالم يقف أمامها..عاد بنفس هيئته ولباسه أيام أن كانا زوجا وزوجة.

تفاجأت..شهقت.. علا صوتها: أنت.. تفضّل.

البحر. مائدة الفقير

عجوز ضاقت به الدنيا.. كيفما اتجه وجد نفسه أمام القهر والفقر.. وضيق الحال...ما اكثر الأيام التي نام فيها على الطوى.. ولكنه ما تأفّف ولا اشتكى.. رغم تذمر الزوجة.. وحاجة البيت.. ودموع أطفال أوجعهم الجوع.. فناموا على الطوى..

كان إيمانه بالله شديدا.. واثق أن فرج الله قريب.. الى أن كفر الصبر في صدورهم

والحياة أصبحت شبه مستحيلة.. فخرج يعرض نفسه عاملا عند نجّار فرفضه.. عرض نفسه عاملا عند حداد فرفضه.. عرض نفسه عند مقاول بناء فرفضه أيضا، والكلمة كانت واحدة.. لا تتغيّر ولا تتبدّل.. أنت عجوز لم يبق الدهر منك شيئا حتى نستفيد به منك.

وهكذا لم يجد العجوز بدّا من الذهاب الى البحر.. حيث مائدة اللّه بحرا ممدودا بالخير والعطاء لكلّ جائع.. دون منّة.. أو ذلّ..أو استجداء وتحقير...كان يحمل صنّارة صيده ويتجه الى البحر.. يستقبل مع البحر طلّة الفجر.. ليعود والأسماك تملأ السلّة

وتفيض.. فيقتات هـو وزوجتـه وأولاده جـزء.. ويعطـي حـق اللّه للفقير .. ويبيع مـا تبقـي في السـلة مـن الأسـمـاك في سـوق الأسـماك.

نظر إليه الصيادون.. أصحاب القوارب والشـباك بعـين الغـيرة والحسـد يسـتغربون..صـنارة وكـل هــذا الــرزق.. إذا لا بـدّ أن لـهـذا العجـوز عند اللّه حظوة وشأن.

بعد مدة اشتـرى شـبكـة ودخل البحر.. فكان عطاء اللّه اكثـر...ثم حرّضه طموحه الى شراء قارب.. وكان أيضا عطاء اللّه عظيما مدهشا.

تمـرّ الأيـام ورزق الصـيادين شـحيح.. القـوارب تعـود فارغـة.. والقلوب لها حزن انكسـارالغروب...انتبـهت إليـه عـين الغيـور الحاسـد.. جلسـوا معـه جلسـة حبيـب وصـديق، واتفقـوا أن يعملوا معا.. يدا بيد.. والناتج يقسم بالتساوي على الجميع.

تم الإتفاق ونزل الصيادون الى عـرض البحـر.. والأمـل كـبير.. ولا شاهد سوى اللّه..لكن الشـبّاك كانـت بخيلـة.. والبحـر عقيمـا.. واستمر البحر أرضا والقحط شديد..

الى أن ضاق صدر الصيادين.. يسـتغربون أمـر البحـر.. أصـبح بخيلا...الجوع بدأ يزحف الى بيوتهم.. ويقـرص معـد أطفـالهم.. حـتى بـات الأمـر مسـتحيلا، فـاختلفوا وتفرقـوا.. ومـا عـادت تربطهم شـراكة.. ولا اتفـاق.. كـل مـن جهـده وعرقـه يعمـل طالبا الرزق من رب كريم.

وعاد العجوز بقاربه الى عرض البحر.. فاستقبله الرزق هاشا باشا.. وكان الشوق عظيما..ساعات وامتلأ القارب بالأسماك.. أشكال وألوان.. والربّ كريم.

جاءه الصيادون ناقمين حاسدين :- ما الأمر أيّها العجوز.. يتفضّل البحر عليك بالرزق الوفير وأنت منفصل عنا..ويبخل علينا ونحن شركاء متعاونون متّحدون؟

قال : رزق من عند اللّه يا إخوتي.. قلب صادق.. ونفس طيّبة.... وعين قنوعة..

ودعاء أثير.. يبارك اللّه لكم بالرزق ويجعله وفيرا.

قال كبير الصيادين والصوت كسير ذليل:- ما رأيك يا شيخنا أن نعيد الشراكة متوحدين شركاء.. يدا واحدة.. وقلبا واحدا..

إخوة أحباء أمناء.. واللّه على ما أقول شهيد.. ؟؟ شحّ الرزق وضاق بنا الحال..

كفاك اللّه ذلّ السؤال.. وأنت أخ كريم.

ضحك العجوز وكان في الصوت حسرة:- اشتركنا.. وكل منّا أقسم اليمين.. وقدّمت كل ما أعطاني اللّه من رزق.. وكنت أمينا.. بينما لعب الشيطان في عقولكم.. وكنتم ضالين طامعين.. خنتم الأمانة وما قدّمتم من الرزق إلا القليل.. واستبقيتم باقي الرزق في قواربكم تحرسه أعين الشياطين..تبيعونه مالا حراما.. تضعونه في جيوبكم آثمين..

وحـــدّثتكـم الــنـفس أن الـعـيــنين عينــا عجــوز بــاهتتين والـنظــر ضـعيف.. وغاب عنكـم أن عين اللهّ كـانت رقيبا.. واسـتضـعـفتم جسـدي ونسـيتم أن اللهّ للمظلـوم الضـعيف سـند ورديـف.. وبــات مختصــر الحــديث أن المــؤمن لا يلــدغ مــن جحــر واحــد مرتين....عــاد كـبير الصـيادين يتوسـل ويتـذلل :- دخـل الجــوع البيت.. وما زال الأطفال فراخ عصـافير.. عـدنا تـائبين نـادمين.. واللهّ غفور رحيم.

رقّ قلب العجوز.. ودخل معهم شريكا...

دخلوا البحر.. وعادوا ببركة الأمانة والإخلاص بـرزق وفـير.. وكــان عطاء اللهّ كبيرا.

هم خمسة صيادين.. بسمل العجوز .. وذكر اسـم اللهّ حامـدا شاكرا.. وأخذ يقسم الرّزق الى ست حصص.. اســتوقفه كـبير الصيادين مندهشا :-

لماذا تقسم الرزق الى ست حصص ونحن خمسة؟

استمهلهم العجوز..ستعرفون بعـد قليـل.. واسـتمر يواصــل القسمة الى ســت حصــص.. ثم سـألهم أن يصـطحبهم الى بيته يحتسون معه فنجان قهوة.. فاستجابوا.. وقبـل أن يصــل الى بيته.. طرق الباب المجاور لبيته.

فتحت الباب عجوز أخذ الدهر منـها كـلّ مـا أعطـاه لهـا في صباها وشبابها.. النظر والصحة والنضارة.. وكل ما يتبـاهى

به الإنسان في شبابه..فأصبحت شجرة عجوزا ما عادت عندها القوة تضرب بجذورها الى باطن الأرض أكثر.. فشح عطاؤها.. وانقطع ثمرها.. وما عاد عندها ما تقتات منه هي.. وأحفادها.. وكان يمسك بأطراف ثوبها أطفال ثلاثة.. ابتلع البحر زوجها وابنتها وزوج ابنتها.. حين كانوا يحرثون البحر طمعا في رزق يقتاتون منه.. فشاء اللّه أن يكونوا هم رزقا للبحر.... ومنذ ذلك اليوم وأنا أجعل لهم من رزق البحر حصّة.. مؤمنا بقول اللّه سبحانه " لا ينقص مال من صدقة".

حلم عجيب

جاءني والصوت فيه ذلّ الإنكسار.. وأرق ونعاس.. والسّهر امتد عليه وطال.. العينان منتفختان.. والمقلتان بلون الدم.. وحال الرجل يستدر العطف.. تدمع له العين.. والقلب تملؤه الأحزان.

سألته بلهفة الصديق : ما الأمر؟ ما الذي نفخ عينيك.. وأوصلك الى هذه الحال؟

قال والكلام محمول على تنهيدة طويلة.. في عمق الصدر لها صدى أنّات وآهات: هذا ما جئت لك من أجله.. حلم ينام تحت الجفن منذ ثلاثة أيام.. استقر وطاب له المقام.. لا يريد أن يتركني ويرحل عنّي.. أرجوك هات التفسير.. الأرق يكاد يودي بعقلي.

تفاجأت.. أخذت أنظر الى وجهه.. ترى هل هو حقا بكامل عقله؟

أضحك.. أشفق عليه.. لست أدري؟.. حقا إن الحال مزرٍ.

قلت : وماذا جئت تفعل عندي.. إذهب الى شيخ يفقه في تفسير الأحلام فقد يفيدك أكثر مني.

قال وفي صوته رجاء: استمع اليّ أرجوك.. الجنون بات قريبا منّي..استمع إليّ واتركني أهذي.. قد يكون في هذا الهذيان ما ترتاح له نفسي...كنت حامدا شاكرا سعيدا.. متصالحا مع نفسي.. صديقتي الدنيا.. ما بخلت عليّ بالسعادة.. ولا تسبّبت لي يوما بقهر.. ولا أزعجتني، وقبل ثلاثة أيام حين كنت أجلس تحت الشبّاك غفت عيناي، فسمعت نقرات على الشبّاك.. استيقظت..فتحت عينيّ.. مخلوق غريب ملاك أم شيطان لست أدري.. لكن الجمال أخّاذ.. جناحان لهما لون طيف الشمس.. تمتزج فيهما الألوان بالألوان.. كأنهما طلّة الفجر تشقّ سواد ليلي....حملتني على جناحها.. طافت بي الكون.. قمر ونجمات وجنّات...حتى أنني نسيت كوكب الأرض ونفسي...استمر السفر ثلاثة أيام.. تشقّ بي عباب الكون.. والسحاب يركض من حولي....ثم عادت بي الى شبّاكي.. حيث المكان الذي منه اختطفتني.. أنزلتني برفق عن الجناح.. ثم طارت.. وبجناحها رفرفت وودّعتني.. وغردت بلغة العصافير: أغمض عينيك حبيبي واحلم.. غدا مع الفجر لنا لقاء.. نعود ونجوب الكون.. نطوف على القمر والنجمات.. ونتحدّث طويلا.. ما أجمل الحياة في ظلّ بساتين الجنّات!

أيام ثلاث وأنا تائه.. لا أعلم إذا كنت نائما أعيش الحلم.. أم أنني إنسان ضاع وتاه.. وضلّ عن نفسه.. وكأن الأرض ليست

أرضـي.. والسـّماء ليسـت سـمائي..والناس علــى كـوكــب الأرض ليسوا أهلي.. تهت عنهم.. وتهت عن نفسـي. والقلــب مــا زال يسأل:-

ترى هل سيعود صاحب الجناح الجميل.. ويسأل عنّي؟

جبروت الماضي

أهــداهـمـا الحــبّ جنــاحين.. غـزلـهـمــا مــن خيــوط الـشــمـس.. أعطاهـما حلم القمر.. ولونهما بطلّـة نـور الفجـر.. والشــروق دوما كـان لـهما أمل.

رحّب بـهذا الحبّ كل ما في الكـون....طارا مـع الفراشــات.. رحّــب بـهما البسـتان.. أمطرتهما الـوردات رحيقا...وحـمّمتـهما بعطـر أسكر الـنجمات.. وتجلى على الكـون نور القمر.

علّما الدنيا كيف تضحك.. وأغرقـا في عمـق البحـر كـلّ هـمّ وحـزن وكـدر.

اختار لـهما الحبّ حديقــة.. زرعـهـا بـالـورد.. وأنبـت فيـهـا أجـمـل الأشجار..وأهداهـما عصــافير.. موســيقى..ألحــان.. مـا عرفتـها ريشــة عــود.. ولا كـمنجــة.. ولا جيتـار.. ولا تجيـد الغنـاء مثلـها حنجرة إنسان...كان للحديقة حارس عجوز.. عشق فيهما حبّـا.. كـان لـه مع فتاة.. أحاطهما بالرعاية..وكان يقدّم لـهما القهـوة والشـايّ.. ويحدّثهما عن الفتاة التي كان يجمعه بها حبّ.. وكــان ابن عمها قد أنزلـهـا عــن صــهوة الفـرس.. في ليلـة عرســها..

بحجة رابطة الدم.. وحقوق ابن العمّ.. وما كان يخجل من دمعة تنساب على خدّه حين تثور عليه الأشجان..

ذات يوم وقد أوسع لهما الحبّ حضنا.. فرحان في دفء جناح الحبّ والعطف والحنان يلهوان ويلعبان سعيدين فرحين.. حيث كان الحديث بالأذن همسا..له معانٍ وألغاز..تسمع العصافير الهمس.. وتسترق النظر..فيطير منهما العقل، ويلتف المنقار على المنقار..والتغريد ينطلق زغاريد....وفجأة اضطربت الفتاة في حضن الحبّ..اعتراها خوف.. وعلا الوجنتين احمرار...دخل صدر الفتى شك وارتياب.. وهرب الأرق بالحبّ.. كأنها الغمامة..غطّت عين القمر.. وباتت الدنيا في ظلام..تلفت الشاب حوله.. رأى من البعيد شابا في عينيه خبث ثعلب مكّار.. فلاذ الفتى بفكرة أهداها له الشك امتحانا....قال الفتى لفتاته: دقائق وأعود.. سأبتاع عرنوسين من الذرة.. بت جائعا.

نهض الفتى يختبئ خلف شجرة.. يراقب بعين الشك.. الجديد الذي غيّر الحال، فإذا بالشاب يتقدم من الفتاة.. ويضع في يدها رسالة.. وينسحب بخطى ذليل جبان.

عاد الفتى الى محبوبته والغضب ثورة بركان.. استلّ الرسالة من يدها.. وكانت تهديدا أن تنصاع ذليلة لرغباته.. أو أنه سيكشف لفتاها عن علاقة حبّ كانت بينهما في سابق الأيام.

تاه العقل منه.. ضربها.. ضربها.. ضربها.. لحقت به تسأله الرويّة.. وتشرح له عن ماض كان لهما زمان.. وانسحب بحجة من خان الحبّ.. ليس له في قلبه مكان.

كانت في كل يوم تذهب الى الحديقة.. وقد اختارت لنفسها في الطرف البعيد مكانا.. وكذلك الفتى.. اختار لنفسه مكانا بعيدا عنها.

تعب العجوز حارس الحديقة.. يحاول أن يجمع بينهما.. ولكن ذلك بالنسبة للفتى كان محالا.

الى أن تقدم للفتاة ذات يوم شاب له الهيبة والشخصية وله في المجتمع مكان..

طلب يدها.. فذهبت من فورها الى العجوز حارس البستان.. أخبرته أن القلب ما زال للحبيب.. تعود إليه وعفا اللّه عمّا مضى.. فالحبّ ما زال في القلب .. وما أفلح النّسيان.

علت موسيقى زفة العروس.. كان الفتى يسمعها من البعيد.. وعينه تراقب مهرجان

العرس.. خرجت العروس تتابط ذراع عريسها.. أشاح الفتى وجهه.. وشهق بدمعه

ومشى الى الحديقة مع الليل تقوده الذّكريات.

الجنون فنون

منظر عجيب غريب.. جمع من الناس.. صغير وشاب وكهل وعجوز.. تحيط بشاب

يسأل والسؤال غريب.. الجميع يبسمل ويحوقل.. لا حول ولا قوة إلا باللّه العظيم

يا مثبّت العقل والدين.. لا بدّ أنها مصيبة أودت بعقل هذا المسكين...الشّاب أنيق وسيم.. لمنظره وقع في القلب.. وله في العين عشق المحبّين..

كبرياء وشموخ.. الأصالة والنعمة بادية عليه.. وكأنه أمير.. ولكنه غدر الزمان لم يكن له رفيق ولا صديق...الصوت عال.. واللهجة من نبع صدر حزين.. اليد ممدودة.. والسؤال غريب.. قلب.. قلب للّه يا محسنين.

الكلّ ينظر للكلّ.. الأذن لا تستوعب.. والعقل في ذهول.. والطّلب عجيب غريب.

لعب الخيال في العقول.. وانطلقت الإشاعات.

قال قائل : صدمة حب.

اعترض آخر: بل فقدان عزيز.

قال ثالث : بل غدر الزمان.. وصدمة لم تكن في الحسبان..وهذا حال كل أصيل عزيز النفس كريم.. إشاعات ألفها الفضول.. واحتار الناس في أمره.."مسّ من الجنون" أو أسلوب جديد.. يستدر العطف..ويجودّ كل من له قلب كريم حنون...اقترب أحدهم يقدّم له طعاما.. صعبت عليه نفسه.. وردّه بأدب واحترام:

- الطعام موجود.. من عطاء رب كريم.

اقترب منه آخر يقدم له مالا:-

أدخل يده في جيبه.. وأخرج رزمة كبيرة من النقود وهو يقول:

موجود والحمد للّه.. ما بخل عليّ الرحمن بمال.

علا صوت عجوز.. ملأ الحزن قلبه على ذلك المسكين :

- إذا ماذا تريد.. ؟؟

_ أريد قلبا.. للّه يا محسنين.

علا ضجيج.. ضحك من ضحك.. وسخر من سخر.. ودمعت عين الخبيرالذي رأى من الدّنيا الكثير.. حتى ارتوى وأشبعته الدنيا من شرورها..فبات حذرا حكيما..على أمور الناس مطّلع عليم....وصل أمره الى أذن الأميرة.. وكانت شابة جميلة..

واسعة الصدر حكيمة ذات عقل كبيرمحبة لشعبها.. تعتني بكل صغير وكبير فقالت:

إئتوني به.. لا بدّ أن في حياته لغز.. نسمعه علّنا نكون له من النّاصحين.

جاؤوا به الى الأميرة الشابة.. فنظرت إليه بعين خبير.

قالت تتودّد له.. وتدخل الطمأنينة الى قلبه:- طلبك غريب أيها الشاب الجميل

قال: لماذا يا سيدتي..؟؟

قالت: المحتاج يطلب طعاما.. أو مالا.. وأنت تطلب قلبا.. وما خلق اللهّ لإنسان قلبين في جوفه.. فمن هذا الذي تأمل منه أن يعطيك..؟؟

ثم قالت تجامله:- صدقني لو أنه يوجد في جوفي قلبان.. ما خاب طلبك وأنت ضيفي.

قال الشاب : القلب يؤخذ يا مولاتي.. ولا يعطى.. وإلا يكون رخيصا.

قالت وفي صوتها دهشة : أليس أنت من يمدّ يده ويطلب قلبا.. ؟؟

قال: أنا لا أريد أن أقتحم صدرا.. وأستولي على قلب.. أنا أبحث عمّن اخترق صدري وسرق قلبي.

هزّت الأميرة رأسها.. وقد أحاطت بمشكلته وتعرّفت على مأساته :-إذا هي قضية حبّ.

قال: أحببتها يا مولاتي.. عشنا قصة حبّ ليس لها مثيل.. علّمنا العشاق كيف يحبّون.. كيف يحلمون..لوّنا القمر.. نوّرنا النجوم.. أمطرنا الغيوم.. زرعنا الأرض بساتين.. حمّلنا النسيم عطر ورد وياسمين.. ضحكت لنا الدنيا.. لعب النّعاس في العيون.. ونجوم آخر الليل تثاءبت.. تسترد عن الأرض بقايا خيوط نور، ودارت السعادة خمرا في رأسينا.. قبّلتني قبلة ما قبل النوم.. نمنا..أطلّ الصباح.. مددت يدي كالعادة أمسك بخصلة من شعرها الطويل أداعب بها وجهي.. ارتدت يدي خائبة..خفت..بحثت عن قلبي..كانت يدها طويلة استلته من صدري.. ناديت صرخت.. علا صوتي..فأستجابت عودة الصدى تخرق أذني.. واتهمني الناس بالجنون.. وما كنت سوى صوت تائه يستغيث شهما .. صادفها.. وعرف العنوان.. يدلني الى بيتها.

قالت الأميرة وقد رأت فيه الذّكاء والفطنة والحكمة بلهجة يشوبها الشك:

- كيف تطول يدها تسرق منك القلب وتهرب.. وهي مغرمة بحبك..؟

قال: لا غرابة في ذلك يا مولاتي.. فهناك من يحبّ القلب.. وهناك من يحبّ العقل.. وآخر يحبّ الجسد.

عشقت الأميرة حكمة الشاب.. قبل أن تعشق جمال الشكل والمنظر.. ورأت فيه كفاءة مستشار.. يدعم الحكم.. وبه تتمركز.. وتتثبّت أكثر...فاعتنت به.. وأحضرت له أطباء وعلماء من أهل الإختصاص تخلصه من وعكة الحب.. الى أن تمّ الشفاء..والصحة والنفس أصبحت أجمل وأفضل.

مرّت الأيام وفي كل يوم تكتشف فيه جديدا.. هيبة.. وقوة شخصية.. وصواب فكروكفاءة.. والعطاء أحسن وأكثر.. كان لها فرحة قلب.. وعشق روح.. وتجديد حياة بجهده وعرقه وكفاءته وحسن تدبيره.. زاد مالها.. وانتعش حالها.. وانتظمت أعمالها.. وترتّبت أمور حياتها..فتمكن العشق منها.. فأصبح الشاب.. نبض قلب وشريان حياتها.. لاغنى لها عنه.. يضيق الصدر.. وتتسارع ضربات القلب في غيابه.. ويتوه العقل لا تفكير إلا به....كان هذا حال قلب الأميرة.

أما الشاب فما زال قلبه هناك.. شجرة زيتونة.. جذورها ضاربة في أعماق النفس.. والجسد لها أرض حنونة...لم يغره الحكم والمال .. ولا حبّ الأميرة.. في كل يوم تهديه الذكريات جمرة من نار جهنم تكويه بنار حبّها.. والأمل يملأ القلب عن يوم يعودان فيه ويلتقيان حبيبا وحبيبة. فاجتهد وبث العيون.. الى أن جاءت العين الواشية.. تكشف المكان.. وتنجلي الحقيقة...دخل عليها.. رأته.. انبهرت.. شهقت.. ضاع الكلام عن اللسان.. اقتربت منه كمّمت فمه بكف يدها.. فتحت عروتين من قميصها.. أخرجت قلبين من صدرها...قدمتهما له وقالت :-

قتلني الشك حبيبي.. فكان لا بدّ من امتحان تظهر فيه الحقيقة اختطفت القلبين..تهمس لي روح عشقي في عمق نفسي.. إذا اشتعلت بك نار وسألت عني.. فأنت تحبني.. قتلني الإنتظار حبيبي.. لو أنك تأخرت أكثر.. لتحقق الظن.. وكان الموت نصيبي.

استيقظت الأميرة.. نادت على الحبيب .. صدى الغرفة كان نصيبها.. بحثت عن قلبها فجعت.. ذهلت لم تجده في صدرها.. طار وشتّ عقلها.. وخرجت تجوب الشوارع تمدّ يدها.. والصوت فيه انكسار ذلّ السؤال.

شجرة المرجان

كانت أنامل الحبّ.. وحسّ العشق.. وعشق الروح.. ترسم مركباً...هو مهندس.. بعين الحبّ يحلم ويعمل ويخطّط....كانت رائحة العشق تفوح من المركب.. تسكر البحر.. وتجمع المهندس والبحّار والصيّاد.. وكلّ من عشق البحر والسفينة والمركب...الجميع ينظر الى المركب.. والإعجاب باد في العيون.. والدّهشة عالية.....بارك اللّه في كل فكر ويد بنت هذا المركب.

كانت الحبيبة تتبختر على الشاطئ.. ومياه البحر تعكس صورتها.. حسناء.. حورية البحر.. طلّت على الشاطئ تستنشق عبير الهواء.. ولكن البحر لا يحبّ كل فخور مختال.. فهو الذي علم التواضع.. وكرم العطاء.. حمل على سطح مائه.. القارب والسفينة والمركب.. وأعطى الصياد السمك.. والغوّاص اللولي والمرجان وكل جائع من خيراته طعاما.

حقد البحر على الحسناء.. وحقد البحر موج هائج هادر مدمّر.

كان المهندس يمسك بيد حسنائه.. يصعد بها الى سطح المركب.. يشرح لها التفاصيل وكيف بنى المركب.. يؤكد لها أن شهر العسل بات قريبا.. سيقضيانه في عرض البحر.. على سطح المركب....حمل البحرالمركب على سطح ماء له نعومة الحرير.. فالبحر يقدّس الحب..

وقدّم لهما من بستان شجر المرجان إكليلا.. وقطع من فم الموج لسان الهياج وثورة كانون وتشرين.. وبدّله بلسان نيسان والنسيم العليل.... فكان المركب يسير.. وبساتين المرجان من تحته تنسج للعروسين أكاليل.

أسكر جمال بساتين شجر المرجان عين المهندس.. وخدّر النسيم العليل الحكمة والرويّة والإتزان.. وانطلقت السعادة والفرحة تقود المركب بسرعة مجنون فقد العقل.. وبات الخطر يحيط به من كل مكان.....ركض المركب على سطح البحر.. سلاحه الحبّ.. لقد كان مغرورا.

تطاير رذاذ ماء البحر حتى غطّى وجه القمر.. واخذت تجفّف وجهها النجوم...فاندهشوا مأخوذين بحماقة هذا المركب.. لقد استفزّت سرعته العاصفة.. ..وأشعلت في النوّ ثورة جنون.

لو أنه كان معقولا.. لنام الموج عند قدميه بالحبّ سعيدا.. وبالعشق مبهورا...تصدّت له العاصفة.. والنوّ كان في ثورة جنون....أدرك المهندس ثورة البحر.. فرد الشراع.. وحملت أجنحة الفراشات المركب الى أعالي الفضاء يطير.. وحطّت بالحبيبين على شاطئ الأمان.

نزلت الحسناء من المركب تمشي الهوينا...فقد علّمها البحر التواضع.. وحسن العطاء

وأخذت منها العاصفة البخترة والإختيال والكبرياء.

الغولة

الزمن .. في أواخر الأربعينات من القرن الماضي.. والمكان حيّ باب حطّة على قمة برج اللقلق.. حيث يقع بناء قديم.. قديم.. بعمر شجرة البطم التي كانت تظلّله.. وتكرمنا أغصانها بهبّات النسيم تهفهف بها على الدار.. فلا نشكو من حرّ الصيف.. الذي كان جيراننا يتأففون ويشتكون من قيظه.

في ذلك الزمن كان الخيال خصبا.. والخرافات تسود المجتمع.. خصوصا في الأحياء التي تقع داخل أسوار مدينة القدس القديمة.. حيث كيفما سرت تجد ضريحا.. أو قبرا في كل حيّ من تلك الأحياء تقريبا.. حيث كانت تدور حكايات وأحداث ألفها الخيال فكبرت وتعاظمت.. خصوصا وان كل أهل حيّ من هذه الأحياء كان يتعصّب لضريحه.. ويحاول أن ينسج حوله من الحكايا والأعاجيب والخوارق بما يتفوق به على أهل أضرحة الأحياء الأخرى، وحيث أنه ما زالت المعتقدات والجهل الذي أورثته عصور الانحطاط لأجدادنا ما زال مسيطرا.. حيث لا علم ولا مدارس ولا حضارة ولا ثقافة..فكان أهل ذلك الزمان يقعون ضحيّة الفراغ والخيال.. وتاليف خوارق ينسبونها الى الجان.. والغولة..والعمورة.. والرصد..وما شابه من حكايات.. ما أنزل اللّه بها من سلطان.

وقد كذب أيضا من قال.. أن الخوف سكن قلوبنا نحن الأطفال فقط.. فالحقيقة هي أن الكبار كذبوا الكذبة وصدّقوها.. فهم أيضا كانوا يرتعشون خوفا.. حين كان يحلّ الظلام على حواري وأزقة المدينة.. خصوصا وأن الغدر والقتل كان يقع في تلك الأحياء حين يسود الظلام.. وما تكاد أن تمضي أيام على حادثة قتل إنسان.. حتى تنطلق الشائعات والأيمان أن هناك من رأى رصد القتيل.. يتخبّط بدمه يستغيث.. وتنتشر الإشاعة.. وما يكاد أن يحلّ الظلام حتى يهرب الطفل خائفا يلوذ بحضن أمّه.. وكذلك الكبير الذي إذا ما اضطر أن يمرّ من نفس مكان حادثة الإغتيال.. حتى يكاد قلبه ينخلع من صدره خوفا.

في هذه الأجواء كنّا نعيش نحن أطفال ذلك الزمان.. عدونا الظلام.. والمسيطر علينا الرعب والخيال...ذات يوم وفي أجواء رمضان.. وقد كنا نسمع عن عرض فنون لعبة خيال الظل "أرجوز عواظ" يقدمها أحد المختصين بهذا المجال.. فقررنا نحن أطفال الحيّ أن نذهب الى قهوة "منى" في باب العامود حيث تعرض مسرحية خيال الظل وما كانت تنقصنا الشجاعة ونحن عصبة نتألف من حوالي عشرة أطفال.. ذهبنا الى مقهى منى.. وتوسلنا حتى أخذ منا صاحب المقهى ثمن نصف تذكرة، وجلس كلّ منا على كرسيّه ينتظر الفنان الذي سيقدم العرض.. ولكنه تأخر فشرعنا نتململ.. لقد ذهبنا دون إذن أمّ.. أو أب...ولمّا كنا لا نزال في منتصف العرض.. فإذا بصديقي الذي يجلس الى جانبي ينهض وصوته ملئ بالخوف..

لا أستطيع أن أتاخر أكثر.. فقد تذبحني أمّي وقد كان الصديق يتيم الأب.. وما كنت أنا أقلّ منه رعبا.. فتركنا المقهى وسرنا في طريق العودة.. وبينما كنا نسير ونحن نقرأ كل ما تعلمنا من

آيات الله البينات التي نعتقد لأنّها تحمينا وتبعد عنا أذى الشياطين والغولة والرصد وإذا بشبح يرتدي السواد.. يكاد سواده يذوب في سواد الليل....علا صوته يشق سكون الليل.. أين كنت يا ولد..والله لن تفلت الليلة من سكين الذبح.

سقط صديقي مغشيا عليه.. أما أنا فجلست على الأرض.. لا تقوى رجلايّ على حملي

اقترب الشبح من صديقي.. وسمعت صوت أنثى تصرخ بأعلا صوتها تستغيث...انفتحت الأبواب وخرج الرجال. يستعيذون بالله من الشياطين.. كل شاهر سيفا أو عصا.. فكان ما زال الزمان زمن السيف..أحضر البعض ماء يرشونه على وجه صديقي.. أما البعض الآخر فاستداروا نحوي.. وعشرات من الأسئلة كانت تنهال على رأسي.. أما أنا فلا لسان لي.. فقط عيون مشدوهة فقط تتحرك نحو كلّ لسان يسأل.. والأصوات مرعوبة مرتعشة.. تظن أن الجان أخذتنا ولسبب لا يعرفونه لماذا أعادونا.

بعد ان رشّوا الماء على وجه صديقي.. استيقظ مفزوعا يصرخ.. غولة.. عمورة.. رصد.. كشف الشبح الذي يتلفع بالسواد عن وجهه وحضن صديقي والصوت عال.. لا تخف يا

ولدي أنا أمّك.. تأخرت وانشغل قلبي عليك.. ودرت أبحث عنك...أمسك بيدي أحد الرجال يساعدني على النهوض.. وسرت مع أهل الخير حتى أوصلونا الى باب البيت.. وكنا أنا وصديقي جيران ..البيت مقابل البيت....طرقت العجوز أمّ صديقي باب دارنا.. وكأن أمّي كانت خلف الباب تنتظرني...وفورا علا صوت الجارة يطمئن أمّي.. الحمد للّه الأولاد بخير.. ثم أتبعت الحديث بلهجة السخرية.. قال كانوا يتفرجوا على "كركوز عواظ" يا أختي.

وما كان أبي قد حضر بعد من المقهى..فعادة رجال ذلك الزمان..أنهم كانوا يقضون

أوقاتهم في المقاهي.. حتى يسمعوا صوت مدفع السحور.. فيتركوا المقاهي.. ويعودون الى بيوتهم.. يتسحرون وينامون.

أمّا أنا فقد أخذت من أمّي من اللعنات.. ما لم آبه له..لكن لدغاتها أوجعتني.. آلمتني.. خلّفت بقعا زرقاء على أنحاء جسدي.. ومع ذلك رضيت.. شرط أن لا تخبر أبي.. ولكن أمانة الزوجات في ذالك الزمن.. ما أخرت الخبر.. وكانت ليلة لم أتمنى مثلها لعدوي...كان نظام المراحيض في ذلك الزمن خارج الغرف.. وكنت إذا أردت التبول..أذهب شجاعا الى المرحاض وحدي.. أما بعد ذلك اليوم.. فما كنت أذهب الى المرحاض إلا ويدي بيد أمي.

كـان الخـوف يدخـل صـدري مع بداية مـغيـب الـشـمـس.. وذات لـيلـة أيقـظـت أمّـي لـتذهب مـعـي الى المرحاض.. لـكـنـهـا اسـتـغـربـت.. مـا أمرك يا ولـدي؟ كـنـت تـذهـب وحـدك الى المرحـاض قبـل الـيـوم بسـنـين.. وأصـرّت أن أذهـب الى المرحـاض وحـدي.. فبُلـت في فـراشـي.

لا يفلّ الحديد إلا الحديد

هو صاحب مصنع.. مال وعمّال وإنتاج وتوزيع.. المصنع كبير.. والعمل أكبر وهيبة رب هذا العمل صاحب المصنع.. فوق ما تتصوّر.. جبروب.. والمبدأ (الشّفقة والرحمة تؤخر الإنتاج..والعمل يتضرّر).. والدولة أولى بالمريض.. واللّه بالإنسان ارحم.

بهذا العنف والجبروت والمبدأ.. كان الرجل يدير المصنع.. وكان دائما هو السباق

والرجل الأول....جاء يوم احتاج فيه المصنع الى موظفين وعمّال.. فكان طلاّب الوظيفة والعمل يقفون صفا طويلا أمام باب المصنع.. وما كان عنده لجنة اختيار.. ولا يسأل عن شهادة علمية..أو شهادة حسن سلوك.. كانت ثقته بالنفس.. وعين ثاقبة.. وفراسة

لا تخطئ.. هي التي ترفع وتخفض.. تختار.. أو تقصي وتبعد.

كان يجلس على كرسي ضخم يليق بهيبته ووقاره.. يدور دورة كاملة **360**درجة

يأمر الآذن أن يدخل صاحب الطلب.. يدخل صاحب الطلب.. فيستقبله بظهره..ثم يستدير فجأة نصف دورة.. جالسا على

كرسيّه يواجه صاحب الطلب.. والعادة أنه يضع علبة سجائر على الطاولة ويتعمّد أن يسقطها على الأرض.. ويركّز عينيه على صاحب الطلب.. فيجد أن البعض ينحني بسرعة وخفة يناوله بأدب علبة السجائر.. ويجد البعض يبقى في مكانه.. فيطلب منه أن يحضر علبة السجائر إلا أنه في هذه المرة .. تقدم إليه شاب كالعادة يطلب الوظيفة.. فأسقط علبة السجائر ولاحظ الشاب أنها عملية اذلال.. وأنه أسقطها عامدا متعمدا.. فما تحرك الشاب من مكانه.. ينظر إليه بثبات وثقة.. والعين جريئة.. فيها تحدٍ وندّية.. ولم تسقط الى الأرض.

فقال له الرجل بلهجة أمر السادة:- هات علبة السجائر.

شعر الشاب بالإهانة.. وكان لهذا التسلط والإحتقار فعل سكين.. فتح له جرحا في

عزّة نفسه وكرامته....فأجاب بلهجة فيها المرهم الشافي لعزة نفسه وكرامته:

- ما جئت لأشتري لنفسي سيدا.. وما جئت من أجل أن أبيع نفسي تابعا.. انعم بمملكة عبيدك أيها الملك.. والله لا يرضى بصحبتك كريم.....واستدار يخرج من حضرة صاحب المصنع..

كانت كلماته قاسية استفزّت أعوان صاحب المصنع.. فاندفعوا إليه يحاولون تأديبه.

إلا أن صوت صاحب المصنع علا.. يمنعهم من الإقتراب منه أو إيذائه.. وطلب من الشاب أن يتقدّم.. وطلب منه أن يجلس على الكرسي المقابل...فاستغرب كبير الحرس.. وهو يعرف الغطرسة والقسوة والشدة عند سيّده.. حين أمره أن يبتعد عن الشاب وقال:

- منذ سنين طويلة لم أقابل رجلا.. دعه وانصرف.

وأمر الموظف المسئول عن قسم الوظائف.. أن ينهي المقابلات

فقد استوفى المصنع كفايته....مضت سنوات قليلة.. وإذا بالشاب يصبح شريكا في المصنع.

ما عاد للبحر هيبة

دخلت البحر تتحدى.. نسيت أنها ليست الندّ.. وليس لديها القدرة.. إنّما كان الرهان على الروح.. إما أن تعود بالحبيب.. أو السكن في قعر البحر حدّه.

غرقت السفينة ..لم ينج إلا القليل.. وغرق الكثير.. ولم يكن لها من حبيبها البحّار

سوى الخوذة.. تطفو على سطح الماء.. واختفت الجثة.

وصل الماء حدّ العنق .. نادت.. وانطلق صوت الرعد من حنجرتها.. والعين كانت لمعة البرق.. تسبر غور البحر.. علّها تجد ضالتها.

دخلت بين الموجة والموجة.. ومشت على كل حبة رمل وصدفة.. وفتحت فم الحوت علّها تجد في جوفه بعض كلمات في قلب الحبيب قد أودعتها.

وعاشت مع الضياع تنتظره مدة.. حتى أكل الصبر منها العقل.. واستجار البحر واستعاذ بالله منها...أعادها الأهل والأحبة الى البيت عنوة.. ولكنه في قلب الليل جاءها صوت الحبيب يسأل النجاة والنجدة....تسللت الى البحر والغضب يتطاير شررا من عينيها.. غريمها البحر.. حطّم السفينة...والضحيّة كان حبها.

نسيت حجمها.. واعتمدت على قوة أعظم من جبروت البحر.." حُبّها".

ومرت الأيام والأهل يسألون عنها والأحبة.. وما علموا أن الصراع ما زال بينها وبين البحر سجالا.. يوم لها ويوما عليها.. الى أن وجدت الحبيب يسكن صدفة لؤلؤ.. حملتها.. فعزّ على البحر صدفته.. فجنّد لها جحافل الموج وأغرقها.. أخذ البحر صدفته ورماهما خارج مائه الى الشاطئ.. ليكونا عبرة لمن يتمرد على مشيئة البحر.. حتى ولو كان الضحيّة أحبّة.

الرجولة خط أحمر

وقفت تستعرض جمالها.. كوردة أمام البستاني..وتنثر عطرها تغري فراشات البستان..

كفتاة جميلة تتباهى بكثرة الأحبة والعشا...- أنا الوردة تمردت على البستاني..جئت إليك .. لوّنت بتلاتي...ملأت بالعطر قواريري...وخلعت عن عنقي الطويل أشواكي

لِم.... الصدّ حبيبي.. وأنا الهديّة التي تشتهي فوق كرامتي وكبريائي.. أتيت إليك على ورق الورد أقدّم لك العمر هديّة حُبّي واشتياقي...ذنبي مغفور.. هكذا قال لي البستاني..ودمهُ ينزف من إصبع علقت به أشواكي..والغفران يقف خاشعا.. يُسبّحُ مبهورا بشذى عطري...والطيف هدية الشمس جمال ألواني....قال الفتى حازما يُشيح الوجه عنها:-

لا تستجدي الضمير.. ولا تستدري عطفي وحناني...ولا تقصدي ضارب الرمل.. ولا قارئة الفنجان....فمفعول السحر توقّف.. وفقد سلطانه عند حدود صبري...والسماح وكثرة غفراني.

الجان أعجزها حبّ مسكون بالغموض .. وأسرار سنين حياتي يا وردة أغواها الجمال.. واقتربت من حدود شهامة الرجال...أنا والأسر عدوّان.. حبّك سجّان.. زنزانة وجنازير وأقفال

الشك في عيونك بحار.. وكلامك الصعب جمر نار...كيف نلتقي وأنا الفراشة.. عشقت زهور البستان...ورشفت الرحيق من شفاه الورود أشكالا وألوانا...يا رحيقا ما عاد فيه دواء وشفاء.

الخيانة أطفأت ألوان طهرك.. وما عدت وردة فيها لمعة ولا ضياء...وعطرك بات ثورة إعصار.. دمّر سفينة الحبّ...والحياة معك أصبحت غذابا وشقاء.

عاشقة القبطان

على صخرة عند حافة ضفة النهر.. عادت لتجلس الى جوارحبيبها الصياد.. وحروف التوبة مغموسة بدموع الندم.. تطرق باب قلبه.. ولكن هيهات لقلب مخدوع أن يغفر.

كان قد خطف قلبها منظر القبطان والمركب.. حين توقف المركب عند حافة ضفة النهر .. فانطلقت مبهورة تتحدث مع القبطان.. أمسكت بيده تصعد الى سطح المركب.. ثم اتجهت ناحية حافة المركب تلوّح لحبيبها الصياد بيدها .. ويعلو صوتها بكلمات الوداع التي كانت تسقط في ماء النهر دون أن تدري.. مأخوذة بمنظر القبطان وضخامة المركب:-

--- انتظرني .. هي ساعة زمن أجوب بها النهر على هذا المركب وأعود اليك حبيبي ..ولكن النهر كان طويلا.. والإرساء على حواف النهر كان كثيرا....ثم اقتربت منه اكثر توسع لنفسها وتأخذ من الصخرة مكانا أوسع.. تحضنه وتطوّق عنقه بدلال:-

أقسم لك حبيبي أنني كنت ضحية لطول النهر .. وقبطان كاذب.. قال هي ساعة من الزمن وتعودين الى الصياد حبيبك.. هي جولة في النهر ليس أكثر، فهل لهذا الخطأ غير المقصود من غفران..؟؟.. أرجوك اصفح ولا تتكدّر.

كانت فترة الغياب طويلة.. أشرقت الشمس عليهما وهما في طريقهما الى النهر..وها هي تغطس في الطرف البعيد الآخر من النهر، وكان قلب الصياد قد اشتاق .. فانطلقت كلمات الشوق مغموسة بالغفران والسماح....وبينما كان الحبيبان يتبادلان كلمات حب محموم حروفه من نار.. تزيدها القبل اشتعالا.. فإذا بصفير المركب يدوّي .. وينتشر في أجواء المكان.. وحديث الحب المغموس بنار الحب يصمت.. وتُفلتُ الحبيبة شفتيها من بين شفتيّ الحبيب.. وعيناها الوالهتان بعيون الحبيب تهرب تجاه النهر والمركب.. نهض الصياد يحمل

سلّة رزق يومه من الأسماك:-

ما عدت بحاجة الى جسد دون قلب وروح.. توقف المركب.. وها هو القبطان يلوح لك بيده.. هيا اذهبي إليه لتعيشي فضلة الزمن من حياة قبطان.. تنتظره على رصيف كل ميناء عشيقة.

بائع كلام

رسم لها القمر على كف يدها كلمات.. حروفها من ضوء نجمة وزغردت فرحة لها السماء

ورسم لها الشمس على كف يدها الآخر أيضا كلمات.. حروفها من انفجار براكين

الشمس مليئة بآهات الوجع والأنّات.. وفرش لها الأرض بساتين.. وأهداها جناح العصافير.. وقدّم لها الحلم الجميل أرجوحة من كلمات تطير بها حدّ السماء.. تعانق القمر والنجمات.. ولكن المسافة كانت أياما وشهورا وسنينا.. حتى ذاب الصبر في ضباب الأحلام.. وأطلّ برأسه الواقع مريرا من خلال كوابيس ووعود وعهود وطول انتظار.. وكان الحساب عسيرا.. ردّت له الجناحين.. وعبأت الكلمات بكيس.. ورمته في البحر غريقا.. فإذا بكلمات جميلة بريئة تطفو على سطح الماء تسأل:-

--- "وإذا الموؤودة سُئلت بأي ذنب قُتلت" صدق اللّه العظيم.. فهي الكلمات الجميلة التي خلقها اللّه لتجمّل حياة الإنسان.. فاستغلها الفتى لغير ما خلقها اللّه من أجل غرض في نفسه.. فهل تستحق أن تكون ضحية ذلك المراوغ الشرير..؟؟

رسالة أرهقت قلمي

بعد رسـالات أرهقـت قلمـه.. وقصـائد غـزل كـثيرة أشـفقت عليه.. ومتابعة أشقت قدميه.. وافقت ابنة الجيران على موعـد ضربه لها جارها الموله المعذب.

هناك في إحـدى زوايـا الحديقـة.. جلسـا علـى مقعـد خشـبيّ مستطيل .. تظلهما شجرة وارفة الظـل تحجبـهما عـن عـين الفضـولي والغيـور والحاسـد.. إلا مـن عـين عصـفور كانـت تراقبهما.. فكان تغريده يتناغم مـع الكلمـات الـتي حفظهـا الفتى من كتـب الشـعر والغـزل.. فكـان في ذلـك سـحرٌ جـرأ الفتى على أن يمد يده ليمسك بيدها التي كانت قـد خـدّرتها الكلمات والنظرات.. وهربت بها الى عالم عـذب لذيـذ لم تطـأ عتبته حتى في عالم الأحلام.

تاه الجار والجارة عن نفسيهما.. وتواجهـت العيـون مـع العيـون تقرا المجهول.. والأذن ما عادت تسمع سـوى تغريـد العصـفور.. ولوعة عذاب غزل مجنون.. واقتربت الشفة مـن الشـفة.. وتـاه الجاران في قبلة.. لم يصح منها الفتى إلا على صـوت الفتـاة ثورة:-

ويحك أيها الشقي أدخلتني نار جهنم.. أغرب عن وجهي .. أنـت إبليس بكلامك الساحر أغويتني.. ونهضـت تبتعـد عنـه تـردّد سأغسـل خطيـئتي بالتوبـة.. سأغسـل خطيـئتي بالتوبـة.. عسى أن يغفر اللّه لي ويقبل توبتي.

تبعها الجار العاشق يعتذر.. أقسم لك أن القصد شريف.. وأنه بعد هذا اللقاء زواج أرجوك توقفي وافهمي.. أبعدته عنها والندم دموع تذرف من عينيها.. واستمرت توسع خطواتها بعيدة عنه....حدث كل هذا والعصفور يراقبهما بعين الأسف والحسرة.. فطار بعيدا عنهما ولتغريده طعم لون الأسى والحزن.

وما ان بدأت عتمة سواد الليل تحتل الكون .. حتى طرق الجار باب جارته ومعه جاهة تليق بالجارة التي أحبّها.. طلب يدها فوافقت وتمّت الخطبة.. وبالسرعة الممكنة كانت الزغاريد تملأ الحيّ فرحا بزواجهما.

ومرت الأيام تتبعها الأشهر والسنون وهي تتهمه وتُعايره وتعاتبه.. أنه ما عاد يعرف مثل كلمات الغزل التي كان يُغازلها بها بالحديقة .. ولا عاد يعرف أن يُقبّلها مثل القبلة التي قبلها في ذلك اليوم.

وانفجر القلب بركانا

نظرة فقط وتزداد دقات قلبه.. ويعلو صوت نبضه.. وتتوتر أعصابه .. ويتوه العقل عن صوابه.. ويتعثّر الكلام على لسانه.. حتى يصل الى حدّها.. قريبا على بعد خطوات منها.. فيرتد متعثر الخطوات من حيث أتى.. يدسّ الرسالة في جيبه.

هي جميلة.. اللحظ جارح.. والشعر شلال من قلب عمق عتمة الليل سواد فاحم.. العنق أبيض.. والخدّ شرب من رحيق ورد احمر.. الصدر ناهد.. والردف يتناغم مع خطوات رشيقة.. طاؤوس غرّه الجمال فباتت أكبر من كلمات الغزل.. وما عاد يعجبها أحد.

تكرر هذا المشهد من الفتى وهو ذو أصل وحسب ونسب.. المال وفير.. بحر من الملايين .. لا ينقص ولا يتأثر مهما بذّر وأغدق وبعثر.

لاحظته الفتاة دائما.. في كل مرة يتقدّم ويتأخر.. في يده رسالة.. اليد ترتعش والوجه يطفح بالدم من الخجل أحمر.. اهملته فالحسان دائما يتعرّضن لشباب يتأوه ويتحسر.

أمّا الفتى فقد رأى فيها زوجة.. لا أجمل ولا أرق ولا أطهر.. فهو طالب الحلال

الذي هيأ نفسه لبناء أسرة.. فقد آن الأوان أن يكمل نصف دينه.. بل قد يكون تأخر، ففكر برسائل الحبّ والغرام يغمز جانبها.. ولكنه عاد وألغى الفكرة.. فالمال وفير.. والإغراء فيه أكثر.. فابتاع سيارة يقدّم لها مفاتيحها هدية بدء المعرفة.. يُتبع الهدية بسؤال.. طالب حلال أتقدّم لطلب يدك.. هل تقبلين بي زوجا..؟

اعتمد هذه الفكرة ينفذها بحذافيرها كما خطّط.. يقدّم مفتاح السيارة هدية..يتبعها بكلمات جميلة ترغب كل فتاة أن تسمعها.

في الصباح الباكر.. وفي الموعد المحدّد الذي تقف فيه الفتاة على الرصيف تنتظر أيّ سيارة أو حافلة تقلها الى مكان عملها.. وكانت قد تأخرت عن موعد العمل.. أعصابها مشدودة.. تشتم وتلعن أزمة السير.. فوقعت عيناها على الفتى يتقدم نحوها.. وكان قد ضاق صدرها به.. فلم تجد أمامها أحدا تفرغ جام غضبها به سواه.

فما أن وقف أمامها وفمه مليء بالكلام.. وقد واتته الجرأة.. حتى انفجرت به ثورة

ألم تكبر على رسائل العشق والغرام.. وحركات الرجل الجبان..؟ العصر عصر السرعة والجرأة والإقدام.. الليلة ب..**100** دولار.. لا فصال.. موافق..؟؟

أعاد الفتى مفاتيح السيارة الى جيبه.. وعاد الى بيته تائها يتعثّر يحادث نفسه ياااااااااااااه..كم أنا مغفّل أهبل.

فارس القلم

فارس القلم تعثّر.. وقع في الحبّ.. قالوا أصابته لوثة.. .. فجّر الحبّ قلبه.. العقل غاب.. وقال البعض تدمّر.. أو أنه عبث بقلمه شيطان الشعر.. فباتت ريشته من جمر.. والقصيدة نار جهنم.. كلمات كان يصبّها في قلب الحبيبة ساعة غضب.، أو إذا دخل الشك قلبه.. والأمر تأزّم.....كان الغرور قد أوحى له .. أنه الشاعر الذي إذا أخطأ .. فالذنب دائما له يًغفر.. وما كان يدري أن كلماته كانت حطبا .. أحرقت القلب وغلّفته بحقد أسود.

هجرته بعد ان أشبعها كلاما.. والحلم تبدّد.

وداعا يا رجل الكلام.. وداعا يا رجل الأحلام.. خذ جناح الوهم عنّي وارحل.. سماء القصيدة ضاق بي.. وما عدت الحبيبة التي تشتريها بالكلمات.. وحرفك بات سهما أينما حلّ جرح ونزف وأوجع.

ولكن ما كان لكلماتها صدى في قلب الفتى.. فهو فارس القلم الذي تزحف على بطنها الحروف والكلمات ليخطها على صفحات التاريخ.. ليكون لها عمر الزمن الأطول.

أصرّ على أنّها انتحرت .. ماتت بعد أن اتخذت هذا القرار الأغشم.. فكفّنها بقصائد كلّ حرف فيها غسله بدمع العين.. والكلمة من القلب دم أحمر.

تزوج وطلّق.. وأعاد الكرة مرة ومرة.. وأبقى على زوجات ثلاث.. وانطلق يبحث

عن شبيهة للحبيبة.. ولكنه كان يفشل.

ذهب الى سوق النخاسة.. واشترى بستانا من الجواري .. كان كلّ من فيه لا أحلى ولا أجمل.. قطف جميع زهور البستان.. لكنه كان يفتقد وردته الأجمل.

تاه واحتار ماذا يفعل..؟ وإذا به يرى الجمال كلّه في فتاة كانت في الشارع تمشي وتتبختر.. تبعها وكانت خطواتها على أوتار قلبه تتنقّل بخطوات الدّلال .. ترسم حبّا ظن أنه المستقبل وحياة أجمل.

طرق الباب وطلبها زوجة رابعة.. وكانت الأشد دهاء.. والأخطر مكرا.

ذاق الرحيق من على ورد شفتيها.. ولكن النّدم عاوده .. وعاد يتكدّر.. فالحبيبة كانت قمرا وهذه شمعة.. الحبيبة كانت دفء الربيع.. وهذه شهر كانون.. الثلج يغلّف القلب .. والجسد من البرد تجمّد.

ترك الجواري والزوجات الأربع وعاد يبحث عن شبيهة للحبيبة.. وكان التائه عن روحه.. عينان ترى.. وأرجل ملّتها الطرقات تبحث.. وقلب مُدمّر.

ولكنها الزوجة الرابعة.. الكرامة وعزة النفس تعالت في صدرها.. فاتفقت مع الزوجات الثلاثة.. وأخذنه تائها الى سوق النخاسة وعرضنه للبيع عبدا.. فما اشتراه أحد.. كانت الجواري وزوجاته الأربع قد تحالفن مع الزمن.. وأكلوا منه الأخضر واليابس.

صوت من المجهول

قصر جميل فخم.. يقع على مرتفع.. تحيط به غابة من أشجار الصنوبر على شكل دائرة شاسعة واسعة.. تنام تحت سطحه الشرقي المدينة ممتدة الأطراف واسعة..ويجاور سفحه الغربي نهر عريض غزير المياه سريع الجريان.

مع طلّة كل شروق تمدّ الشمس أول خيوطها تصافح القصر.. فهو أوّل مرتفع تقع عليه عين الشمس في تلك المدينة.. أمّا القمر فهو الذي يفلت يديه من عقارب ساعة الزمن ليقف منبهرا بجمال القصر.. غير مبال بالزمن إذا ركض وخلفه وراءه.

الطريق ترابي ضيّق وعر من طرف غابة الصنوبر حتى صور القصر.

القصر جميل تعشقه العين .. ومخيف تهابه الروح.. وتكتئب منه النفس حين يصبغها الليل بسواد عتمته.

يسكنه اثنان فقط.. عجوز قضى عمره بين الكتب يبحث عن الحكمة.. وخادم أمين لم تغفل عينه عن مولاه أبدا.. إلّا ساعة أن يلبي له حاجة.. .. أو ساعة أن يذهب الى السوق ليشتري حاجات القصر.. أو ما يحتاج إليه سيّده من كتب ودفاتر وأقلام وحبر.

مات الرجل الحكيم.. واختفى الخادم الأمين..ولما لم يكن لهذا الحكيم من وريث سوى واحد.. عاش مستور الحال من رزق حانوت يبيع فيه كلّ ما تحتاج إليه البيوت من أدوات فخارية .. قرر أن يرتقي ويعيش حياة الحلم.. حياة من يملك مثل هذا القصر العظيم.. والمال الوفير الذي ورثه عن جده.

كان الحفيد نشيطا.. شديد الحماس للإنتقال الى حياة الترف والوجاهة والبذخ بعد حياة عسر قضاها شحيح الرزق.. دخله لا يكاد يكفي بيته.. ودفع غائلة الجوع عن نفسه وزوجته وأطفاله.

قبل أذان الظهر كان قد نقل كل ما يحتاجه من بيته الى القصر الجديد يتوه في إتساعه.. وجمال محتوياته.. وروعة إطلالته على المدينة شرقا.. وعلى جمال النهر ينساب غربا.

وما أن بدأت الشمس تختفي خلف أشجار غابة الصنوبر.. ولا يظهر منها سوى خيوط نور ضعيفة تدخل من خلال فجوات أغصان أشجار الصنوبر.. ثم تعود لتختفي في لون شفقورديّ أحمر .. ينام على سطح الأفق البعيد حزينا.. حين يبتلع البحر قرص الشمس .. وتتوه في سواد الليل معالم المدينة.

مع دخول عتمة الليل الى غابة الصنوبر.. انفجر فجاة صوت روح تتعذب.. كأنها روح شيطان تكتوي بنار جهنم.. نبحت الكلاب.. وعوت الذئاب وهجرت الطيور أعشاشها وفرّت..واختلطت أصوات الرعب تشعل الرّعب في القلوب.. كلّ

تائه يركض الى حيث لا يدري .. فالقصر بات جحيم جهنم.. والحفيد المسكين خذله الحلم وبات يركض هو وأسرته في الطريق الوعر يتعثّر.

كانت الأصوات عالية تصمّ الآذان.. أدخلت الرعب في قلوب الجيران.. جافى النوم عيونهم.. وشوّش عقولهم.. وأشقى أرواحهم.. فالليل أصبح كابوسا يدخل القلب مع ساعة الغروب.. والعيون ما زالت مفتوحة يقظة.. كل يقفل باب بيته على نفسه.. منذ ساعة الغروب حتى طلة الصباح.. وصوت عذاب هذه الروح رعب لا يكنّ ولا يهدأ.. الى أن وصل الأمر بكثير من الجيران القريبين من القصر الى هجر بيوتهم.. والفرار خوفا من نار جهنم التي توقد حطبها منذ ساعة الغروب حتى طلّة الفجر.. تعذب أرواحا شقيّة.. مما اضطر الحفيد أن يعرض القصر بأبخس الأثمان.

ولكن مَن هذا الذي يجرؤ أن يعيش مع نار جهنم وروح تتعذب.. أعرض الناس عن شراء القصر.. إلا رجل واحد كان يحفظ القرآن ويعرف كيف يتعامل مع الجان.. اشتراه فرحا بثمن بخس..واثقا أنه بعلمه سيستطيع أن يطرد الجان وينعم بالقصر.. إلا أنه وفي نفس الليلة التي دخل فيها القصر.. فرّ بروحه تاركا كتبه وكل ما أوتيّ من علم السحر ينجو بنفسه من رهبة تلك الأصوات..

الى أن بات القصر معروفا بإسم القصر المسكون.. لا يفكر أحد بشرائه.. أو السكن بالقرب منه.. الى أن سمع بالقصة

رجل قويّ مؤمن.. شديد الثقة بالنفس.. لا يؤمن بالأشباح ولا بالأرواح.. ويعتبر الأمر لا يزيد عن خرافات وخزعبلات وتهيؤات.. فاشتراه من الرجل الساحر العالم أيضا بثمن بخس.

دارت الشمس دورتها وغشت المدينة شفافية الغروب..ثم عادت شدّة عتمة الليل تحتل الكون.. وبدأت أصوات الرعب كالعادة تنتشر في الأجواء المحيطة بالقصر.. يزيدها رعبا صدى رجع الصّدى في غابة الصنوبر.. لم يدخل قلب الرجل خوف.. أو تحدّثه النفس بانسحاب أو تراجع.. وإنما أخذ يصخي السمع يقظا يتبع الصوت حتى عرف مصدره.. غرفة صغيرة في طرف زاوية القصر الجنوبية.. كان قد اتخذها الحكيم صاحب القصر مخزنا يضع فيها كل ما يستغني عنه من حاجيّات.

حاول الرجل أن يفتح الباب.. فوجده مقفلا.. طرق عليه عدة طرقات.. وطلب ممّن في الداخل أن يفتح الباب.. لكنه لم يتلق سوى زيادة من صراخ أصوات العذاب..ومع ذلك فلم يدخل قلبه خوف.. أو ميل للتراجع.. بل زاد إيمانا وشغفا في اكتشاف المجهول.. فالرجل رابط الجأش قوي القلب والبدن.. دفع الباب بقوة.. وإذا به يفاجأ بالخادم الأمين للرجل الحكيم في زاوية الغرفة.. فعلا صوته.. أنت..؟

سأقدمك لأهل الحيّ يجمعون حطبا ويوقدون نارا .. يعذّبون بها روحك.. كما عذبت أرواحهم.

قال الخادم برباطة جأش مظلوم له حق:-

--- قبل أن تسمعني أيها الرجل الشجاع..؟

خفض الرجل صوته وتراجع قليلا .. يرى أنّ من حق الخادم أن يدافع عن نفسه.

--- يا سيّدي قضيت خمسين عاما في خدمة الرجل الذي أقسم لك أنني لا أعرف حتى اليوم إذا كان حكيما عاقلا.. أم مخبولا مجنونا.. تعرفت مدّة هذه العشرة الطويلة مع هذا الرجل على جميع متناقضات الحياة .. تعرّفت على جميع عذابات الدّنيا والآخرة.. وهذه الآهات والصرخات التي كنت تسمعها ليست سوى من وحي شقاء حياتي مع هذا الرجل.

عاش معنا حفيده الوحيد عدة أيام فقط.. وكان لا يملك ثمن رغيف الخبز.. لكنه فرّ من القصر.. ينجو بنفسه.. وفضّل الجوع على الحياة مع جدّه.. حين طلب منه أن يقرأ كتابا عدد صفحاته **1200** صفحة في مدّة يومين اثنين..ويلخصه في صفحات قليلة.. كان يمنع عنه الطعام لمدة ثلاثة أيام.. بحجّة أنه يجب أن تكون عنده مناعة وإرادة ضدّ الجوع فيما لو قست عليه الدنيا فلا يمدّ يده ذليلا لأحد.. وكان أحيانا يأمرني أن أقدم له "سخلا" صغيرا يصرّ عليه أن يأكله.. خوفا من أن تخونه نفسه يوم ضائقة وتشتهي نفسه الطعام.

كان له عشيقة يضربها حتى يُغشى عليها.. وعندما كانت تهجره.. كان يُبكيه الندم بكاء مرا.. ويتوسل اليها توسل

الذّليل المهان حتى ترجع إليه.. كان يشتري لها الذهب بآلاف الدنانير ساعة رضا.. ويعود فيسترده ساعة غضب.

عندما كان يعاوده الحنين إليها .. كان يرسلني إليها.. والويل لي إذا عدت بدونها..كان يسلخ جلدي بضربات كرباجه دون رحمة.. ويعيدني إليها فأذهب متوسلا أكشف لها عن أوجاع جسدي.. فتلين أحيانا.. وترفض أحيانا حين يتملكها الخوف من ثورة غضب مجنونة تكون فيها الضحيّة.

كان أحيانا في ساعة غضب يجلدني ويطردني.. فتثور عليّ كرامتي.. وأعزم أن لا أعود إليه.. ولكنه بعد ساعات كان يعود إليّ متوسلا توسل العبد الى السيد.. فتلّح عليّ العشرة بالعودة.. وتحذرني نفسي من ساعة جنون قد تكلفني حياتي.. لكن وبعد حوار مع النفس تتحالف العشرة مع العاطفة وأعود الى القصر طائعا مسلوب الإرادة.. وكأننا التوأم الذي خلقنا اللّه حتى لا ننفصل عن بعضنا.

يمسح الخادم دمعة.. عشت سيدي خمسين عاما مع هذه العذابات.. أبَعدَ كل هذا هل تجد من هو أحق مني أن يكمل ما تبقى له من عمر في هذا القصر مع ذكريات رجل عجيب الأفعال.. غريب الأطوار, لا أعرف حتى هذا اليوم إذا كنت أحبّه.. أم أكرهه..؟؟ ولكنني أشعر أنّني سأموت لو ابتعدت عن هذا القصر.. فحياتي بعد هذا العمر الطويل التي قضيتها معه.. أصبحت مربوطة بكل ما يحتويه .. حتى حجارته.

ثورة عاشق

هو الرجل الذي قال فيه اللّه سبحانه وتعالى.."عبس وتولى".. خصام بينه وبين البسمة.. عداوة بينه وبين الضحكة.. في صوته نفير حرب.. وعداوة للسّلم.. ما تعرّف لسانه على كلمة حبّ.. ونسي حروف المؤانسة والودّ.. ونفرت أذنه من كلمة حنان .. أو عطف.. وطالت يده لا تسمع كلاما للعقل.. وإن جست بين شغاف قلبه لا تجد فيها مساحة للرحمة.. فالمكان ما زال مجهولا..لم تتعرف عليه بعد عواطف إنسان سموم همسها أبوه في أذنه.. ورأى رؤى العين أمّه في زاوية البيت كتلة لحم تنطوي على بعضها ترتجف خوفا .. يحيق بها شر مستطير.. والإستغاثة كانت تمر على قلب أبيه مرور الجار اللئيم.."يا جاري إنت في حالك وأنا في حالي"..لا يعير لدمعة وزنا.. ولا شفاعة في قلبه لصرخة ألم.. هي مبادئ الرجولة.. وأبجديات حروفها.. دروس كان يعلمها الأب لإبنه كيف يكون سيّد بيته.. وطاغية الرجال على أقرانه.

دخل الشاب الدنيا وتزوج من فتاة تخجل الوردة من حُمرة خدّيها.. ويذوب النسيم في أريج عطرها.. ويغار الحسن من جمال قدّها.. ويتعلم العصفور من لحن تغريدها..إلا أن هذا الشاب دخل.. وأدخل معه لسان أبيه.. وخشونة صوته.. وجبروت يده..فشكت الرقة منه.. وعافه الورد.. ونفر من صوته

العصفور.. فذبلت الوردة.. ونفر شوكها.. وما هانت عليها كرامتها.. فعافته وكان الخصام بينهما شديد....وتصادف أن كان جار لها شاب ضابط وسيم.. له المركز والمكانة فالرتبة عالية.. وله في الدولة شأن كبير.

كان الشاب الضابط شهما.. تدخل مرات ومرات يصلح ذات البين بينهما.. حين كان يسمع صوت إستغاثة الزوجة.. فلامه وهدده حين اشتط في الأذى.. أنّ للقانون رأي لمثل هذا التعسف والجنون.. واقترح على الزوجة أن ترفع على زوجها شكوى.. فرفضت أن يكون زوجها من أرباب السجون..لكنها رأت في هذا الضابط حماية.. فأخذ القلب يميل إليه ويطمئن له....ولما كان الشبّاك مقابل الشبّاك.. كانت تتقبل منه تحيّة الصّباح بالمحبّة والترحاب

ولكن ناقوس الخطر أخذ يتردد بين تلافيف الدماغ منذرا بعواقب هذه التحية التي أصبحت تستعجل من أجلها الصباح، لتأخذها نديّة مع نسمة الصباح.. حاولت أن تمنع نفسها وتتوارى عنه فعجزت.. فالتجأت الى زوجها ترجوه أن يعفيها من إنتظاره على الشبّاك ساعة عودته.

إلا أنه غضب وعلا صوته مستنفرا رجولته.. يرفض طلب زوجته محاولة التحرّر من عبوديتها، وأصرّ أن تكون في استقباله.. فهو يعشق مراسيم استقبال العبد للسيّد.

كان في هذا فرصة للقلب كبيرة.. سيطر فيهاعلى العقل.. يستقبل كلمات الغزل الرقيقة الناعمة بشغف وحبّ من الجار الضابط.. صاحب الكلمة الجميلة.

مرت الأيام وثورة الحبّ تكبر في قلب الزوجة.. وحسّ الكرامة ينفر من بشاعة الكلمة.. والجسد يرفض قسوة الضرب والإهانة.. فطلبت الطلاق.

وما أن مضت أيام العدّة.. حتى انتقلت زوجة الى بيت الضابط.. تقفل شبّاكها في وجه زوجها القديم.. كلما التقت العين بالعين عبر الشبّابيك.

أمّي..هل تُحبيني..؟

يوم ترونها تذهل كل مرضعة عمّا أرضعت.. وتضع كل ذات حمل حملها.. وترى الناس سكارى وما هم بسكارى.. صدق اللهّ العظيم.

هي قصّة من آلاف القصص التي حصلت في ذلك اليوم من أيام النكبة الفلسطينية من عام **1948** التي تشبه هول يوم القيامة.

في ذلك اليوم الذي تاهت فيه حتى الأيام عن أسمائها من تلك السنة.. دخلت إحدى

العصابات اليهودية قرية "كفر كنّا" شمال فلسطين.. وأخذت بعض رجال القرية.. هي ساعة من الزمن نسألهم بعض الأسئلة ويعود كل الى بيته.

هكذا قال الضابط .. وكان على وجهه مسحة سماحة .. وفي الصوت طمأنينة.

ولكن الساعة طالت أياما.. وأمّ سليمان تنتظر عودة زوجها كباقي الزوجات يتقلبن على جمر الإشاعات..بين أمل ويأس.. حياة وموت.. الى أن نهضت فزعة على طرقات الباب قبل الفجر.. في عتمة الليل العميقة.. فهجمت عليها أسئلة

كثيرة سريعة لحوحة.. البعض فيها التفاؤل.. والبعض فيها الخوف.. سؤال يستقبله القلب فيفرح ..لا بد أنه أبو سليمان عاد وعادت معه الحياة.. والبعض فيها الخوف يستقبله العقل بمنطق أحداث تلك الأيام.. حين كان الموت لعبة ومتعة تلك العصابات.. وإذا بها إحدى الجارات:-

--- هيا أمّ سليمان أسرعي .. احملي معك ما خفّ حمله وغلا ثمنه.. ما بقي أحد من أهل القرية.

قالت مفجوعة: وزوجي..؟

--- اللهّ يرحمه.. الموت مع الجماعة رحمة.. استشهد مع كلّ من أخذوهم من الرّجال.

سقطت أمّ سليمان الى الأرض لا تحملها رجلاها.

مسحت الجارة وجه أم سليمان بقليل من الماء تحوقل:

لا حول ولا قوة إلا باللهّ.. هل هذا وقته يا أمّ سليمان.. تشجعي يجب أن تفرّي بروحك أنت وابنك وابنتك.

قالت أمّ سليمان والدمعة عصيّة جمّدها الخوف.. والحنجرة جافّة يتعثر على مجراها الكلام.

اللهّ يخليك انتظريني لحظة.. فالولد والبنيّة نائمان.

هيا يا أمّ سليمان.. الموت لا يعرف الإنتظار.

ذهبت مسرعة تيقظ ولدا بعمر ثلاث سنوات وابنة بعمر خمس سنوات.. ماذا تستطيع أن تحمل أكثر والطريق وعرة، سلاسل عالية وهضاب ووهاد وتسلق جبال.. ومن هذا الذي يستطيع أن يفتح عيون الطفلين وهما ما زالا غارقين في نوم عميق.. مسحت على وجهيهما بالماء لا تأبه لصراخ وبكاء.. وحملت مصاغها.. وما ادّخرته هي وزوجها من مال .. خوفا وتحسبا من أيام سوداء.. ودخلت بين حشود المهجّرين.. والقلب تائه حزين.. الزوج والبيت.. ورهبة المجهول.

طالت الطريق والكلام كثير.. كلّ يجتهد.. وكلّ يدّعي أنّه يعرف الطريق.. والحقيقة أنهم كانوا جميعا في قلب التيه ضائعين.

تعبت أمّ سليمان تحمل ابنتها حتى تعجز ساقا ولدها عن المسير.. فتحمله وتمسك بيد البنيّة حتى لا تتعثّر بسبب وعورة الطريق.. أو خوفا من أن تتوه بين جموع المهجّرين.

الى أن انتشرت إشاعة أنّ عصابات اليهود خلفهم.. تحتلّ القرى وتلحق بهم.. فأصبح الجميع وكأنهم في ميدان سباق.. نجاة روح كلّ مخلوق تعتمد على سرعة رجليه.

حملت أمّ سليمان الولد والبنيّة معا.. الى أن خانتها قواها فوقعت بالولد والبنيّة على الأرض.

ربّي بمن أستغيث والجميع يستغيث.. فلم تجد بدا من أن تختار.. الولد أخف وزنا .. وأكثر عونا غدا على مصاعب الحياة.. فحملت الولد تركض وقالت لإبنتها هيا اتبعيني يا ابنتي..

ولكن البنية تاهت بين الجموع.. وضاع صوت البنية في زحمة بكاء الأطفال.. وصراخ النساء .. ورعب الرجال.

وصلت أمّ سليمان الى بيروت مع جموع المهجّرين وتمكنت أن تحصل على خيمة من وكالة غوث الاجئين.. وذهبت الى خيمة مجاورة تطلب بعض الماء حين عطش ولدها.. وما أن دخلت خيمة جارتها حتى تحلقت عينيها.. وعلا صوت دهشتها تفزع كلّ من في الخيمة "سماح" .." سماح" وهجمت تحضن ابنتها.. تضمّها الى صدرها لا تصدق .. اللهّ وأكبر.. اللهّ وأكبر.. الحمد للهّ.. الحمد للهّ.. سامحيني يا ابنتي.. سامحيني يا ابنتي.. ولكن ما كانت لهفة شوق لقاء البنيّة على الأمّ .. كما كانت لهفة شوق لقاء الأمّ على ابنتها.. كان قد دخل قلب البنيّة حبّ وحنان أمّ جديدة.. فكانت تائهة بين الإثنتين.. كان في قلب البنيّة وجع.. وكانت كلما التقت العيون وضح في عيني البنيّة عتاب.

عادت أمّ سليمان مع ابنتها سميحة ومعها بعض الماء الى خيمتها.. كانت فرحة الأخ لا تسعها الخيمة .. فقد عقله للحظة ..فأخذ يقفز ويصرخ.. ثم هجم على أخته يحضنها حضن من التقى بروحه.. كان لقاؤه أكبر وحبّه أكثر.. بينما كان في نفس البنيّة شرخ.. وعين عاتبة تدين الأمّ وتحقد على الأخ.

طالت أيّام المخيم .. وما فات البنية يوم دون أن تمر على خيمة قلوب رحيمة محبّة حنونة مسحوا دمعتها يوم أن كانت

تائهة تنادي على أمّها ولا مجيب.. فأكرموها وكانت السيدة لها أمّا.. وزوجها أبا.. وهي أخت لابنتهما الوحيدة.. أعطوها العطف والحنان والمحبة حتى الساعة التي عادت بها لأمّها.. فكانت تذهب إليهم تأنس في دفء حضن محبتهم.

الى أن اجتاح المخيم ذات يوم مرض التيفوئيد.. فكان أخوها الضحية.

كبرت البنيّة ودرست في مدارس وكالة الغوث للاجئين حتى أنهت الدراسة الثانوية وعملت معلمة في نفس مدارس وكالة الغوث للاجئين.. لتضع في نهاية كلّ شهر راتبها في يد أمّها.. ولكنها ما نسيت يوما أبدا ساعة المساء قبل النوم أن تندس في فراش أمّها تحضنها وتدس رأسها في صدرها تسأل:-

أمّي.. هل تحبينني..؟؟

فتجيب الأمّ وفي الصوت بحة حزن:- كان أخوك أخف منك وزنا.. وكانت الطريق صعبة وعرة.. أخذت مني كل قوتي...سامحيني يا ابنتي.

ترفع البنيّة رأسها عن صدر أمّها.. وتمسح بأناملها دمعا ينساب غزيرا من عينيّ أمّها.

عريس تحت التجربة

هن أربع فتيات.. تقلّبن في عالم الرجال.. تعرفن على الغنيّ والفقير.. الكريم والبخيل.. الطيّب والخبيث..العاقل والمجنون..الجبار والحنون..الجاهل والحكيم.. لم تبق عتمة في زوايا حياة الرجل إلا دخلوها.. وتعرّفوا على كل خفيّ فيها.

حتى أصبح الرجل كتابا مفتوحا من أول صفحة حتى آخر صفحة قرأوها.. فأصبحوا من أهم أرباب المعرفة والخبرة فيها..

جاء يوم الفصل.. وقرّرن أن يعزفن عن اللهو والمجنون.. وبات الهدف بيتا وأطفالا وحياة استقرار.. وعريسا مختارا..بعد خبرة طويلة غربلن فيها الرجال بغربال.

الأولى اختارت غنيّا صاحب مال..اشترى كلّ شيء.. حتى أنه حقّق لها الخيال.

الثانية اختارت حكيما.. ذاعقل كبير.. مفتاح الصواب في يده.. والخطأ في عرفه مستحيل.

الثالثة اختارت الناعم الرقيق.. أنا وردة وهو بستاني رقيق.. يشمّني.. يضمّني.. يرويني بيده حبا.. ويشبع النحل منّي رحيقا.. وأنفاسي شذى عطر..تنتشي به الدنيا.. والقمر يرشّ الندى على نجماته.. مسكا وأجمل طيب.

الرابعة اختارت الجبّار.. أحتمي برجولته..أسمع صوته.. يرتعش جسدي.. أستمتع بضعفي أنثى .. كلما غضب أركع عند قدميه.. هو يضرب.. وأنا أستغيث.

بعد شهر التقت الصديقات الأربع.. كل تتحدث عن تجربها في الرجل الذي اختارته.. حسب خبرة ومعرفة وذكاء.

ابتدأت الأولى زوجة الغنيّ حديثها بالآه.. والتنهيدة تبعتها تنهيدات.. فقدت طعم الاشتهاء.. وفن ذوق انتقاء الأشياء.. ما أرخص الغالي إذا كان ثمنه مال.. وما أبشع الجميل إذا لم يكن من صنع يدك.. أو من مجهود عرقك.. وحلم قبل ان تحصل عليه عذّبك أياما.. والله أن الندم يأكلني اليوم.. كما كان يأكلني في الأمس اشتياقي الى المال.. وما عاد أمامي يا أخواتي بعد كل هذا سوى طلب الطلاق.

تبعتها الثانية زوجة الحكيم والزفرة تخرج من الصدر عاصفة هوجاء:

- خلق اللهّ الإنسان خطّاء.. لكن زوجي الحكيم.. يصرّ أن يمتلك مفتاح المثالية والصواب.. أيّ خطا بسيط يفتح باب النصيحة والمثالية والتصحيح ساعات وساعات.. تشترك معنا عشرات الكتب.. التي تبحث في المثالية والصواب.. الى أن ضاق صدري به وبكتبه ومكتبته ونصائحه ومحاضراته.. وقلت له.. لو أراد اللهّ سبحانه الإنسان غير ذلك لخلقه ملاكا.. عندها ذهب

زوجي الى مكتبته وعاد يحمل كتبا وملفات.. ليصحّح خطئي..هالني المنظر.. ومن فوري طلبت الطلاق.

تبعتها الثالثة زوجة الرجل الناعم الرقيق.. ضربت بكفها على فخذها.. والحسرة تركب صوتها وهي تقول:

- مصيبتي أيتها الأخوات..أن في زوجي إنسانيّة زائدة.. وعذوبة رقة وردة.. ونعومة خدّ عذراء... أثور أغضب أضرب يقبّل يدي.. أشتم يلحّن شتيمتي ويقبّل فمي.. اشتقت الى رجل يصرخ في وجهي.. يرعبني.. أذوب في ملابسي وأختفي.. واللّه ما عاد سوى الطلاق حلّا لمشكلتي.

تبعتهم الفتاة الرابعة زوجة الرجل الجبّار.. كشفت عن جسدها وقالت:

- منظري وسوء حالي يغني عن كلامي.. وإذا بقع زرقاء تنتشر على جسدها.. يقشعر البدن من بشاعة منظرها....آه يا أخواتي لو أن في يده رقة.. وفي نظرته حنان..ولصوته عذوبة هديل الحمام.. ما طلبت منه طلاقا ولا فراقا.

قهر الرجال

دخل رجل على أحد الولاة.. منحني الظهر.. حزين الصوت..يشكو له قهر الزمان وسوء الحال

علا صوت الوالي مؤنبا:-ارفع ظهرك يا رجل.. وقف بإحترام..أنت أمام الوالي.

ابتسم الرجل ابتسامة فيها طعم المهانة والذل وقال:-

واللّه يا مولايّ لو أنك جرّبت هموم الليالي..وحمل ثقل الأيام ما زجرتني..ولا أهنتني..ولا كسرت بخاطري.. ولا استطعت أن ترفع ظهرك...الحمل ثقيل .. لا يعلم به سوى رب العالمين

قال الوالي وما زال في لهجته شدّة:-

ما زلت شابا لماذا تستسلم لها..ارم بهاعن ظهرك..تحرّر منها وعش حياتك.

تأوه الرجل..واتبع الآه بتنهيدة موجعة لكنها لم تخفَ على فراسة الوالي..حين دخل في روعه أنه سائل دجّال محتال.

قال الوالي:- هات ما عندك يا رجل..ولا تحملني ذنبك أمام اللّه..إذا كنت مظلوما.. فحق عليّ أن انصفك.

قال الرجل:-هل سمعت يا مولايّ عن خرافة الغولة..؟

قال الوالي:- لا.

يقال ان هناك غولة شريرة كانت تعيش في إحدى القرى...ذات مساء جلست على قارعة الطريق جائعة...وأعطت لنفسها شكل عجوز مسكينة ضعيفة ذليلة...وإذا بشاب عابر طريق..نادت عليه..والصوت عليل حزين..يا ولدي عافت الدنيا منظري..وشكت من وهني وقلّة حيلتي...هرمت قدمايّ وعجزت عن حمل جسدي..ماذا لو انك تكسب ثوابا وتحملني على ظهرك..فالبيت على بعد خطوات.. والأجر دينار ذهبي يلمع كعين الديك...طمع الرجل..ثوابا من عند اللّه في الآخرة.. ودينارا ذهبيا على ظهر هذه الدنيا البخيلة..؟

واللّه أنه لرزق من عند اللّه عظيم....انحنى الرجل وركبت العجوز على ظهره..طالت الطريق وكلما سألها أين بيتك يا جدتي..؟؟

أجابتت:- على بعد خطوات..كن صبورا يا ولدي..ولا تنسَ أن أجرتك دينار ذهبي جديد يلمع كعين الديك...تعب الرجل وكلّ وملّ..وهي ما زالت تصرّ على أن بيتها على بعد خطوات

ولما طلب منها أن تنزل عن ظهره من أجل أن يأخذ قسطا من الراحة قالت له وقد طال لسانها يدور حول شفتيها يتلمّظ:-

أيها المجنون..أنت الفريسة وأنا المفترس..أنا الذئب وأنت الحمل..أنا الغولة متى يهدّك التعب..وتقع على الأرض مستسلما..هدّني الجوع والصبر نفذ.

وهذا حالي يا مولايّ..الأيام غولة ظالمة.. ركبت على ظهري لاتريد أن تتركني..ولا اعرف كيف اتخلص منها...قال الوالي يتصنّع الإستغراب وقد تأكد أنه رجل محتال دجّال ذكي :-

أيكون مظلوم في ولايتي ولا أعلم ..سامحني يا إلهي لا بدّ أن عيون العدل في ولايتي قد غفت.. سيكون العقاب شديدا على كل من تهاون وأهمل.

ثم علا صوته:- ياغلام..خذ هذا الرجل.. وأنزلوا عنه ثقل الأيام...فهم الأعوان قصد الوالي..أخذوه وضربوه ضربا مبرّحا وبين الفينة والأخرى كانوا يسألونه:-

هل نزل ثقل الأيام وهمّ الليالي عن ظهرك..؟

كان يصرخ ملتاعا:- كفى..كفى..خفّ الحمل..وما عدت أشعر أن على ظهري ثقل.

وذهبوا به الى الوالي فسأله:- كيف تشعر الآن..؟

أجاب الرجل بذكاء:- رفع رجالك الأيام الثقال عني لكنهم تركوها تفرّ دون أن يأخذوا منها أجري.

سأل الوالي وما أجرك..؟؟

فأجاب: دينار ذهبي جديد.. يلمع كعين الديك

قال الوالي يحاول ان يحرجه:-

ليس أمامك سوى خيارين لا ثالث لهما:-إما أن نردّ ثقل الأيام على ظهرك وتكون نهايتك كنهاية الرجل مع الغولة...أو أنك تتخلى عن الدينار..ولك الخيار.

قال الرجل..واللهّ أني لا أستبدل ثواب اللهّ بدينار...ولكن إذا سألني ربي..سأقول له..أنه كان بيني وبين الأيام خصام شكوتها لوالي ذلك الزمان..صرفني..وكان بالحكم قد جار.

ثم استدار يحاول الإنصراف.

وإذا بالوالي يستوقفه:-انتظر يا رجل..وعلا صوته يأمر وزيره

اصرف لهذا الرجل ألف دينار فإن وقفنا خصمين غدا أخاف حكم اللهّ.

الحب لا يموت

وقف في العراء منتعش القلب.. يأخذ نفسا عميقا ويعلو بالفرحة صوته...وأخيرا تخلّصت من الحبّ.. احضنّي يا نسيم الحرّية.. أشتاق أن تعيرني جناحيك أطير.. وأجوب الدنيا أرى ما فاتني منذ أن دفنت رأسي في صدر الحب أسيرا.

ولكنه منذ أن غُبَّ أول أنفاس الحرية.. وزفره من رئتيه.. حتى انساحت دمعة صدق من عينيه وقال:- ليتك صبرت حتى تتأكد.. فأنت دون شهيق عبير الحب تضمر رئتيك وتموت.

شَغْلِه بِتْحَيِّر

الأب شـــديد.. والأم رَبّــتٌ في وســـط عائلـــة شـــعارها "النـــار ولا العـار".. "والحرمة عورة - أجَلكم اللّه-.. كانـت بالنسـبة لزوجهـا أمرك يا سيدي.. ما توانت ولا قصّــرت يومــا في خدمــة زوجهــا أبدا.

منذ صحوة الصباح .. حـين ينـهض الـزوج يتمطـى وصـوت تثاؤبه يصل الجيران .. غليظا مزعجا.. يرعب من يـداهم أذنيـه ولا يعرفه.. تقف زوجته بين يديه.. "صباح الخير يـا تـاج راســي".. ويسبق بسمة السعادة والرضى تشرق علــى وجهها فنجـان القهوة تقدّمه له بيدها.. وبخفة غزال تركض لتجهز له طعـام الإفطار على طاولة تفتح النفس.. ويتلمظ اللسان لرؤيتها.

وهكذا نشأت ابنتهما طاعة ورضا.. أمـرك يـا أبي.. حاضــر.. لم يدخل تاريخ قاموس معرفتـها تمـرد.. أو اعتـراض.. أو كلمــة لا.. الى أن أصبح عمرها اثني عشر عاما .. فزوجهـا أبوهـا أولّ مــن طرق الباب.. حين زيّف عدد سنوات عمرها وادعــى أنهـا تعــدّت الستة عشرعاما..

فذهبت البنيّة الى بيت زوجها لتعيش في سعادة وهناء.. تنجب الصــبيان والبنــات.. ومــا عرفــت بيــت أبيهــا إلا في الأعيــاد والمناسبات..بينما تعدّت ابنة عمها سن الثامنة عشــرة.. ابنــة التاجر الميسور الذي يمـلأ بيتــه الخــدم والحشــم.. والــدّلال وهــي تتمرد وتتعالى وترفض كل عريس يطـرق بابهــا.. والســبب أبــن

الجيران ميسور الحال الذي كان له عزّ ودلال في بيت أبيه.. لا يقلّ عن عزّها ودلالها.. حين لعبت العيون لعبتها.. وخفق القلبان وغردا ألحان الحبّ مكتوبة على رسائل الغرام.. ونار الحبّ يزداد أُوارها.. يهرب بالنوم من العيون.. والوسادة يزداد عذابها.

الى أن تقدم أبن الجيران لخطبتها.. وانتقلا الى قصر الزوجية وقد ظفر كل منهما بالحلم الذي كان أمل حياتهما....وتمضي الأيام وبيت العِشرَة الذي لم يتعرف يوما على الحب.. يترعرع وينمو ويكبر ويزدهر بالحب والسعادة والرضا.

أما بيت الحبّ الذي كان ركيزة أمل.. وحلم بيت الزوجية السعيد.. فقد انهار ليصبح كومة ركام ورماد تذروه الرياح.. ويرجع كلا من العريسين الي بيت أبيه.. ليعاود الحياة مع وسادة الأحلام.. يحلم بحبّ جديد.. يبدئ به حياة جديدة.

بعد هذه المأساة .. لا بدّ أنه يدور في خلد كلّ شابّ وشابّة سؤال:

يا أهل العلم والخبرة والتجربة.. هل نُحب.. وإلاّ بلاش.

بلاش طمع

العجوز وحيد.. ماتت زوجته بعد أن قضى معها عشرات من السنين سعيدا...أنعم اللّه عليه بالمال.. وخادم وزوجته يقومان على خدمته بحبّ وأمانة الصالحين...مرض العجوز.. وشعر أن الموت منه قريب.. فأراد أن يكافئ الخادم الأمين جزاء وفائه وحسن رعايته.. فاستدعاه يبوح له بما يجول في خاطره.

--- لقد ملّت الدنيا منّي.. وتعبت السنين من طول عمري.. وبت أشعر أنّني عمّا قريب ساقابل ربّي.. فكرت كثيرا.. وحيث أنه لا يوجد لي قريب.. أو وريث.. قررت أن أهبك كلّ مالي جزاء وفائك وإخلاصك.. ورعايتك لي رعاية الولد البار للوالد.

شكر الخادم مولاه فرحا أن اللّه أكرمه جزاء أمانته وإخلاصه لمولاه العجوز..

وبات يحلم بالمال.. وحياة كبار السادة والأعيان.. وأراض شاسعة واسعة.. وقوافل جمال.الى أن جاء يوم أقبل فيه الخادم هاشا باشا يقدّم له إبريق ماء:-

- مولاي هذا ماء من نبع عين الشفاء..يقولون أن فيها الدواء الشافي من كل داء.

شكر العجوز الخادم.. وشرب من إبريق الماء حتى الإرتواء.. وفعلا كان في ذلك الماء شفاء.. تحسّنت صحة العجوز.. ونهض من سرير المرض سليما معافى.

مرّت الأيام.. وقد خاب أمل الخـادم في إرث ثـروة مـولاه.. فكرهـه وحقد عليه.. وكان الغيظ والحقد قد أورثا الخـادم المـرض.. فلـزم الفراش مريضا عليلا.. يعذّبه شـدّة ألم ووجـع.. فمـدّ يـده الى إبريق مولاه آملا أن يشفيه كما شفى مولاه .. وشرب منه حدّ الإرتواء.. وما أن مرّت دقائق..حتى ارتفعت درجة حرارته.. وأجهده العرق .. وشعر أن الموت منه اقترب..فاسـتدعى زوجتـه وهمـس في أذنها أن تـذهب الى القاضـي تسـتدعيه.. فأطاعـت الأمـر وذهبت الى القاضي:-

سيدي القاضي زوجي مـريض مشـرف علـى المـوت.. ويريـد أن يبوح لك بسر.

اهتم القاضي بالأمر وحضر فورا.. وأقبل علـى الخـادم مفتـوح الأذن .. واسع الصدر.

تأوه الخادم.. وشكا ظلم الأسياد للعبيد:-

- سيدي القاضـي أنـا أمـوت.. وقـاتلي سـيدي وربّ نعمـتي.. شكوت له شدّة مرضي وسوء حالي.. فأسقاني مـاء مـن هـذا الإبريق.. وقد أيدته زوجته في كل أقواله.

ذهل العجوز لا يصدق ما يسمع.. فأخـذ يـدافع عـن نفسـه:- سيدي القاضي.. هذا الماء أحضره لي خادمي هـذا.. وقـال أنـه من نبع عين الشفاء...وكنت فعلا في أسوأ حـال.. شـربت منـه فشفيت واللّه عافاني.. وأمسك العجوز بـالإبريق وأخـذ يشـرب أمام القاضي.

في هذه الأثناء مات الخادم.. فعلا صوت زوجته مفجوعة تصرخ وتولول.. وتأسف على اليوم الذي عملا فيه مخلصين عند هذا السيد.

إلا أن القاضي كان صاحب فراسة.. وعين ذكية تراقب ارتباك الزوجة الشديد.. والتصرفات غير الطبيعية.. والحزن الذي يشوبه خوف واضح.. فدخل الشك قلبه.. ورفض حسّه الباطن أن يثق بها أو يصدقها.. فسألها:-

هل هذا هو الإبريق الذي جلبه زوجك من نبع عين الشفاء..؟

نعم سيدي وقد اعتلاها ذهول.. عيناها لا تصدق .. وعقلها لا يستوعب.

عاد القاضي يسالها: هل أنت متأكدة..؟؟

نعم يا سيدي.. لقد رأيت مولاي بأمّ عيني يشرب منه.. وكان مشرفا على الموت.. نعد له الدقائق.. وإذا به فجاة سليما معافى.. تعود إليه صحته كأحسن ما يكون.

قال القاضي: حسنا أنت رأيت رؤى العين مولاك يشرب من هذا الإبريق وهو كما ترين سليما معافى.

فجأة وبحركة سريعةغير متوقعة.. أمسك بالإبريق يقدمه لها.. هيا اشربي...وما ان اقترب الإبريق منها.. حتى علا صوت الفزع من صدرها مجنونا.. تكاد تفقد عقلها.

لا ..لا يا مولاي أنا لن أشرب من هذا الماء.

انتظر القاضي قليلا حتى هدأت . وتوقفت عن صراخها الهستيري..

وعاد يسألها: لماذا يا ابنتي وقد رأيت مولاك يشرب منه دون أن يصيبه أذى.

لكنها أصرت على موقفها رافضة.. دون أن تبدي الأسباب.. بينما كان الفزع يرعش جسدها.

فالتفت القاضي الى اثنين من رجاله وقال بصوت شديد آمر:- اسقوها هذا الماء عنوة .. أو برضاها.. فأقبل عليها الرجلان عازمين على تنفيذ الأمر.. فعلا صوت صراخها يهزّ المكان:-

لا .. لا أرجوك يا سيدي القاضي.

قال القاضي بلهجة الحزم:-

--- إما أن تشربي من هذا الماء.. أو أنك تبوحين بالسبب.

سكتت برهة يأكلها عذاب الحيرة .. ولما طال ترددها.

عاد القاضي وأمر الرجلين أن ينفذا الأمر.. أبعدتهما عنها والخوف يرعش صوتها.. ترجوهما ان يبعدا عنها الإبريق.. ثم هربت تحتمي بالقاضي تتوسل:-

سأقول يا سيدي .. سأقول:-

لأنني إذا شربت من هذا الماء سأموت كما مات زوجي.

قال القاضي: كيف وقد رأيت مولاك يشرب منه ولم يلحق به أذى..؟؟

قالت وأنا رأيت زوجي بأمّ عيني.. يعصر غدة سم أفعى في هذا الإبريق.

أمر القاضي من فوره أحد رجاله أن يستدعي أحد خبراء الإختصاص في هذا الأمر.. وبعد الفحص والتدقيق.. أكد الخبير أن السائل الذي يحتويه الإبريق مزيج من الماء والسمّ.. وعندما سأله القاضي مستغربا.. كيف يكون مزيجا من الماء والسمّ وقد شرب منه العجوز ولم يمت..؟؟

قال الخبير: إن لبعض الأفاعي سمّ نعالج به بعض الأمراض الصعبة.. ولحسن حظ العجوز أنه كان مصابا بمرض لا يشفيه سوى هذا النوع من السم.

سرقوا الشجرة

لا أعرف كم عمرها..ولكنّني أعرف كم عطاءها..وكم عدد جرّات الزيت في المواسم

باسم اللّه..واللّه اكبر من عين حاسديها.. أعرف كم مساحة الظلّ التي تفرشه من أجل أن

يهنأ جدّي ساعة القيلولة تحت ظلها.

قالوا أن جدّي هذا هو الجدّ الخامس.. الذي يأكل من ثمارها.. وأنه ورث حبها عن آبائه

الذين أوصوه خيرا بها..فما غفت عينه عنها يوما..وما كانت يوما في عطائها بخيلة

لكننا وما كنّا ندري..أن عين الشرّ كانت ترقبها..وتطمع في خير كان اللّه معطيها

لفّوا الجنزير حول خاصرتها..والرافعة بعزم الشياطين.. كانت من الجذور تخلعها

وعلى ظهر حاملة تلقيها.

ذهبت الحاملة بالشجرة..واللعنات تتبعها..ونزيف الدمع من عين العجوز حسرة تبكيها

تبع الحفيد الحافلة..وعرف مكان الأرض التي غرسها السارق فيها..وعمل عند صاحب

الأرض مزارعا..يعود الى الجدّ بالخبر في كل يوم .. كانت النار في القلب يحاول أن يطفئها

ولكن هل أطفأ السراب يوما عطش ظمآن.. ؟؟..وكذلك الذكريات كانت في القلب جحيما وسعير....انطوى العجوز على نفسه..واصبح شمعة تذوي..وكأنها النار أمسكت فيها.. وقبل أن تنطلق الروح الى بارئها.. عرّجت على الزيتونة..ومن هناك استقبلتها ملائكة السماء تحتفي فيها..هي أيام رفض الجذر غذاء أرض غريبة..سقطت الأوراق وجفّ الساق..وباتت الشجرة عود حطب....لا عطاء يسعد..ولا خضرة تفرح.. ولا قيلولة في فيء تنام عين الجدّ فيها.

ترى..هل الروح العاشقة.. تموت بموت الحبيب.. ؟؟

نجمة الصباح

دعاني صديقي الى فنجان قهوة.. جلس قبالتي واليأس بلغ به حدّ الإنهيار...زفر زفرة طويلة.. طويلة.. رمت على الجلسة همّا ثقيلا .. أفزعني وشغل البال ...قلت وقد ساورني قلق: خير إن شاء اللّه.. ؟؟

أتبع الزفرة بتنهيدة.. من القلب.. حيران تائه أنا.. النفس كأنها ليست منّي..عذّبني الضياع..

نظرت إليه مندهشا..أضع كلامه في ميزان العقل.. مجنون لا محال

قلت: تمزح.

قال: وهل في مثل هذا الأمر مزاح..؟؟

انظر الى عينيّ صديقي.. هل ترى حولهما سواد..؟؟

قلت: لا بدّ أنه السهر صديق الليل.. رسم حولهما ظلالا

تزول مع الراحة وهدوء البال.

قال: بل إنها بقيّة من سواد الليل.. أمسك بها القلق .. وطول السهر حين طال مع النفس الخصام.. حتى طلّت من سمائها نجمة الصباح ...أغمضت عينها وارتحلت.. لا ترى فينا خيرا ولا صلاحا.

قلت: هات ما عندك يا صديق.

قال: قلبي

قلت: ما به قلبك..؟

قال: حيّرني.. ليس فيه استقرار.. ولا راحة بال.

أكاد لا أعرفه.. إنه غريب الأحوال والأطوار....مددت يدي أتحسّس شعر رأسه

قلت: وهذا الأبيض .. ألم يعرّفك بهذا القلب.. طوال السنين والأيا.

قال والكلام ثورة: حدّثني كثيرا.. صدمت.. وعرفت أن الشعر الأبيض أيضا كذّاب

حرباء تتلون بجميع الأشكال والألوان.. وأن القلب يصغر ويكبر.. حسب الزمان والظرف والمكان.

قلت مستغربا: كيف..؟؟

قال: أرى الطفل الصغير.. يصبغ شعري السواد.. وقلبي يصبح بحجم قلب زغلول الحمام

وأصبح طفلا يلعب مع الصغار....أرى الفتاة البرعم.. أعشقها.. أسقيها من ماء الورد كلام

أفرح حين أرى الوجهَ توّرد..والكلام بالخجل تعثّر.. والخدّ اصبح تفاحا..أرى وردة متفتحة.. أعطت خيوط الشمس دفئا.. وصبغتها بأجمل الألوان...أعشقها.. وأنسى أن للورد شوك.. والدم ينساب من أناملي...أفرح.. إنه دليل العشق برهان.. آآآه منك يا حبّ..ما أسعد الروح .. إذا كانت تحلّق في جنة العشق عصفورا وجناحا

تعبت يا صديقي.. من أنا.. طفل.. مراهق.. رجل دون إتّزان.. أريد الإستقرار.. ؟؟

هززت رأسي والكلام ثورة بركان:

تكفر يا صديق ..؟؟

ما أبشع الدنيا دون صيف.. وربيع.. وخريف وشتاء.

اشتريت وثيقة طلاقي

كان مهري نظرة ساحرة.. وكلمة حلوة.. ووردة بستان.. لا أكثر ولا أقل كان في هذه الأشياء الثلاثة وقود ذرّي.. يحملني على سفينة فضائية تجوب بي الدنيا.. دون أن أُغادر فراشي.. أو وسادة أحلامي، تزوجته وليس في جيبه مليما أحمر.. معتمدة على قول اللّه تعالى "خذوهم فقراء يُغنيكم اللّه".

اشتريت له الدبلة ذهبا.. وبدلة العرس أغلى ثمن.. وحملت رأسه الى الحلاّق أشذّبه..وأهديه تسريحة لها العجب.. وحملته على سيارة أحدث موديل إلى الحمام..أُنظفه من القذارة والعفن.. وعدت به الى بيتي عريسا يُضرب به المثل وتمرّ الأيام.. وإذا بالنظرة الساحرة من نسيج النذالة والطّمع والكلمة الحلوة.. من باطن أصفر المجلات والجرائد والكتب، وإذا بالوردة من مزابل "خضراء الدِمَنْ . حين طردته.. وتأكدت أنني نلت حريتي.. وانطلقت بفرحتي عصفورا تحرّر من قفص .. وإذا بالقاضي يستدعيني.. ويأمرني بالعودة الى بيت الطاعة مع زوجي

فاضطررت أن أتخلى عن بيتي الواسع الجميل في أرقى أحياء المدينة.. لأذهب وأعيش في بيت الطاعة في الحيّ الذي كان يسكن فية زوجي.. الذي لا يزيد عن غرفة صغيرة تكاد أن لا

تتّسع الى سرير..ومطبخ وحمام .. كان يسكنه العنكبوت والصراصير والنمل في شقوق وحفر في الأرضيّة والحيطان.. صنعها الزمن منذ سنين وسنين منذ أيام العهد القديم.

مع هذه الحياة الصعبة.. سألت زوجي أن نعود لنعيش في بيتي.. فاستنكر وأبى إباء شهم تعزّ عليه كرامته.. وتأبى عليه رجولته أن يعيش في بيت تملكه زوجته، ففهمت قصده بعد العشرة وطول الزمن.. وعرضت عليه أن يُطلقني.. إذا بالمبلغ باهظ فوق طمع الطامعين.. إلا أن المساومة وصلت في نهايتها حدّ أن أتنازل له عن بيتي.. وهو بالمقابل يتنازل لي عن بيته.

في البداية رفضت رفضا باتا.. إلا أن قسوة الحياة في ذلك البيت.. وجبروت زوجي .. وخسّته وخبث نواياه.. أجبرني أن أُفكّر.. ويوم بعد يوم تلاشت شدة الرفض وقررت أن أشتري نفسي.. فبدّلت البيت بالبيت.. بعد أن وضعت المال والعقار في كفة ميزان.. والحرية والكرامة في الكفة الأخرى.

هذيان عاشق

أنت.. أنت يا ريشة الطاؤوس.. يا بخترة الغرور.. يا زهرة البساتين.. يا عبق

ربيع إبريل.. ياهالة القمر.. يفرح بها العاشقون.. أما آن لهذا القلب أن يفرّق

بين مدّع وحبيب..؟.

ستحبينني شئت أم أبيت.. في ميادين النزال أنا الفارس.. وبين فحول الشعراء أنا الشاعر.. وفي ميادين الخير .. أنا الكريم.. ما رأتني عين.. إلا وكنت أنا في بؤبؤ العين مستكين.. وما سمع قلب نداء قلبي.. إلا وعشقه لحن العصافير....الى أين ؟؟ الى أين تفرّين..؟؟ خطوتك صغيرة.. وجناحي كبير.. أنت الدلال ناعمة...وعباءتي قفص العصافير.. غدا ستعشقين اللحن.. وتألفين القفص.. وتكونين لحبّي أسيرة.

مشى الجميل.. لا يلتفت شمالا.. ولا يمينا....فالثقة بالنفس كانت ثقة طاووس لئيم..

تصالحت مع نفسي

بنطال جينز.. وبلوزة بيضاء.. وشعر أسود.. يعكس ضوء الشمس بألوان قوس قزح.. أسير قبضة منديل حريري هفهاف.. ليضمّ الشعر على شكل ذيل فرس.. يقفز مع الخطوة تارة الى الكتف الأيمن .. وأخرى الى الكتف الأيسر.. والمشّية عسكرية.. لها رهبة واستقامة أهل العزم والشدة والجدّ في أمور الحياة.

ما عرفت الفتاة الفستان يوما.. ولا كانت الزينة لوجهها رفيقا.

هي فتاة عشقت الإستقامة والصدق والأمانة في العمل.. تجدها دوما على مكتبها مع دقات ساعة العمل صباحا.. لا تأخير.. ودقة في العمل ليس لها مثيل.. والكلام في غير مصلحة العمل مستحيل..احترمها أصحاب الشركة وقدّروها.. وأسندوا إليها المركز الرفيع.

ذات يوم وقد كان للموظفين في ساعة الإستراحة حديث.. ابتسمت.. ضحكت.. علا صوت قهقهتها تدوّي في القاعة..فالتفت إليها الجميع.. وكان هذا غريبا...بدأت الحديث.. وما زالت الكلمات تتعثّر على لسانها ببعض بقايا الضحكة -:

عن ماذا تتحدّثون أيها الأخوة..؟؟ مضى وانتهى هذا الذي تتحدثون عنه..

مضى بنهاية حدّوتة قيس وليلى.. وروميو وجولييت.. فالحب والعشق لا يكون اليوم إلا للعمل.. ما فائدة حب يشبع القلب كلاما .. ويترك المعدة تصرخ من الجوع.. ما فائدة حب يعطيك جناحين يطيران بك الى عوالم الخرافة والخيال والأحلام.. ويبعدك عن واقع الحياة.. لتعيش تجتر أحلاما لن تتحقق..فيزحف لك الفقر لتمد يدك متوسلا.. تطلب الحسنة من كريم وأنت ذليل.

العصر اليوم أيها الإخوة .. عصر كدّ وجدّ وعمل.. وما صدق سوى صاحب مقولة" معك قرش تساوي قرش".. دعوا الحب لأيام كسولة لكلّ كسول..

واركضوا مع دنيا اليوم فإذا فاتك قطارها .. بتّ مهملا مهزوما في عتمة الحياة تعيش مع خفافيش الظلام.. لا احترام ولا مقام ولا تقدير.

لم يستغرب زملاؤها منها مثل هذا الحديث.. فلها في كل يوم عن السباق مع الزمن حديث.

الى أن جاءها ذات يوم دعوة لحضور حفلة زواج ابنة صاحب الشركة.. فوجب عليها أن ترتدي فستانا يتناسب مع تلك الحفلة.. وصبغت شفتيها بالأحمر.. وغطّت وجهها بألوان المساحيق.

جاء الموعد ودخلت الفتاة صالة الفرح.. فاتجهت إليها العيون.. وعلا صوت الترحيب.. وكلمات الإستحسان والغزل بما يليق وجمالها.. فخجلت واحمرت وجنتاها وارتبكت فهي التي لم تعتد على مثل هذه المجاملات.. إلا أن غريزة الأنثى تغلّبت عليها.. فذهبت من فورها تنظر الى المرآة تتعرف على نفسها.. فراق لها منظرها الجميل.

وكان ان تصادف وهي في طريق العودة الى بيتها.. أن رأت جارها الشاب المهذب صاحب الشأن والمركز.. فصفر صفرة طويلة يحيي الجمال .. ورماها بكلمات غزل رقيق عثّرتها.. ولوّنت وجنتيها بحمرة خدود العذارى.. فكادت أن تقع على الأرض حياء .. فأدركها وحماها من العثرة.. والتقت العين بالعين.. وشهق الحبّ في القلبين .. وباحت العيون بكلام جميل.

ومنذ ذلك اليوم تصالحت الفتاة مع نفسها.. ونقمت على الماضي.. وأحرقت بنطال الجينز والبلوزة البيضاء.. ومنديل الحرير الذي كان يلتف حول شعرها ذيل فرس.. وفردت شعرها ناعما حرا يغطّي كتفيها.. وارتدت الفستان.. ورسمت شفتيها باللون الأحمر.. وجمّلت وجهها بالمساحيق.. وباتت في كل يوم تشتاق الى نظرات الإعجاب.. وكلمات الغزل الرقيق.. وما غابت عن أذنها "صفرة" الجار الطويلة.. الطويلة.. وعين باحت بسر عشق جميل.

بعد هذا طرأ على حياة الفتاة جديد.. أصبحت المرآة لها صديق.. واختيار الفستان الملائم والمكياج شئ مهم.. مهما

أخذ من وقت طويل.. وتكررت الأيام التي تدق فيها ساعة بدء العمل صباحا.. دون أن تكون الفتاة على رأس عملها.

وبدأ اهتمامها بنفسها يطغى على الإلتزام بجديّة العمل.. فاستاء منها رؤساؤها وبدأ الإنذار يتبعه إنذار.. تارة بسبب التاخير.. وتارة بسبب الإهمال.. الى أن فقد من على مكتبها ملف ذو أهمية.. فاستحقت الفصل من الشركة.. وكان قد تم زواجها من جارها الشاب .

ذات ليلة وقد كان حضن حب الزوج الدافئ قد ملأ قلبها.. فتذكّرت شدة عدائها للحب ذات يوم مضى.. فهزّ الندم رأسها.. وأخذت تحدّث نفسها.. سمع الزوج همسها.. فلم يستوعب.. سألها:

- ماذا تقولين..؟؟

قالت وهي في نشوة الحب مستمتعة:

- ما أتعسني.. أضعت أياما جميلة كثيرة من عمري.

ساعة لا مندم

دخلت الدار بعد غياب.. خلعت الحذاء.. تسلّلت والقلب مليء بالحبّ.. والصدر مرجل يغلي بآهات ألم الفراق.. وتنهيدات الشوق.. أرادت أن تفاجئ زوجها بالحضور بعد طول غياب.. تشتاق أن ترى موقعها في قلب زوجها.. وتتوق الى لقاء بعد غياب.. فتحت باب غرفة النوم بزاوية.. فطلّ نور فيه شبق ثورة الزّنا.. وعبق عطر فجور.. قالت وقد ذابت كلماتها في حرارة تأوهات أنثى.. وزمجرة ثورة وحش.. خرجت تركض وخطواتها تتعثّر بكلمات الوجع.. وتغوص الى ركبتيها برذيلة الزّنا.. في بيت كانت تملؤه فضيلة الطهر.

هزّ الندم الرجل ..وهجمت صحوة الضمير على فداحة الجريمة.. توجع قلب الزوج..فذهب إليها يذرف الدمع.. يتوسل ويتذلل.. يأكله الندم.. ويقسم الأيمان الغلاظ أنها وسوسة شيطان.. والتوبة نصوحة.. وجاء بوجهاء المدينة وكبار رجالها.. فلم يشفعوا ولم ينفعوا.. فالصدمة كانت أكبر من حجم الرجال.. وأوسع من بحار الدمع.. وأشد من عواصف الأنّات والآهات والتنهدات التي كانت توجع قلب الزوج.

مضى الزمن وهي مصرة على موقفها من الرفض.. لا تخضع لمفاوضات ولا مساومات.. الى أن جاء يوم تكاثف الشوق والحنين ضبابا يغطّي التمنّع والرفض

على جدار قلبها.. فذهبت الى بيتها تطرق الباب.

فتح الزوج الباب وقد قفزت الفرحة الى العيون من قلب يملؤه الحبّ والشوق

رحّب بها.. أهلا بك حبيبة.. اشتاق لك القلب والبيت.

قالت وفي اللهجة ذلّ القهر: جاء بي شوق الى أيام مضت.. وبيت كان لي فيه ذكريات.. ألحّت حتى أوجعت القلب .

قال وفي اللهجة عتاب: البيت بيتك.. أنت من هجر القلب والبيت.

قالت توضح القصد من الزيارة: ليس للقلب شأن في هذه الزيارة.. لكنها العشرة والذكريات طوال سنين مع هذا البيت.

قال وفي اللهجة ودّ وحبّ : لن يضيرك أن تسمعي شيئا من حديث القلب.. فقد تسمعين من حديثه ما يستحق الصفح.

دخلت البيت تشتاق الى غرفه.. وتجول في كلّ زاوية من زواياه.. ما عدا غرفة النوم.. وسمعت من التوبة والندم ما يلين له القلب.. فاتفقا أن تعود الى البيت في يوم محدّد.. تكون قد تهيأت له النفس.

بعد فترة .. جاء هذا اليوم يقودها شوقها.. وحنانها لعشرة طويلة مع هذا البيت لا تلتفت الى الزوج.. وكأن الحياة كانت

معه صفحة ضاعت من قلب دفتر التاريخ وما عاد له في قلبها مكانة أو وجود.

دخلت البيت فاستقبلها الزوج بالحبّ والترحاب.. جلسا معا.. لكن عينيها كانتا تدور

في أرجاء البيت تتحسّس كلّ كبيرة وصغيرة فيه بشوق.. إلّا أن القلب لم يتقبّل الرّجل.. ولا منظر الحبّ يملأ عينيه.. الى أن تأخر الليل.. فأخذ يحثّها على الذهاب الى غرفة النوم.. فكانت تتمنّع.. الى أن نفذت جميع الحيل والأعذار.. فدخلت الغرفة تتهيأ للنوم.

دخلت الفراش فوق قدرة قلبها.. ونفور نفسها.. تسمع صوت تأوهات الأنثى التي احتلّت ذات ليلة سريرها.. فنهضت فجأة مفجوعة بصوت المقهور الذي حاول وقاوم.. لكن غلبة صوت القلب.. ونفور النفس.. التي تغلبت على محاولة إعادة ترميم حياة زوجية أحبتها ذات يوم.. فقالت والصوت يقطر أسفا:-

اعذرني أيها الغريب.. صوت كرامتي.. ورفاهة أنوثتي.. وصدى حبّ كان يسكن لك في قلبي.. ما زال يعلو فوق صوت ندمك وتوبتك.. فالصفح عنك في قلبي لا يزال بعيدا.

الصياد والبحر

قبل أن تشرق الشمس.. وترمي بخيوط نورها على الكون.. توقظ عين البحر، كان الصياد يقف على صخرة يرمي صنارته الى البحر.. يبسمل والصوت عال راجيا متوسلا.. علّ الدعاء يصعد على خيوط الشمس.. يصل حدّ كبد السماء قريبا من اللّه طالبا رزق العيال.

تعبت الصنارة يرميها الصياد آلاف المرّات الى البحر.. وتعود خائبة.. لا تحمل سوى الطعم الذي وضعه على سنّها يغري سمكة.. قد تكون لعياله رزقا.

احمرت عين الشمس.. تصبغ الكون بلون الأرجوان خجلا من الصياد.. الذي صاحبها منذ أن أشرقت.. ومشت على سطح السماء من أفق المشرق.. وها هي الأن ترتكز على سطح البحر عند أفق المغرب.. وصنارة الصياد قد تعبت وملّت وأصابها دوار تنزل جوف البحر وتصعد.. دون أن تعود للصياد برزق.. تسمع صراخ معدته الخاوية.. ولا تستطيع حياله شيئا.

كان التعب واليأس معينا للصياد.. يسحب صنارته من قلب البحر.. تقطر منها خيبة الفشل.. فوقف الصياد على الصخرة.. تعكس عيناه مرارة ملامة.. وعلى لسانه كلمات وجع:-

يا بحر لماذا وقد أكرمك اللهّ بالرزق الوفير.. باللؤلؤ والمرجان غنيّ كبير ويدك مغلولة الى عنقك بخيلا..؟

يا بحر لماذا وقد كنت صحراء.. أكرمك اللهّ بنعمة الماء.. تتعالى بموجك جبالا وقد كنت ضعيفا..؟

يا بحر لماذا وقد كنت تتحرق للماء عطشا.. وقد جمعك اللهّ قطرة.. قطرة حتى أصبحت البحر الكبير.. أي جاهل أنت وقد ذمّ اللهّ البخيل..؟ بت أخشى عليك غضب اللهّ يصيب البخيل.. لا تغتر بمائك الكثير، فالذي أعطاك الماء.. قادر أن يعيدك صحراء.. تشتاق الى قطرة الماء.. وليس هذا على اللهّ بكثير.

دخلت العتمة الكون وعمّ الظلام.. وأصبح منظر البحر رهيبا. حمل الصياد سلّته فارغة.. وعاد الى بيته حزينا.

اللـي مـش كـارو يا نارو

هي فتاة تحسن رمي النبال.. أعطاها اللّه الجمال.. وخفة الظل ..ولسان البلبل.. تلفت نظرالشباب كيفما سارت.. وأينما حلّت.. ففي الخطوة دلال.. والرمش سهم قتّال واللسان خيط شبكة صيّاد.. فباتت محط نظر زميلاتها.. يتبعنها بعين الحسد والغيرة.. وطول اللسان.. والسؤال هو ذاته نفس السؤال "أي مغناطيس هذا الذي يجذب إليك قلوب الرجال"..؟

قالت هم ثلاث: نظرة ودّ..ولسان عصفور.. وكلام مخلوط بعسل النحل.. وبعدها أوسعي صدرك لقلوب مليئة بالحبّ.. ليس لها حصر ولا عدّ.

أرخت الأذن صديقة لها.. وكان قلبها يميل الى شاب جار لها.. حفظت الكلام عن ظهر قلب.. ومع أول صدفة تلاقت فيها مع الجار.. رمته بنظرة الودّ.. ثم أتبعتها بلحن دلال العصافير.. ثم تابعت الحديث بكلام مخلوط بعسل النحل....إلا أن آخر كلمة مخلوطة بعسل النحل.. ماتت على شفتي الفتاة.. عندما ارتسم الغضب على وجه الشاب.. وأغلظ لها القول.. البراءة والوقار.. وعفة اللسان ...كانوا لك أجمل ثوب.

وذهب الشاب تذهله المفاجأة يعيد الحديث لأبيه.. الذي كان يعتبر تلك الفتاة بمثابة إحدى بناته.. فشعر أنه من الواجب.. بل

ومن حق الجار على الجار.. أن يلفت نظر جاره أبا الفتاة عن تصرف ابنته.. حتى يقوّمها ويعدل اعوجاجها فكان نصيب المسكينة الضرب المبرّح.. والصراخ أيمان غلاظ أنها لن تعود لمثل هذه الأفعال.

تحدّي

اهربي .. اهربي حيث شئت.. فمساحة هذا الكون صغيرة أمام ثورة عشقي.. أوسعي مساحة الجناح.. وزيدي فوق الريش ريشا.. الى السماء طيري...حول هالة القمر دوري.. تواري في حواري النجوم .. في أزقة المجرات توهي... وفي عمق.. عمق المجهول غوصي.. أو أوسعي الخطى قدر ما فيك.. هرولي...اركضي.. انطلقي انطلاق صاروخ مجنون.. حتى تفرغ طاقة المخزون.. توقفي كفاك جنون.. التقطي أنفاسك.. لهاثك لهاث تنّين تحرقه الظنون.. توقفي.. توقفي أنت عصفور جناحه مربوط بخيط.. طرفه الآخر في قبضة يدي.

تيجي تصيده.. يصيدك

هي جارة جذّابة.. حبة لؤلؤ تطلّ من قلب محارة.. عصفورة تغرد من على أعلى أشجار بساتين الحارة.. مع طلّة الصباح.. خيوط الشمس لها قيثارة.. ترمي تحيّة الصباح أغنية فيطرب لها الحيّ وجميع جيران الحارة..التفّ حولها الصيادون خيوط عنكبوت.. كلّ يرمي شباكه.. ما أغراها طعم.. والشيطان وقف عاجزا.. ما أغواها.

انتهت مواسم الصيد.. وتعبت الشباك.. يمرّ عليها ربيع بعد ربيع.. تأكل الشمس خيوطها.. والعواصف تبعثر أشلاءها.. الى أن طرقت بابي ذات يوم .. تشكو شرّ الجيران يعكرون صفو حياتها.. فعطفت عليها.. وفردت عليها حمايتي.. فأصبحنا نعم الجار والجارة.

وجاء يوم أرادت ان ترد لي الجميل.. فدعتني الى مائدة عشاء وسهرة في أحد أضخم فنادق المدينة .... بعد أن انتهينا من وجبة العشاء.. توجهنا الى صالة ضخمة.. وجلسنا في الأماكن المحجوزة لنا.. وكانت سهرة غناء وطرب.. سعدنا بها.. وتكرّرت الدعوات مني ومنها.. الى أن جاءت ليلة اختلفت فيها مائدة العشاء عن المألوف.. فسألتها عن زجاجة الخمر التي تتوسط المائدة. قالت وفي اللهجة غرابة: كيف تنسى هموم الدنيا..؟؟

قلت: كلما اشتدّ عليّ الهمّ.. أصلّي للّه تعالى ركعتين.. أو أقرا ما تيّسر من آيات اللّه البينات.. فينشرح صدري.. وأتصالح مع نفسي.. ويعود الى روحي الصفاء والراحة.

قالت بلهجة فيها إصرار المدمن: أما أنا فلا تذوب همومي إلّا في هذا الكأس..أرجوك جرّب.. ستجد فيها من الراحة منتهاها...علا صوت الموسيقى.. وانطلقت ترقص على الطاولة فتاة.. سبحان من خلقها فسوّاها.. قدّمت لي الكأس بيدها.. وكانت ليلة لن أنساها.

أدمنت تلك السهرات.. وأصبح لا يخلو بيتي من تلك الزجاجات.. تختارها بيدها.. ومن يدها كان أطعم وأجمل اللذات...ولكن مرت الأيام وتغيّر الحال.. ما عاد في الخطوة اتزان.. والحديث خاصم العقل...وأصبح الهذيان سيّد الرأي والكلام.. الى أن وقفت ذات يوم أمام القاضي.. وكانت جارتي حبة اللؤلؤ.. وعصفورة بساتين الحيّ تقف خصمي.. وكان الحكم صدمة لم يحتملها عقلي.. ورمت الحسرة في قلبي.. ذاب فيها كل ما رشفت من كؤوس خمر ونهلت من لذّات طوال عمري....دوّى صوت القاضي يتردّد في قاعة المحكمة:

- لقد ثبت بالبرهان القاطع أن توقيع تنازلك عن بيتك لصديقتك حقيقة مؤكدة وليس تزويرا.. وذلك بشهادة خبير الخطوط الموكل من هذه المحكمة، وخرجت من المحكمة.. لا أجد لي مأوى سوى الرصيف.

توهي.. ضلّي

توهي.. ضلّي إبقي.. إبقي حيث أنت بعيدة عني.. بعد السماء عن الأرض يا قلبا جبانا.. يخاف البوح باسمي يا سجّانة.. بدّلت طوق الورد والفلّ والياسمين.. وصفّحت الباب بالحديد.. وتاه عن اللسان ذكر اسمي توهي في هذا الكون .. ضلّي.. وإذا ما اشتقت لكوكب الأرض.. ذات يوم امسكي بآخر حرف من حروف اسمي.. فالطريق بين السماء والأرض..مرصوفة بأحرف هي أحرف اسمي.

عصفورة وصياد

عصفورة جميلة بيتها في أعالي الأشجار.. قريبة من الشمس في النهار. صديقة القمر في ديجور الظلام.. تمرّغت في ألوان الطيف.. فأخذت منه لون الجناح.. طارت هناك في أعالي سماء.. سمعت صوت ملاك .. فعادت تعزف أبدع لحن.. وتشدو أجمل أغنيات.. التفت إليها الصيادون.. نصبوا لها الشبّاك...أغروها بألذ أنواع الطعم.. ولكن هيهات لمن خبر الحياة.. أن يقع ضحية مثل هذه الشبّاك.. احتار في أمرها الصيادون.. وأمهلهم الصبر تحمّل عذاب القهر حتى الشتاء.. تلفت الشبّاك.. وكانت كلما طلّت الشمس بعينها من فجوة بين الغيمة والغيمة.. تطل العصفورة برأسها تغرد: (مش كل الطير بيتاكل لحمه يا صيّاد)

حكمت المحكمة

هي أرملة.. مقطوعة من شجرة.. لا أب ولا أمّ.. ولا قريب يشفع لها.. أو يحميها من قسوة حياة صعبة.. سوى قريب بعيد النسب من طرف العائلة.. استبدت به النخوة.. وقرابة الدّم البعيدة.. فأخذ يبحث لها عن زوج يسترها من الضياع والتشرد مع طفلها.. فزوجها من رجل ضخم الجثة.. خشن الصوت.. رسمت الدنيا على وجهه بشاعة قسوتها.. ونحتت في جوف صدره قلبا من صخر صوّان..لا تلين قناته.. ولم يتعرّف ذات يوم على عطف أو حنان أو رحمة.. ورمت في فمه لسان شوك تدمي أذن سامعه.. دون وقار أو حشمة.

ضاق صدره بالطفل.. فكانت له الشدّة والقسوة والضرب المبرّح.. تجلس الأمّ في زاوية الغرفة.. ولا شيء سوى أنّات وجع تتناغم مع صرخات الطفل.. ودموع لها لسعة الجمر.. كلما استغاث الطفل يطلب الرحمة.. والويل لها إذا اقتربت تحمي الطفل من شرّ ضرباته.. فيكون لها نفس العقاب أو أشدّ قسوة.. والحجة دعيني أؤدّب الطفل ليكون عونا لنا في الكبر.. ولا يكون شرّا علينا.

ورغم هذه الشدّة والقسوة.. ما كانت تهون على الطفل نفسه.. فكان دوما يصرخ في وجهه.. سأبتر لك ذات يوم هذه اليد الغاشمة الظالمة.. فيغتاظ منه ويمعن في أذاه وضربه..

الى أن تسبب له بتشويه من لطمة على الوجه.. حملها الطفل معه طوال عمره.
الى أن تأذى ضمير جار عجوز لهم.. واستبدت به رحمة وشفقة..فذهب الى قريبها الذي زوّجها من هذا الرجل الجبار.. وأخبره بحال الطفل وأمّه.. فذهب ليصل الى حلّ مع الزوج.. أو يحلّ المشكلة.. ولمّا عرف أن الزوج ضاق صدره بالطفل.. وكره وجوده معه.. استأذن الأمّ أن يأخذ الطفل ليعيش في حضن رعايته.. فحصل على الموافقة.
كبر الطفل ذكيا لمّاحا في رعاية هذا الرجل رحيم القلب.. كريم النفس.. ومرت السنون ليتخرج من الجامعة طبيبا جرّاح عظام بارع.
ذات يوم تعثّر زوج أمّه فكسرت ذراعه كسرا مركبا صعبا.. فذهب الى ابن زوجته ليعالج كسره. ...بعد الفحص قرّر الطبيب بتر يده من فوق الكوع وتمّ بترها.
بعد أن خرج زوج الأمّ من المستشفى.. وبدأت صعوبة الحياة تكشف له عن عجزه
وشعور بالنقص.. أخذ يتذكّر.. ومرّ شريط العمر أمام عينيه يذكّره بقسوته على الطفل..وعلا صوت استغاثة الطفل وتهديده في أذنه.. سوف أبتر لك ذات يوم هذه اليد الغاشمة الظالمة.. تسرّب هذا الهاجس ودخل عمق نفسه وتمكّن منها.. هجم على زوجته يضربها.. الى أن فاض بها الكيل غير عابئة به.. تصرخ في وجهه...خاف اللّه يا رجل .. حتى لا يبتر لك اللّه يدك الأخرى.

صرخ في وجهها .. ولدك ذاك الحقود العاق هو الذي بتر يدي .. بينما كان بإمكانه جبر كسري.. واللّه ما زال صراخه يوجع أذني.. سأبتر يدك .. سأبتر يدك.

وخرج من فوره الى الشرطة يشتكي...فتمّ تشكيل لجنة من أربعة أطباء متخصصين في كسر العظام....اختلف الأطباء.. فكان رأي اثنين منهم أنه كان بإمكانه جبر الكسر.. وما كان من داع لبتر اليد.. بينما كان رأي الطبيبين الآخرين أنه كان لا مناص من بتر اليد.

وكان التعادل بين آراء الأطباء قد أذكى الشك في صدر زوج الأمّ... فحاول بكلّ الطرق أن يدين ابن زوجته ولكنه باء بالفشل.

ولما كان الطبيب بارّا بأمّه.. كان في كل يوم يمرّ إليها في الصباح قبل ذهابه الى المستشفى.. وفي المساء بعد انتهاء عمله من المستشفى.. طالبا رضاها.. والسؤال عن حالها.. فكانت تطمئنه .. لقد اصطلح حال زوجها.. وبات كالقطة المسكينة بعد بتر يده.. ولكنها أقسمت عليه ذات يوم بعد أن عذّبها الشك والحيرة أن يخبرها بالحقيقة..هل الحقد والإنتقام هما اللذان أوعزا له ببتر يد زوجها..؟؟

فكان يردّ عليها السؤال بسؤال: هل ما زال يسيء لك أو يضربك يا أمّي..؟؟

شجرة زيتوني

قطع عدوي شجرة زيتوني.. وما عرف الغبيّ أن داخل عمق..
عمق الأرض جذوري

وأن الجذر لا يموت.. يتبع عظام الجدّ ومنه أستمد صمودي..
سنزرع بدل الشجرة غابة زيتون

لك الروح زيتونتي.. لن تهوني ذراعي امتدادا لذراع أبي.. وجدّي
الكنعاني هو امتداد جذوري.

غويشة سلمى

ولما كانت الدّنيا ظلاما..وعواء الذئب قد انساح الى السهل.. الى الوادي يردّه سفح الجبل صدى.. يزيد من رهبة ليل تخلى عنه القمر.. وشقيقاته النجمات.. دخل الرعب قلب أهل القرية.. وكلّ أحكم باب بيته على نفسه...وما عاد طفل يجرؤ أن يرفع رأسه من تحت الغطاء.. فلهذا الذئب مع أهل القرية حكايات.. افترس الطفل.. والمرأة.. وعددا من الرجال.. فاخلع لوحشيّته قلب الشجاع. ...نصبوا له الكمائن.. لكنه كان حريصا.. لعق الدم.. واستطاب طعم لحم الإنسان....كان الرجال مع متعة الحديث مندمجين مسرورين سعداء.. تجمعهم سهرة في الديوان.

وصل عواء الذئب رسالة رعب.. فتوارى داخل الفم اللسان.. وبات الرجال وكأن على رؤوسهم الطير.. آذان تسمع .. وعدد دقات القلب في ازدياد.. أقفلوا باب الديوان.. وكان العزم أن يتخذوا في أمر هذا الذئب قرارا....وإذا بالباب يقرع بيد الخوف عال.. وعلى استعجال.

أنا سلمى يا رجال .. ذهب سالم الى المدينة.. ولم يعد حتى الآن...علا صوت شهم الرجال.. كل يحمل عصاه.. وغذوا الخطى.. حتى وصلوا الى مكان.. فلم يجدوا فيه من الرجل

سوى بقايا ملابس وحذاء...همس لسان الفتنة في اذن أخي سلمى عباس.. كيف عرفت شقيقتك أن

سالم ذهب الى المدينة.. لابدّ أنه كان بينهما لقاء....غلى الدم في عروق الأب والإبن.. ناديا على سلمى.. وكرّرا السؤال...ولكن لسان الخوف أنطقها بالحق.. ذهب سالم الى المدينة ليشتري لي خاتم خطبة وغويشة.. وما كان يهمها في تلك اللحظة موت أو حياة بعد موت سالم.

تعاون الأب والأخ على ذبح سلمى.. وغسلا العار...بعد يوم عاد سالم.. وعندما سأله الأهل وقد تبدّل حالهم من حزن الموت الى فرحة بعودة الحياة:

- لماذا تأخرت..؟

أجاب:

- استمهلني الأهل وأصروا أن يكرموني بسهرة وطول بقاء.. فأذعنت خجلا الى طلب أحباء كرماء.

أخبره الأهل بما جلب هذا التأخير.. على أهل القرية من مصائب....دوّت صرخة في البيت هزّت أركانه.. ذهب معها عقل سالم.. لمع الخاتم في إصبعه.. ولبس الغويشة.. وانطلق الى الشوارع يعترض سبيل كل من رأته عيناه من أهل القرية.. يمدّ يده ويريه الغويشة والخاتم. وتبدّل اسمه بعد ذلك اليوم.. وأصبح الصبية ينادونه غويشة سلمى..

أول لقاء

عــلا صــوت يعــانق عشــق الكلمــات.... عــلا صــوت زغــرودة الكلمات... انسابت دموع الفرحة علـى خـدود الكلمـات....كـلّ هذا حصل رسائل على الورق.. أو محادثة تهزها الفرحـة علـى أسلاك التلفونات...حصـل هـذا يـوم أن حـدّد الحبيبـان سـاعة لقـــاء....كـــان اللقـــاء في بســـتان.. لا أدري مـــن أخـــبر العصافير...ففـردت أجنحتـها الجميلـة تلـوّن ألأشـجار وتجمّـل البستان.

ولا أدري مـــن كتـــب لهـــا الكلمـــات.. فحفظتـــها ألحانـــا وأغنيات....ّكل شئ كان جـميلا قبل موعد اللقاء.. حـتى أن القمر استعجل الخطى.. وأرسل لهما باقة من خيوطه قبل أن ترحل الشمس بخطوات....كان الحبيب ينتظر وفي يـده باقـة ورد حمراء...والعيون تلمع بشوق اللقاء.. والكلمات الجميلـة تقـف على طرف اللسان.. تنتظر ساعة الإنطلاق....أقبلـت الحبيبـة بأرجل الشوق.. يدثرها الحياء....شهقت بـراعم الـورد وتفتّحـت.. وعبق البستان بعطر الورد

فرحاً بلقاء الأحباء.. وانطلقت تغاريد العصافير زغاريداً.. فالحبّ الـــذي جـــاء وجـــلا يخشـــى أن تـــراه عـــين الإنســـان.. حـــلال عنـــد

العصافير.. وفرحة تمارسها الزهور مرفوعة العنق في أرض البستان.. تقدّمت منه الحبيبة.. وفرد يديه يستعد فرحا باللقاء.. حضنها.. قبّلها.. والحبّ والشوق والحنين كانت تقطر حياء.جلسا والأيادي متماسكة.. كل يخشى أن ينبت لحبيبه جناح.. فيطير.. وتكون مأساة أول لقاء...عرقت الأيادي المتماسكة.. وانطلقت الألسن تبوح بكل ما علمها صاحبها من كلام كان يعثّره الخجل.. وهيبة أول لقاء،الى أن انتهى الكلام.. وساد صمت.. وتوقفت العصافير عن التغريد، وأغمض الورد عيونه.. وأخلوا لهما المكان.

ساعة.. وفكّت الأيادي الإرتباط.. وتاهت النظرات.. كلّ ينظر للآخر باستغراب، وضجرت الكلمات مغموسة بالخجل والإرتباك وشدّة الحياء.

قالت العين: كنت أراه على صفحات الرسائل أجمل.

تبعها اللسان قال: كانت كلماته على ورق الرسائل أجمل.

تبعته الأذن قالت: كان صوته على أسلاك التلفونات أجمل.

تبعتها الكلمات تتكدّر: كانت أحرفه لوحات لا أرقى ولا أجمل، وافترقا غريبين.. كل يذهب في طريق يغذ الخطى الى ورق الرسائل يحلم.

طبيب دون قلب

بخل عليّ بالدواء وهو طبيب....أمسك الكتاب الكبير يقلّب الصفحات.

قالت: دوائي ليس في كتب الطب طبيبي... أنظر الى عينيّ.. قد يكون في نظرتك شفاء.

اشتبكت الأعين في لقاء.. كمّم الطبيب فمه بكف يده... تخنقه كلمة بحجم الروح.. فيها طول العمر والبقاء.

قالت:

- هي كلمة طبيبي أطلِقها..أليس أنت من أقسم أن يداوي كل داء..؟

وتمرد القلم

بدأنا صديقة وصديقا.. ألسنتنا أقلامنا.. صداقة ليس لها مثيل.. عشقت قلمها...عشقت قلمي.. الحوار كان بيننا جميلا.. ألحّت العين ذات يوم أن ترى قلم الصديق...شاركها القلب الرغبة .. وبدا كل شئ في الحياة جميلا.

تواعدنا .. وكان اللقاء لمعة برق.. وآهة رعد.. وانهمر المطر غزيرا.. شهقت العين.. فالحبيب جميل.. وفرح القلب.. كان له تغريد العصافير.. تاه الحبيبان في حضن دافئ.. والقبل كانت نار السعير. ...نسيا قلميهما على الشاطئ.. واستقلا مركب الحبّ.. يمخر بهما عباب البحر..

وكان للبحر أذن مراهق.. سمع غزل العاشقين.. فنام الموج على ماء له نعومة الحرير.. وأطلّ القمر ينادي على المدّ كريما يوسع البحر.. ترحيبا كريما.

فرح القلمان بصاحبيهما.. فالبحر كان بعرسهما سعيدا.. وركض القلمان على صفحة الرمل يرسمان قصائد الحبّ الجميل.. والشاطئ فرح بالحبّ ضيفا.. والقمر والنجمات تنير الطريق.

فجأة اضطرب البحر .. وعلا الموج ..وارتفع صوت المركب يطلب النجاة من رب العالمين.

هرب القلمان بعيدا عن الشاطئ .. فهياج البحر كان خطيرا.

وكان ذلك عندما تزوج الصديقان.. وماتت الأحلام على صدر الحقيقة.. وبدأ التفكير بالعيال والمال وصعوبة الحياة.. وحرية المرأة.. وتسلط الرجل.

لبن العصفور

"حسيبة"هذا اسم زوجتي.. أريد لبن العصفور.

- حاضر يا روح قلبي ..يا أبا عيالي.. يحضر في الحال يا زوجي الغالي.

– حسيبة أريد تجهيز طاولة عشاء الليلة لعشرة أصدقاء.

– حاضر حبيب عمري.. طاولة عشاء ألف ليلة وليلة.. تجهز لك ولأصدقائك.

يشتهيها الملوك.. ولا ينساها كلّ من تذوق طعمها.

- حسيبة سأتغيّب عن البيت مدة أسبوع في رحلة أمتّع بها نفسي.. رحلة أنسى فيها هموم عمري.

– اللّه معك حبيبي.. تروح وترجع بالسلامة.. قلبك مشروح.. وبالك رايق..دير بالك على حالك.. ستجدني في انتظارك.. ولا تشغل بالك.. إحنا مبسوطين وكل شئ موجود والحمد للّه.

هذه زوجتي حسيبة.. مع طلّة الصباح.. يأتيني وجهها .. تحمل فنجان القهوة الى السرير ضحكة.. صباح الخير أبا عيالي حبيبي.

ثم تجهز طعام الإفطار.. وتسير معــي.. تتـأبط ذراعــي الى البــاب الخارجي للبيت...تودعني.. ولســانها يلــهج بالــدعاء.. تنشــد لي السلامة.. والرزق الوفير.. والصحة.. والعودة سالما.

في المساء قصر ليلي أو طـال أقضــيه مـع الأصــدقاء.. كنــت عند عودتي أرى من البعيد ظلها ممتدا خــارج الشــباك.. تغالــب النعاس تنتظرني.. تراني وتــركض تفــتح البــاب وعلــى وجهها فرحة الإستقبال .. تأخذ العباءة عن كتفيّ.. وتــركض لتحضــر طشتا فيه ماء ساخن.. تذيب فيه قليلا من الملح.. تخلــع نعلــيّ وتضع قدميّ بالطشت تــدلكهما.. ولا تنفــك تســألني.. هــل ارتحت..؟؟ هل أنت مسرور..؟؟ ويستمر السؤال.. ولا تزيد إجــابتي عن إيماءة مــن رأســي.. حــتى أشــعر بالراحــة واكتفــي.. ثم تــأتي بالبشكير تجفف قدميّ من الماء.. وتسرع لتــهيّئ المجلــس الــذي اعتدت أن أرتاح عليه.. ثم تأتيني بطبق من القش مفــرود عليــه أطايب الطعام.. وتقف على أهبة الإســتعداد تلبّــي الطلبــات وتنتظر الأوامر برضاء ومحبــة.. الى أن يشــتد تثاؤبي وتغمــض عيني.. فتوقظني برفق لأدخل السرير..أنام مرتاحا قرير العين.

الى أن سمعت ذات يوم من الأصــدقاء عــن متعــة المــثنى.. أي الزوجة الثانية..

فذهبت أزف البشرى الى زوجتي:

- حسيبة أريد أن أتزوج.

قالت دون أن يتغير لون وجهها.. أو يرتعش صوتها: مبروك.. أعطني العنوان أنا أخطبها لك.. من هذه التي لا تفرح بسيد الرجال عريسا لها..؟؟

وكان أن أوفت زوجتي حسيبة بوعدها.. وتزوجت الفتاة التي مال لها قلبي..

فتلون بيتي بألوان من الليالي الحمراء..والغزل والغنج والإثارة..ما غاب عني طيلة فترة زواجي من زوجتي حسيبة.. فساورني الندم .. وغرقت أنهل مما فاتني من أطايب اللذات.. ما أنساني حسيبة والعيال.

مرت الأيام.. وفجأة صحوت الى نفسي إلا وأنا اقدم فنجان القهوة لزوجتي "عبير" على فراشها.. ثم أجهّز لها طعام الإفطار على طبق القش قبل أن أغادر الى عملي.. حرصا على راحتها وعدم إزعاجها.. وما أكاد أن أصل الى مركز عملي حتى يتبعني تلفونها.. لا تنس أن تحضر معك طعام الغذاء.. لقد سهرنا الليلة.. وما عاد عندي قدرة على تحضير طاولة غذاء.. لقد أرهقتني أرجوك أن تشعر معي.

وينتهي العمل وأعود تعبا.. أحن الى طشت الماء الساخن.. تدلّك حسيبة قدميّ ويهرب التعب.. ويدب بي حياة ونشاط.. لأبدأ السهرة من جديد بسعادة وارتياح، ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ.. بل تطور.. أصبحت أجهز لنفسي طعام العشاء، فالعروسة عبير.. لا تحبّ أن يفسد متعة نومها كائنا من كان

الى أن اشتقت ذات ليلة الى حسيبة والأولاد.. وأياما كنت فيها سيّدا مرهوب

الجانب.. مسموع الكلام....ركضت حسيبة تحضر طشت الماء الساخن .. وأوسعت حضني لجميع الأولاد....وجلست حسيبة القرفصاء تدلّك قدميّ.. والتعب ينسل منهما وأشعر بسعادة وارتياح.. وبعدها حضر طعام العشاء.. وما كان ألذ الطعام من يديها.. أكلت بشهية وحمدت اللهّ ولعبت مع الأولاد.. حتى تاه عني الوقت وتأخرت عن "عبير"

وما أن دخلت البيت حتى علا صوت عبير بالتهديد والوعيد.. وكان لها شرط..إما أنا .. أو حسيبة.. وكان حديثها مليء بالثقة والنصر ..معتمدة على الجمال.. وفن الغزل والغنج وإثارة الشهوات ..

فقلت أنسل الى فراشي.. دعيني الآن.. غدا إن شاء اللهّ أختار.

فنامت"عبير" قريرة العين هنيئة مرتاحة البال.

في الصباح وعلى غير عادة.... احضرت لي فنجان القهوة الى الفراش.. وجهزت لي طعام إفطار شهيّ ما حلمت به طيلة فترة زواجنا.. وقبل أن اخرج أمطرت وجهي بوابل من القبل مليئة بالحب والإغراء.

خرجت وذهبت من فوري الى المأذون.. ورميت يمين الطلاق.

حمل الساعي ورقة الطلاق وذهب الى بيت الرجل .. فتحت زوجته "عبير".. استبشرت بالرجل خيرا.. أخذت الورقة متفائلة وطلبت منه أن ينتظر..فذهبت وعادت تحمل له مبلغا من المال هدية.. وحملت الورقة وذهبت بها الى ضرتها "حسيبة" شامتة.. أخذت حسيبة الورقة.. قرأتها ..تفاجأت .. ثم ضحكت.. وأعادت الورقة الى ضرتها عبير وقالت:

- تنسيش تبقي تزورينا يا عبير.

غيمة وحبة مطر

هي القيلولة وسلطانها.. عندما يشتد الحرّ ساعة الظهيرة.. وتلقي الشمس من فوق السموات السبع حرّ نارها.. ترخي الجفون .. وينام الرمش على الرمش.. وتذهب العين في غفوة لذيذة.. يرمي فيها الجسد ما علق به من تعب..

ونسمات ناعمة تعلق بأعالي أغصان الشجرة..تهفهف على العجوز وقد غلب عليه النعاس يحتمي في ظل الشجرة.. والى جواره فأس صاحبته العمر.. يضرب بها الأرض.. وما اشتكت يوما.. ولا انساب عرقها يتذمّر من شرر نار كان يرميها الصخر به حين كانت تشتد ضربات الفأس عليه.

كان العجوز قد قلّم الشجر.. وحرث الأرض .. وبذر الحب على أرض شاسعة واسعة.. وبات ينتظر المطر.. كلما هبّت ريح رطبة توسّم الخير.. وكلما تكاثف الغيم في الأفق البعيد ينمو ويكبر حتى يلامس سطح الأرض.. تفاءل ونهض يتوضأ ويصلي لله تعالى ركعتين.. وينتظر الإستجابة من رب المطر...هكذا قضى هذا العجوزالعمر مع القلق وهذه الفأس والريح والغيم والمطر....وكان أن مرت ثلاث سنوات عجاف.. عطشت فيها الأرض.. وما ارتوت بمطر

وما أصاب قلب العجوز يأس.. وما سقطت من يده فأس.. وما لام أرضا.. ولا يئس من مطر..في كل عام كان يهيّئ الأرض.. يحرثها ويبذر الحب .. فيأكله الطير.. ومن له قسمة من ديدان الأرض.. عينه ترى.. وقلبه يتحسّر.. وإيمانه بربّه وفأسه وأرضه ومساحة السماء التي فوق أرضه في ازدياد.. فهو الذي يحمل وصيّة الآباء والأجداد أن يسلّم الأرض لأبنائه وأحفاده جنة خضراء...رآها من البعيد غيمة سوداء كثيفة..تصغر أمامها جبال الأرض.. كأنها الحبلى ثقيلة الخطوات.. آهاتها رعد.. والبرق يشعل سماءها.. فاستبشر خيرا.. وتمنى لو أن تشتد الريح تدفعها حتى تصل سماء أرضه.. تروي أرضا عانت من عطش ثلاث سنوات طوال.. وما عاد في مخازن قمحه ما يقيه شرغائلة الجوع لو حجب المطر نفسه سنة رابعة.

وكان كلما اقتربت غيمة من سماء أرضه..يكبر الأمل في صدره.. وتزداد دقات قلبه.. فيهرب الى الصلاة ويكثر الدعاء.

وكم كانت خيبة أمله كبيرة حين توسطت الغيمة سماء أرضه.. وهربت الريح بالغيمة بعيدا.. تبخل عليها بقطرات مطر.

بكى العجوز وانساحت الدموع على خده.. الى شيبة لحيته.. الى الأرض.. يتمنى لو أن عنده دموعا .. تكفي لإرواء أرضه وينبت الحبّ أخضر .. يجف ليحصده قمحا بلون الذهب.. يفرده على البيدر.. يطحنه ويملأ المخزن دقيقا.. يقيه شر غائلة الجوع والعوز فتسلم عائلته.

ودّعت عين العجوز الغيمة بمرارة القهر.. ولوعة العتاب.. وعاد يلفّع نفسه بعباءته.. يستجدي غفوة تحت الشجرة.. فنام منقطع الرجاء منكسر الخاطر وقد تاهت الشمس عن عينيه.. لا يدري هل تختفي خلف الغيوم.. أم أنها أسرعت المغيب تختفي خلف آخر حدود الدنيا.. فالعتمة بدأت تطول أطراف أعالي الأشجار.

فجأة استيقظ العجوز على صوت زمجرةالريح.. والأرض وقد شرق ترابها بماء مطر غزير.. غمس العجوز يديه في طين أرضه.. يمسح به وجهه ليتأكد أن تراب أرضه ارتوى.. ورمى بعباءته على غصن الشجرة.. ووقف تحت السماء .. يستقبل عمرا جديدا لأهله وأرضه.

ذنب الكلب أعوج

غيمتان ولـدتا بخارا مـن رحـم بحر واحـد.. إحـداهما بيضـاء.. والأخرى سوداء..سبحتا في بحر السماء صديقتين حميمتين مسافات.. يحدوهما الأمل أن تجدا مـن تاهـت عنـه الغيمات، وبات عطشان تسقيانه من عطاء اللّه ماء.

توقفتا فجأة عندما دوّت صرخة استغاثة وصلت حدّ السماء.. بستانا أحرقت الشمس أشجاره.. ولم ترأف به غيمة طوال سنوات.. فعطشت أرضه.. وما بقي فيه لون أخضر.. ولا بقية من حياة....قالت الغيمة البيضاء لصديقتها السوداء.. واللهجة مليئة بالعطف والحنان.. هذا البستان ضالتنا.. هيا أعطيه من عطاء ربك ماء.. فلك فيه الأجر والثواب.

تمنّعت الغيمة السوداء:- واللّه لن أعطيه قطرة ماء.

تعجّبت الغيمة البيضاءٍ تسأل:- لماذا وقد تعبنا ونحن نبحث عن محتاج الماء..؟

قالت الغيمة السوداء:-

صاحبه بخيل.. أعطاه اللّه في هذا البستان ألوان الخير.. وأجزل له في العطاء.. وبخل أن يعطي حق اللّه فيه لفقير.. أو محتاج.

توسلت الغيمة البيضاء صديقتها السوداء.. اسقه لقد ملآ صراخ استغاثته الأرض والسماء.

أصرّت الغيمة السوداء على موقفها وحثتها على المسير.. لقد ابتعدت عنهما الصديقات من الغيمات.

لكن الغيمة البيضاء ألحّت تتوسل.. الى أن قالت لها الغيمة السوداء غاضبة أعطيه انت من مائك.

قالت الغيمة البيضاء.. أنا ما زلت بيضاء ولم تتكون عندي بعد قطرات ماء.

قالت السوداء وأنا لن أعصر نفسي لأذوب وأعطي من لا يستحق ماء.

قالت البيضاء تصر على موقفها:- وأنا لن أسبح خطوة في بحر هذا السماء قبل أن تتكون عندي حبات ماء ألبي لهفة هذا البستان.

وأخذت الغيمة البيضاء تعصر نفسها وتسقي البستان.. حتى أعطته كل مائها

وتلاشت وحلّ مكانها زرقة السماء.

حزنت الغيمة السوداء على زميلتها البيضاء.. وواصلت الدرب حتى حلّ الربيع وما نست يوما صديقتها البيضاء.. فعادت تسبح في السماء ووقفت ترصد البستان.. فرأته

أخضر يانعا أكرمه اللّه بالعطاء.. والمحتاجون يقفون على بابه يستجدون العطاء.

بينما وقف صاحب البستان يكفر بعطاء ربه.. يطرد ويشتم ويلعن.. وقد اعتلاه غرور وكبرياء.

فحقدت عليه الغيمة السوداء تتذكر صديقتها الغيمة البيضاء..

التي افتدته بروحها وأعطته ماء.

فأرعدت غاضبة تزمجر "ذنب الكلب أعوج".. وأشعلت البرق جحيما تحرق به البستان.

قلوب معتمة

شكا قلب معتم مظلم القمر الى أمّه الشمس.. ترضعه نورا .. يوزّعه على جميع سكان كوكب الأرض.. بالقسطاس والعدل.. ساعة غروبها وغيابها تسطع بنورها على الوجه الآخر من كوكب الأرض.. أن القمر يخص بنوره أهل الحب في بساتين العشق.. يغزل لهم من خيوط نوره قصائد الحبّ والعشق.. ويلون لهم الدنيا بألوان السعادة.. يحملهم على جناح الأحلام الى دنيا الجمال والخيال.. وينسى أن يدخل نوره الى القلوب المعتمة المظلمة.. ليعيشوا حياة الظلام كخفافيش الليل.

استاءت الشمس وغضبت تهدد القمر أن تحجب نورها عنه.. ليعيش كوكبا مظلما منسيا أعمى يدور في فضاء الكون.

ولكن القمر كان قد أرخى أذنه فسمع الحوار, فقال متظلما.. مرتعش النور أمام جبروت الشمس:

– حاشا للّه أن أحجب نوري عن قلب ليعيش أعمى مدى ما طال أو قصر عمر الليل.. ولكن ما جدوى خيوط نوري إذا مرت على قلب مقفل الشباك.. ليس فيه لوعة عاشق.. ينير الطريق لحبيب تاه عن الدّرب..؟

لا عتاب

في المساء انهمر المطر غزيرا.. وكانت فرحة الدنيا بقدر طول حبل زخة مطر من أعلى غيمة في السماء.. الى أبعد ذرة تراب في عمق باطن الأرض...وذرات التراب تشرب بشراهة العطش الى قطرة ماء....الكون سكون.. وعيون الناس نيام.. ليس سوى هبّات ريح تركض على سطح الأرض تارة.. وترتفع أحيانا الى أعلى سماء .. تدفع الكسول من غيمات حبلى

بأنهار ماء.. تعانقت ذرة تراب مع قطرة ماء.. وكان هناك عتاب:

- قالت ذرة التراب : تأخرت يا قطرة الماء.. يا روح الحياة.. أصابني الجفاف وقطعت الأمل من مزيد عمر.. وطول حياة.. حين عطشت في الرحم بذور تطلب ماء الحياة.

قالت قطرة الماء:

- اعذريني كم كنت لك أشتاق.. حين كنت في الرحم أتوه في بحر ماء..

أنتظر الشمس تحملني الى السماء غيمات.. ولكن الشمس ما استجابت الى قهري وإلحاح النداء.

سمعت الشمس الحوار فقالت:

- لا تلوماني أيها الأحباء أنا نار الأرض والسماء.. التي كانت في كل يوم تركض في فسيح السماء تأكلني ناري.. أسمع النداء..تعذبني الحيرة مقطوعة الرجاء.. أتحيّن الفرص حتى أنفذ الى البحر.. أحتال واحمل الماء بخارا.. إلا أن الهواء البارد كان يمنعني.. يركب سطح البحر.. ويصب على ناري بارد الهواء.

سمع الهواء الحوار بين الثلاثة.. ذرة التراب.. وقطرة الماء.. والشمس.. فقال:

- لا تلوموني أيها الإخوة الأحباء.. ما كنت لأقف في طريق الخير وأحجب بخار الماء عن السماء.. وأفرح بالغيم يجوب السماء.. ولكنه البحر كان دائما يدعوني مستجيرا من جحيم نار.. كانت تنفجر في جوفه بركان.. فأمر عليه حتى يهدأ بردا وسلاما.

أطلّ القمر فرحا من فجوة بين الغيمات.. وأرسل على حبل زخة مطر طويلة رسالة:

- لا عتاب أيها الأحباء. "ولا تشاؤون إلا أن يشاء اللّه".. صدق اللّه العظيم..."غدا ستلبس الدنيا حلّة خضراء"

ما المصير؟

هي والشاطئ والبحر ثلاثة.. والشمس تتوارى خلف الغيم.. كلما أطلّت بعينيها أصابها وابل من رذاذ موج بحر هائج هادر.. تجلده رياح الشمال..فتهرب الحيتان الى قعر البحر تنشد الأمان...فالبحر والعاصفة على أشد خصام.. وكلّ من على ظهر البحر بات في خطر.. فالأمان فرّ بعيدا عن البحر يضمن لنفسه الأمان.

صخور البحر قرون شياطين تهوى الحطام.. والبحارة على ظهر جبال الموج.. تهرب منهم الروح.. تارة الى السماء..وأخرى غرقا في قعر البحر.. والفتاة وحدها على الشاطئ.. لا يؤنسها إنس ولا جان.. لا أحد يجرؤ أن يقترب من المكان.. قرّبت الصدفة من فمها وأخذت تهمس.. تسال البحر أن يلفظ أباها.. كما لفظ الحوت سيدها يونس .. وعاد به الى برّ الأمان.. ثم عادت تتوسل والصوت مرتفع والدعاء حار.. خوفا من ريح كان يبتلع الحرف والكلام.. ولا يدع لأحد غيره مجالا للكلام.

فجأة هجمت موجة لها حجم الجبال.. حملت الفتاة من الشاطئ .. وذهبت بها الى عرض البحر.. رمى لها البحارة حبل الأمان .. رفعوها الى ظهر السفينة.. وهناك اجتمع الأب البحّار مع فتاة كان خوفها على أبيها في القلب مرجل نار.. رمت نفسها في حضن أبيها.. هناك شعرت بالأمان....غضب

البحر.. كيف اختبأ الأمان في صدر الفتاة ودخل بحره.. وكان قد أعلن أنه يوم حداد.. نادى على الضباب من الأفق البعيد يحتل سطح البحر.. فأطفأ عين الشمس.. وباتت الدنيا ظلاما.. وعلا صوت العاصفة.. واشتد دعاء البنيّة وأبيها البحار.. وما عاد أحد يعرف المصير فالكون كان ظلاما في ظلام.

قبلة بطعم السّكر

هو حانوت صغير.. قديم قدم الزمن.. له رفوف قديمة شبع السّوس من نخرها

منتشرة في الحانوت على غير هدى.. أو ترتيب.. موروثة عن الجدّ نموذجا لحوانيت ذلك الزمن القديم.... لا تستوعب الجديد أبدا.. كان يتعاون على العمل فيها عمّي يوسف.. وولده رشيد.. أمام هدا الحانوت بيت قديم.. أكلت الشمس نضارة حجارته.. أمّا الباب فكلّما فتحته.. أو أقفلته .. كانت له أنّات عجوز غفل عنه الموت منذ سنين.. وأمّا الشبابيك فكانت كريمة.. ما منعت لصا.. ولا حتى ناموسا.. ولا ذبابا.. ولا حتى صراصير.. مباحة للهواء كأنها النايّ الحزين. ..هكذا كان حال الحيّ جميعه.. دوما يذكّر التاريخ بما غفل عنه.. كلّما غفت عينه وتاهت الذاكرة بين أزقة السنين.

كان أمام الحانوت دار .. شبّاكها يرمي على الحانوت.. تطلّ منه فتاة بعمر البرعم.. لم تعطها الدنيا خبرة.. ولا أدخلتها تجربة.. كلما طلّت من شباكها وتصادف أن التقت عيناها بعين الشاب.. اتصلت الدائرة الكهربائة ولمع برق.. وهدر رعد.. وانهمر مطر.. وربت النفس ربيعا اخضر في حضن الأحلام...حضر الفستان الأبيض.. وصدحت الزغرودة في أذنها عروسة حسناء.. يهاجمها الحياء كلما علا التصفيق.. وطلبوا منها أن

تدخل وسط الحلقة تؤدي رقصة العروسة غزال.. ولا تصحو من حلمها إلا حين تسمع صوت أمّها.. هيا "وصال" أذهبي للحانوت واشتري ملحا.. أو بعض ما يحتاجه البيت.. فتذهب من فورها الى المرآة تعضّ شفتيها.. وتقرص خديها .. حتى يغزوهما احمرار.. فتذهب الى الحانوت ليستقبلها الشاب وقد انتشر احمرار الحياء على وجهه.. وتاه عن لسانه الكلام.. وأدخل يده في أحد "المرطبنات" ..وكمش كمشة من الملبس على قضامة يضعها في يد فتاته.. واليد يهزّها ارتعاش

الى أن اصبح عمر "وصال" ما يقارب اثنتي عشرة عاما.. حسب ذاكرة الأمّ... تؤكد أنها كانت حاملا بها يوم الزلزال الكبير.. أما عمر "رشيد" فما زاد عن ستةستة عشر عاما حين طرق والد رشيد باب دار أبو وصال مع جاهة ليطلب يد ابنته وصال الى ولده رشيد.. وتمّت الموافقة وقرأت الفاتحة على نيّة التوفيق.

ذات يوم وكان قد جاء رشيد لزيارة خطيبته وفي يده ما لذّ وطاب من الحلوى فاستقبله الحما بالترحاب.. والفتاة بحياء يعلوه الفرحة والشوق.. وصدف أن اضطر الوالد أن يخرج من الغرفة لدقائق.. وكذلك الحماة ذهبت لتجهز القهوة وخلت الغرفة بالخطيب والخطيبة.. فانتهز الخطيب الفرصة واقترب من حبيبته وسرق قبلة.. فقال منتشيا منتعشا.. واللّه قبلة لها طعم السكر.. تبعها صرخة من الخطيبة.. حين فاجأهما الوالد بدخوله.. يعلو ويرج صوته الغضب..وينهال على ابنته

ضربا.. بينما وقف الخطيب مذهولا.. يغشى وجهه الإصفرار.. وقد ضاع منه اللسان.. فطرده.. هيا اخرج من بيتي يا نذل يا حقير.

خرج رشيد تعثره كلمات حماه.. وقد ارتسم على وجهه جميع ألوان الخزي والعار فليس لمثل هذه الجريمة غفران في مثل ذلك الزمان.. وما أن رآه والده حتى سأله مندهشا عن السبب.. فاقر واعترف الولد لوالده بخطيئته.. فصرخ الوالد مفجوعا.. ماذا فعلت أيها الشقي؟ وطالت يده على ولده.. وانطلق من فوره يطرق باب جاره.. فاستقبله بجفاء المقهور المغدور.. الذي كان لا يأمل مثل هذا الغدر من جاره.

فاعتذر أبو رشيد يعترف بخطأ ولده.. مصرا أن يصلح الخطأ..حتى ولو اقتضى الأمرالى ذبحه .. وبعد أخذ ورد وطول حديث.. وقد أوضح أبو رشيد أن الأمر كان لا يعدو أنها طفرة جهل.. وصغر سنّ الولد والبنيّة.. وانتهى الأمر على أن يتسترا على هذه الحادثة.. وأن لا يرتكبا حماقة تغضب اللّه.. فالأمر لم يتعد الجهل ..وفرحة عريس بعروسه.. وتم الإتفاق أن يزوجاهما في خلال أيام لا تزيد عن أصابع اليد الواحدة.. ونفذا الإتفاق.. وكانت وصال عروسا تنتقل الى بيت رشيد في اليوم الخامس.

مرت الأيام وأنجب رشيد ووصال الأولاد والبنات.. الى أن جاء ىوم كان الطرب قد

وصل برشيد منتهاه.. الأرجيلة أمامه.. ووصال في أجمل ملابسها تجلس الى جواره.. والسعادة تملأ بيتهما.. قدم رشيد بربيج الأرجيلة الى زوجته وصال يشغلها به وسرق قُبْلَة.. فتلفتت وصال حولها بحذر تلوم زوجها.. عيب.. ألا تخجل من نفسك يا رجل.. كبر الأولاد واصبحوا يفهمون مثل هذه الأمور.

ولامته عاتبة.. لماذا تفعل هكذا بوجود الأطفال.. ونحن دائما معا والأولاد خارج البيت.

ضحك رشيد.. وذكرها في ذلك اليوم العصيب الذي سرق فيه منها أول قبلة...وكم كان ثمنها غاليا.. وأردف يقول.. منذ ذلك اليوم .. وأنا لا أجد أمتع من القبلة المسروقة.. أجد لها طعم السكر.. وقهقه يتذكّر.. ورفعت وصال بربيج الأرجيلة الى شفتيها.. وشدّت نفسا عميقا يملؤها الطرب. .. والأرجيلة تقرقر.

حقيقة..أم خيال

له أخلاق الثوري.. شجاعة.. رجولة.. تضحية.. كرم وكرامة...علا صوت الثورة.. أرضك يا وطن تحتاج الى الرجال.. الى نضال الشجعان

الى تضحيات الكرام.. الى الجود بالروح.. وليس فينا جبان....ترك حانوته في سوق المدينة.. ودخل الدار ملهوفا.. لا يلتفت الى زوجة ولم يرم سلام.. رمى حبلا في البئر وفي طرفه خطّافة.. سألته زوجته وهي ابنة عمّه: ماذا تفعل..؟؟ ماذا بك..؟؟ أقلقتني.. ما الجديد الذي غيّر الحال..؟؟

جاءت الخطافة ببندقية.. جفلت الزوجة واعتلاها خوف.. تلعثم اللسان.. ما هذا يا سيّد الرجال..؟؟

بندقية جدّي يا "حنان".. كان من الأحرار.. من الثوار.

قالت وقد تغيّر اللون .. وعلا الوجه اصفرار.. وانساحت دمعة على الخدّ وفرض الماضي نفسه.. ودار شريط الذكريات أمام عينيها:

ترمي نفسك بالنار.. يا إلهي كفى هذا البيت تضحيات.. الأب شهيد.. والجد التفّ حول عنقه حبل الموت.. شنقه الأعداء.

ضمّ زوجته الى صدره بيد.. أما الأخرى فكانت تحمل البندقية.. وضع على جبين زوجته قبلة خاطفة.. وانطلق كالسّهم الى الجبال يتبع آثار أخوانه الثوار.. نزل الأودية.. دخل الكهوف.. واعتلى قمم الجبال.. أكل لحم الأفاعي والسحالي..

وأوراق الأشجار.. دخل معارك تشيب لهولها الولدان.. قطع الطرق.. هدم الجسور نسف سكك الحديد.. أدخل الرعب في قلب العدو.. وألحق به الخسائر.. فضجّ وقرّر تصفيته.. فأتبعه طائرة هو وزملاؤة الأربعة.. بعد عملية أوجعت قلب العدو، حامت فوقهم طائرة وهم يعتلون قمم الجبال .. قذفتهم بقنابل الجحيم.. استشهد أربعة من رفاقه..وكان قد أصابته شظية في الرأس.. فدخل كهفا واستقر هناك يداوي جرحه أياما..أمطرت الدنيا.. والبرد كان شديدا.. فالتجأ الى الكهف راع مع خرافه يقي نفسه البلل.. ويحمي نفسه من البرد وشدة الرياح.. أرواه من حليب نعاجه.. وبلل قطعة قماش وضعها على جبينه خفضت من ارتفاع حرارته.. وأطعمه من لحم خرافه..وصبر عليه أياما.. حتى عاد الى وعيّه.. فسأله عن اسمه.. والى أي عشيرة ينتمي.. فما كان عند الرجل جوابا.. أفقدته الإصابة وشدة الإنفجارالذاكرة.. وقضى سنوات يعمل راعيا مع ذلك الراعي الذي أحبّه واتخذه أخا له.

ذات يوم وبينما كان الرجل منحنيا يلتقط بعض العيدان ليعد فنجان قهوة.. فإذا بتيس الغنم يهاجمه وينطحه في راسه.. كانت النطحة قوية.. بحيث جعلت الرجل ينظر الى نفسه

مستغربا.. ماذا يفعل هنا؟ عادت له الذاكرة.. ومن فوره ترك قطيع الغنم مهرولا عن الجبل يعود الى بيته.. ليجد أن أخاه قد تزوج من زوجته.

كانت الصدمة شديدة.. قوضت حلم عمره الجميل.. يعود الى حضن زوجته الدافئ

ويعيش ما تبقى له من العمر بسلام وأمان واستقرار.. فاتهم أخاه بالغدر والخيانة.. وأصر أن تعود إليه زوجته.. واشتد الخلاف بينهما.. مما أدى الى اجتماع الحمولة كبيرها وصغيرها.. وقد انتقسمت الى قسمين.. قسم يؤيد عودة الزوجة الى الأخ المناضل..أما القسم الآخر فعلت أصواتهم معترضدين.. مستسلمين للعبة القدر.. مصرّين أنه لا يجوز أن يجبروا رجلا على طلاق زوجته...خصوصا وأننا أعلنا عن استشهاد أخيه وأخذنا عزاءه بعد اختفائه وطول فترة غيابه.. فليتزوج من أخرى.. فالنساء كثيرات.

إلّا أن كلا من الأخوين أصر على موقفه..هذا لا يريد ان يقوّض حلم حياته مصرا ان تعود له زوجته.. أما الآخر وقد استطاب الحياة مع زوجته.. فأصر أن يبقيها على ذمّته.

احتار شيخ القبيلة ماذا يفعل حين وقف الرجال صفّين متقابلين بين مؤيد ومعارض..وقد استلت السيوف والخناجر من أغمادها.. فكان لشيخ القبيلة رأي فقال: نحقن الدماء.. ونطفئ نار الفتنة..لتسلم الحمولة.. ولا يكون ذلك إلا بقتل

الزوجة.. نضحي بالقليل من أجل الكثير.. فخسارة القليل من أجل الكثير حلال.

علا صوت معارض.. ما أجهلنا إذا كنا سنزهق روحا.. ونقف أمام اللهّ قتلة..دعونا نترك للزوجة الخيار.

علا صوت هرج ومرج واشتدت الخلاف.. واستمرت السيوف والخناجر خارج أغمادها تهدّد.. في حين أن الحديث قد وصل الى أذن الزوجة بعد ان استقر رأي الجميع على أن يتركوا الأمر الى اختيار الزوجة.. فذهبوا لينقلوا إليها القرار الذي حاز على موافقة الجميع .. وكم كانت الصدمة كبيرة حين وجدوها تسبح في بركة دماء منتحرة..وقد اشترت سلامة القبيلة بروحها..

خاصمني قلمي

خاصمني قلمي أياما.. قدمت له الإعتذار تلو الاعتذار.. غنيت له كلمات الحبّ من القلب الى القلب.. بوزن الكيلو والقنطار.. لكنه أصر على الخصام.

تهت.. ضعت.. تشردت.. أصابني يأس واكتآب.. فالقلم روح.. حتى اسألوا جميع الأدباء والكتّاب والشعراء.

دلاله أشقاني .. ومن كأس المرّ أسقاني.. هو الواثق من نفسه.. صاحب الحبر الغالي.. وريشته راسمة الجمال ووحي الخيال.. وجالبة الأحلام.. بدون هؤلاء من يستطيع أن يقول أنا أديب .. أو كاتب.. أو شاعر..؟؟

استمر الخصام بيننا أياما.. وأنا في كل يوم أمارس عليه أساليب الضغط والإحتيال أشكالا وألوانا.. ولكنه كان مصرا على الخصام كل الإصرار.

الى أن بدأت أسمع لأناملي صرخات أهات وأنّات .. اشتاقت للقلم.. فالحضن حين يخلو من الحبيب.. تأكله لوعة الفراق.. الى أن غلب حماري وبلغ مني اليأس منتهاه.. وكان القلم قد

عطش واشتاق الى الحبر والدواة.. فأسقيته الحبر ممزوجا بندى عذب الحبّ والودّ والرضا وسألته:- ماذا تريد يا غالي..؟؟

قال: أريد ثورة.. أريد ربيعا أخضر يزحف على كلمة "لايك"..مللت الكذب والنفاق..

الحب الجبان

تسلّلت في قلب الليل حيث لا نجم ولا قمر.. ابتلعت السماء نورها.. وباتت الأرض كوكبا من الظلام أعتم.. لفّعت وجهها بشال لا يظهر منه سوى عيون خائفة تتلفت حولها والذعر منها قد تمكّن.. تنقل خطواتها بحرص.. وفي الجسد رعشة كلما تحرّك خيال .. آوعبث النسيم بأوراق الأشجار.. أو صرخ خفّاش .. أصاب النفس عطبا.. وحلم اللقاء تهدّم.

كان الحبيب في الإنتظار.. يستند الى جذع شجرة ملتاعا.. فالحبيب تأخر، دقائق وإذا بالوجه يشرق.. والقلب يفرح.. والدنيا تشعل أنوارها.. وكأن القمر والنجوم عادت تضئ السماء. وكوكب الأرض نوّر.

سمع دقات قلب الحبيبة من البعيد.. فاطمأن قلبه .. وتأكد أن الحلم تحقق، فتح الحبيب ذراعيه.. وارتمت في أحضان الشوق.. وغرق الحبيبان في بحر الحبّ.. وبات صوت الخوف أخرس.

اشتكت له من الخوف.. وصحوة عين الأهل.. فالموت محقق، لكن نشوة الحبّ دبّت في قلب الحبيب شجاعة عنتر.. فانطلق ينشد:-

أن تكون نهايتنا .. نهاية الجبناء .. محال...أن ننسحب ونموت في صدفتنا كسلحفاة عجوز..محال....أن نكون عيونا جبانة.. حبّنا يستغيث ولا ننقذة..محال...أن تهدمنا الأيام

ونعيش كسفينة مهجورة.. هزمها البحر...تعشّش فيها الأسماك والقواقع طلبا للأمان.. محال.

أن نصحو عندما تنام العيون كخفاش جبان.. محال.

حبيبتي حبّنا حلال ...فمن العار أن نصحو.. والناس نيام..علا صوت من البعيد ..

من هناك..؟؟

تسلّق الحبيب الشجرة ..ارتدى عباءة الليل واختفى مع الخفاش.

أمسك الأب شعر ابنته وصراخها يملأ الأرض والسماء.

آآآه يا عنتر كم أذت معلقتك أحباء وعشاقا...حفظوها عن ظهر قلب ... كلام في كلام

وما كان في قلوبهم حب عنتر لعبلة..بل كان كذب وادعاء.

ساعة فرج

مرّ أحد المسئولين في دولة الخليفة هارون الرشيد على عجوز يجلس تحت ظل شجرة.. يجهش بالبكاء.. بلّل الدمع لحيته البيضاء..وكان المسئول صاحب فراسة..اقترب من العجوز مواسيا قال:

- مالي أرى دموع التوبة تنساح من على خدّيك تبلّل لحيتك..؟

ولما كان العجوز في أسوأ حال.. لا يريد أن يضايقه إنسان.. قال له وفي الصوت قسوة وجفاء:

– من أنت وماذا تريد..؟؟

– أنا عباس حاكم هذه الولاية.. ولاّني عليها سيدي أمير المؤمنين هارون الرشيد.. سمعت صوت نشيجك فأثرت فيّ حرارة دمعك .. أشتم منه بخار عذاب ومرارة ألم وأوجاع.. فحدّثتني النفس أنك قد تكون في حاجة أقضيها إليك.

ثم اخذ يتقرّب منه .. ويخفف عنه.. حتى ألفه العجوز.. وارتاح إليه... تنهّد العجوز تنهيدة طويلة.. وأخذ مع كل تنهيدة يكشف له سرّا من اسرار حياته.

قال: صدقت أيّها الوالي عباس.. واللهّ إنها دموع توبة نصوح.. أتبرأ فيها من شرور نفسي.. وسوء أعمالي وأفعالي.

ثم مسح بكف يده دموعا تقطر من لحيته وواصل الحديث:

- عققت والديّ.. زنيت.. تعاطيت الخمر.. لعبت الميسر.. قتلت.. طالت يدي الحرام.. وكانت كلما أشكلت على شيطاني مصيبة أكون أنا من يجد لها الحلّ في التوّ والحال.

الى أن وصلت البيت ذات ليلة.. وقد قطفت من الدنيا كل مباهجها.. وكان الليل قد تأخر.. فاستيقظت عين أبي .. وما أن اقترب منّي.. واشتم رائحة الخمر تفوح من فمي.. حتى غضب .. وطردني من البيت .. وأتبعني من اللعنات ما اقشعر له بدني.. وجلست تحت هذه الشجرة.. غفت عيني فحلمت.. ويا هول ما رأيت في نومي.. رأيت موقعي في الدّرك الأسفل من نار جهنم.. استيقظت مذعورا .. جفّ حلقي.. وأخذ العرق يجهدني.. تصطك أسناني ويرتعش جسدي.

نهضت من فوري أتوضأ.. واستغفر ربي.. وذهبت في صلاة بلّلت دموعي سجادة صلاتي.. ومنذ ذلك اليوم.. حتى هذا اليوم وأنا على هذا الحال.. أسأل اللهّ أن يغفر لي ذنوبي.

انتحى الوالي عباس بمستشاريه يبحثون في أمر العجوز.. فانتهوا الى قرار كان له الإجماع فيما بينهم "ينفذ فيه حكم اللّه".. فهو المرتكب جميع الموبقات التي حرّمها اللّه.. عق والديه.. زنا .. قتل.. شرب الخمر..لعب الميسر.. حلّل الحرام.. فأخبروه بالقرار.. وارتضى العجوز بحكم اللّه صابرا.

لكن ولحسن حظ العجوز.. ومشيئة اللّه في كل من تاب توبة نصوحا.. أن سمع أمير المؤمنين بأمر هذا العجوز.. فشدّ الرّحال من فوره الى الوالي عباس.

وكان قد وصل مع موعد أعدام العجوز.. فسمع من العجوز.. وسمع من الوالي عباس.. فغضب أشد الغضب وأمر بإطلاق سراح العجوز وأكرمه.. ونحّى عباس عن الولاية.. بتهمة القسوة وقصر النظر.. وعدم التبحر بأمور الشرع والدين وعلا صوته يؤنب عباس:-

أتعاقب صاحب توبة نصوح غفر اللّه له.. وعفا عنه..؟؟

خدعتني كلمة

نحن زملاء في مؤسسة.. جميعنا نحب ونشتهي بل ونتمنى نظرة.. أو كلمة تفوح

منها رائحة الورد.. أو مبلولة بندى الصباح.. أو فيها أمل يجمعنا فيها حبيبة.. أو صديقة.

كانت "هيفاء" رئيسة القسم الذي نعمل به... فيها جمال قمر..وعطر بستان.. وقوام الخيزران.. كلّ ما فيها جميل.. ولكن الشخصية والعياذ باللهّ.. فيها شراسة سجّان لئيم.. ما سمعنا منها يوما كلاما جميلا.. اللسان سليط.. طويل.. طويل.. له طول كرباج شديد نشيط.. كأن "هيفاء"هذه مصنوعة من الجدّ.. من الأمانة في العمل..من العفة والطهر.. والكلام الذي تقطر منه الدماثة والإحترام.. لا كلام إلا في العمل.. ومصلحة المؤسسة.. فارضة احترامها على الصغير والكبير.. من الوزير.. حتى الآذن المسكين.

أُعجبت بها.. أحببتها.. تمنيتها زوجة..هي الفتاة التي لم يُقبّل فمها سوى أُمّها.

ولكن مَن الذي يجرؤ على مصارحتها..؟؟

عذبني الأرق.. طال بي السهر.. ذبلت عيناي... وشحب لوني.. وهزل جسدي

هي الحلم الذي يلاحقني ليل نهار.

تعلمت الكلام الجميل.. حفظت أشعار قيس وليلى القديم.. وجميع دواوين "نزار"

وكلّ شعر محبّب للقلب أثير.

وبات عليّ أن أجرأ وأسمعها كلمة من كلمات جبروت الحبّ المغزولة بسهر الليل.. المرسومة على صفحات عتمة الليل تؤرقها.. وتقضّ مضجعها.. وترسم سواد الليل بقعا سوداء تحت عينيها كلما تمطّى الحبّ على جدار قلبها...يطيح بتلك العظمة.. وذلك الشموخ الذي استبد بالقلب .. واستعذب قهر دموع العين.. ليلة فيها من عذاب الحبّ ما يشفي القلب.. ليلة فيها فرحة الأخذ بالثأر...بعد ليلة طال فيها السهر.. وتمطى فيها القهر ياكل شغاف القلب بلذة ونهم

دخلت المؤسسة وعذاب أرق الليل يدفعني.. يهمس في أذني.. وبكلمات الحبّ يشجعني.. تقدّم.. تقدّم.. لا خوف مع الحبّ.. ما عاد القلب يتحمّل أكثر.. وما عادت العين تحتمل السهر أكثر.. خزان الصدر تملؤه كلمات الحبّ.. يكاد يتفجّر.. تقدّم..الحبّ الجبان ما عاد له في قلب حواء احترام.. وما عادت به تكبر وتفخر.

بهذا القدر من الحماس.. تقدّمت من "هيفاء" أخترقت هالة عظمتها وجبروتها....وقفت أمامها..أرجل ترتعش.. ولسان يتعثّر:-

صباح الورد الأحمر.. والفلّ الأبيض.. والياسمين المعطّر آنسة "هيفاء".

رفعت عينيها عن ورقة أمامها.. وفي النظرة استنكار وتعجّب من جرأة لم تتوقعها من موظف رفع الكلفة.. وكسر حاجز الخوف والرهبة.

فالمفروض أن يكون مقطوع اللسان أبكما.. فمن هذا الذي لا يعرف أنها بجرة قلم

تجعل الموظف على مستقبل عمره يتحسّر؟.

هزّت رأسها لتحية لم تعجبها.. وعادت بنظرها الى الورقة.. يكدرها منظري.. تتذمر.

ولكن للقلب قرون استشعار.. لا تخطئ أبدا.. سبرت غور عمق شغاف قلبها.. وبنظرة من عين كاذبة رمتني كأنها لم تتأثر.. ولكنها بين الفينة والفينة كانت عيني تضبطها تسرق نظرات حيرى.. تدرس تضاريس وجهي.. والفكر شارد.. وهيفاء ليست هيفاء التي أعرفها.. كلّ ما فيها تغيّر وتبدّل.. فعلا صوت دهشة داخلي.. يا إلهي.. ترى هل هذا القلب المتحجّر بكلام الحبّ تأثر..؟ هل تفتّح بستان قلبها يستقبل وردا أحمر..؟

في اليوم الثاني تجرأت أكثر.. دخلت المؤسسة وفي يدي وردة لونها أحمر.. قدّمتها:-

صباح الورد الأحمر آنسة "هيفاء".

فاجأتها الكلمة.. وفاجأتها الوردة الحمراء أكثر.

قالت وفي اللهجة قسوة:

- قدّمها لخطيبتك .. هناك المكان الأحق والأفضل.. ورمتها في وجهي بنفور مَن ضاق صدره وتكدّر.

كانت تصبغ كلماتها الغيرة هكذا حدّثني قلبي.. فالقلب في مثل هذه الأمور أدرى وأخبر.

في نفس هذه اللحظة بتّ أفكر أن أفسخ خطوبتي من ابنة خالتي التي فرضت عليّ من مؤامرة حاكتها أمّي وخالتي.. وما كان الخلاص من ابنة خالتي صعبا.. فهي خارج باب القلب .. لا يأنس بها ولا يحفل.

كان لإبنة خالتي حرية نفر منها قلبي.. فأصدقاؤها كثيرون.. وانطلاقها غير المحدود.. دون ضوابط.. أو إلتزام بعادات أو تقاليد.. جعلني أبتعد عنها وأجفل فأنا الذي أعشق الطهر.. كانت امنيتي زوجة من النقاء والعفة والطهر أصفى وأفضل.. فكنت كلما رأيت ابنة خالتي تختال وتتبختر كالطاؤوس منطلقة بين أصدقائها.. يزداد شكّي بها أكثر.

الى أن جاء يوم انطلقت فيه ابنة خالتي تنسى نفسها في عرس لزميلتها.. فغنّت ورقصت .. وأعطت لنفسها حرية فوق ما تحتمله غيرتي وتعصّب رجولتي..

فغضبت وأنكرت عليها تصرفها.. فاحتدم الخلاف بيننا.. وكانت ثورتي فوق قدرة

احتمالها وشدّة حساسيتها.. فانفجرت ثورة كرامةً وعزة نفس ..وعلا صوتها يتمرّد :-

هكذا أنا صريحة واضحة ليس عندي ما أخفيه.. ولا أرى في كل ما فعلت خروجا على المألوف.. فيه خطأ أو عيب.. وكانت القشة التي قسمت ظهر البعير.. فانتهزتها فرصة وفسخت الخطوبة.. وعدت ألتفت الى زميلتي "هيفاء".. أهاجم أبواب حصون قلبها.. الى أن دخلته فاتحا مستبشرا بعروس حسناء نقيّة طاهرة لم يُقبّل فمها سوى أمّها.

تمّ الإتفاق.. تزوجنا.. وكان القلب سعيدا تملؤه الفرحة..الى أن جاء يوم فتحت أحد

أدراج خزانتها.. أبحث عن قلم أسجل فيه ما يحتاجه البيت خوفا من السهو.. فاندفعت نحوي بلهفة ملفتة للنظر تسألني:-

ماذا أريد..؟؟ بينما كانت عيني قد لمحت شريط فيديو.

قلت: أحتاج الى قلم أسجل حاجات البيت.. فلبّت الطلب وأقفلت الدرج بسرعة.. إلا أن شريط الفيديو ظلّ يداعب مخيلتي.

في الصباح ذهبنا كالعادة الى عملنا معا .. فتحينتها فرصة وعدت الى البيت.. أستعرض شريط الفيديو.. وإذا بها سهرة على شاطئ البحر الميت ترتدي زوجتي لباس بحر من قطعتين.. تجلس على طاولة.. عليها ما هبّ ودبّ من موبقات ما حرّم اللّه.. الى جوارها الوزير وكبار المسئولين في المؤسسة.. فتأكدت أن جبروتها وتسلطها وهيبتها كان في لسان الوزير الذي كان يسكن داخل فمها.

آآآآآآآآآآآه... من الكذب

طائرة صغيرة ليس على متنها سوى القبطان ومساعده.. وزوج وزوجته.. وضابط شاب عاد يقضي إجازته في ربوع بلدته.

ارتفعت الطائرة فوق جبال يكسوها الثلج.... يعكس أشعة الشمس بألوان الطيف.. والأشجار باسقة عالية.. عمرها عدد عمر سنوات اليوم الذي ولدت الأرض أجمل جبالها، وكانت قد أوحت المناظر الجميلة بكلام الغزل الجميل.. يتغزل به الزوج بزوجته.. وانه الحب الصادق الذي يفتديها بعمره.. وأن لا حياة له دونها.. دون شلال شعرها.. دون عيون المها.. عيونها.. دون القدّ النحيل.. والخصر الجميل الذي زيّن اللّه بستان الأرض بحسن جمالها.. وأن الموت يسبق قبل ان يعتلي الوجه الجميل حزنا.. أو قهرا يكدّر صفو حياتها.

وبينما كان القلب طوفانا.. يطفح بأجمل كلمات الغزل .. فإذا بصوت انفجار رهيب ينطلق من محرك الطائرة.. يتبعه دخان ولهب.

علا صوت الخوف منطلقا من صدر الرجل .. فوق صوت الرّعب منطلقا من صدر زوجته.

حاول الضابط أن يُهدّئ من روعهما.. ولكن الخوف كان قد تملّكهما.. وأفقدهما السيطرة على نفسيهما.. وما كان أمام

القبطان سوى أن يهبط في أنسب مكان مناسب قد تكون فيه نجاتهم.. فاختار المكان الذي كان سببا في موته وموت مساعده.. بينما سلم الركاب الثلاثة.

الخوف ما زال مسيطرا.. والضابط يحاول أن يعيد الصحوة الى عقل الرجل وزوجته.. حتى يشتركوا معا في قرار يكون فيه مصيرهم.

بعد جهد جهيد تمكن الضابط أن يقنع الرجل وزوجته أن يخرجا من الطائرة حتى يدرسوا العالم من حولهم.. أو قد تكون نجاتهم في إحدى الطائرات التي تسلك تلك الأجواء فتخبر عن مكانهم.. ويكون في ذلك إنقاذ حياتهم.

خرج الثلاثة يتفقدون الدنيا من حولهم.. وإذا بهم يفاجأون بذئب ضار يهجم على الزوجة مزمجرا يحاول افتراسها....وكانت المفاجأة.. هرب الزوج يحتمي داخل الطائرة.. بينما هجم الضابط على الذئب يحاول أن يخلّص الزوجة.. وكان عراكا رهيبا انتصر فيه الضابط والزوجة.. بينما كان الزوج ينظر من خلف زجاج الطائرة.. أسنانه تصطكّ ورجلاه ترتعشان تحته.

دخل الضابط والزوجة الى الطائرة.. وكان قد تسبّب لهما الذئب بجروح عميقة .. كانت الأصعب والأعمق في جسد الزوجة....مضت ساعات وإذا بدرجة حرارة الزوجة ترتفع.. والزوج تلفه الحيرة .. يشلّ الخوف حركته.. بينما خرج الضابط من

الطائرة.. وأحضر بعض الثلج.. وبلّل قطعة قماش يضعها على جبين الزوجة يخفض من درجة حرارتها.

بعد قليل شرع الضابط يهذي بسبب إرتفاع حرارة تشعل جسده.. وتبلّلة بعرق غزير رغم برودة الطقس.

بعد أربع وعشرين ساعة.. تمكّنت إحدى الطائرات المروحيّة من رصد الطائرة المنكوبة.. فهبطت الى جوارها.. ونُقلُ الزوج والزوجة والضابط الى متنها..

وذهبت بالزوجة والضابط الى المستشفى.. أما الزوج فذهب سليما الى بيته.

بعد ثلاثة أيام خرج الضابط الى بيته.. وقد شفيت جروحه.. أما الزوجة فخرجت بعد خمسة أيام.. ولكن الى بيت الضابط.

العش القديم

على أعلى شجرة هناك في أرض الغابة الكبيرة..عشّ يسكنه عصفور كناري مع حبيبته العصفورة الجميلة.

بعد أن تغرب الشمس .. وتنزل عن أعالي أشجار الغابة.. وتتدحرج عن مرتفعات

جبال المدينة.. ويعود كل عصفور وعصفورة الى عشهما.

كانت تصمت جميع العصافير.. لتسمع صوت ذلك الكنّار.. وتطرب على ما وهبه اللهّ من صوت جميل.. وألحان بديعة.

كان لهذا الكنّار جار عصفور "حسّون".. رائع الشكل.. جميل الريش.. بديع المنظر.. له صوت جميل.. سمعته جارته العصفورة حبيبة الكنّا.. فطلبت من حبيبها الكنّار أن يغني لها نفس أغنية ولحن جارهما العصفور الحسون.

ضحك حبيبها الكنّار يعاتبها:-

أغني لك أجمل ألحان البلابل.. وما أبدعت عصافير الكنّار من أنغام وألحان وتسألينني أن أغنّي لك لحن عصفور حسّون..؟

مــرت الأيــام وفي كــل يــوم يــزداد إعجــاب العصــفورة بصــوت وشكل جارها العصفور الحسّون.. الى أن أسـكرها الطـرب ذات ليلة.. وذهبت لتعيش معه.

وعادت لتركض الأيام والعصفور الحسّون يُسـمعها كـلّ ليلـة نفس اللحن.. ونفس الأغنية.. فطلبت منه أن يغيّـر ويبـدّل في اللحن والصوت.. فاعتذر لها:-

أنا لست سوى عصفور حسّون لا أملك فن الكنّار.. أو البلابـل.. ولا أحســن ســوى أداء هــذا اللحــن.. ولا أحفــظ ســوى هــذه الأغنيــة.. الى أن طفــح الكيــل بهــا.. فعافتــه وملّتــه.. وعــادت تشتاق الى حبيبها الكنار.. جميل الصوت.. بديع اللحن.

فطار بها الشوق الى عشّها القديم.. والشـوق يملؤهـا للحبيـب الأول.. والصوت.. واللحن الجميل.. وكان أن صـدمتها المفاجـأة.. عصفورة ترقد في العشّ على فراخها.. فانسحبت وتاهـت بـين أعشاش العصافير.. فلم تجد لنفسها مكانا.

مع بداية طلّة الشمس.. اعتلـت أعلـى أشـجار الغابـة ترقـب أسراب الطيورفي السماء الواسعة.. فطارت ترافقهـا.. وتـدخل بين صفوفها... تنتقل من سرب الى سرب..

علّها تجد عصفورا له شكل وصـوت العاشـق حبيبـها.. فلـم تجد...الى أن غابت الشمس.. وعـادت الطيـورالى أعشاشـها.. إلاّ تلك العصفورة فقد أوت الى غصن شجرة.. يعبث الريح البـارد بريشها.. فيصطك منقارها من البرد.. ويرتعش جسدها.

إلا أن حبيبها العصفور الكنّار لم تكن لتغيب عن عينيه لحظة.. كان يراقبها.. فاقترب منها وفرد جناح الدفء يحضنها.. فقال يعاتبها:-

لقد ذهبت الى العشّ الخطأ حبيبتي.. هجرت عشّنا القديم بعد أن هجرتيني..

وبنيت عشّا آخر أجمل.. هيا معي قد يعجبك.

تعانق المنقاران بلهفة الشوق.. وطارت معه الى عشّه.. ونامت تنعم بالدفء في حضن جناحه.. يعيد عليها ما كانت تعشق من أغانيه وألحانه.

.

شريط الذاكرة

"ابن العم بِنزّل بنت عمّه عن ظهر الفرس".. استغل ابـن العـمّ هذا الشعار.. أو هذه المقولة.. وأصرّ أن تكون ابنة عمّة عروسـا له.. رغم أن ابنة عمّه طالبة سنة ثالثـة جامعـة.. وهـو لـيس أكثـر مـن عامـل في حـانوت أبيهـا.. وقـد شـجّعته أذن عمّـه الصّاغية.. رجل العائلة وكبيرهـا.. المـؤمن والـداعي والمشـجع.. لحصر زواج شبّان وشابّات العائلة فيها.. من أجل هيبة العائلة بكثرة عددها.. والحرص على إرث الأجداد والأموال ليكونوا أربـاب الإقتصاد في المدينة.

شكّل الشاب جاهة كبيرة من كبار وجهاء البلد.. وكبار وجهـاء العائلة.. وطلبوا البنيّة عروسا لإبن عمّهـا..فاسـتجاب لطلـب الرجال.. وفرح العمّ أن تعيش ابنتـه في حضـن العائلـة.. فـابن أخيه شاب نشـيط .. لـه هيبـة الرجـال.. ويعـرف كيـف يجلـب القرش.. أي أنه سيكون أمينا على ابنته في حضن ابـن أخيـه.. فلن تجوع.. ولن تعرى.. وأنه سيكون ستر الأمان لها.

انتظر الأب عودة ابنته من الجامعة.. والفرحـة تمـلأ قلبـه..فهـو زعيم العائلـة الـذي لم يكـرم اللهّ عليـه بسـواها.. يسـتعجل زواجها شوقا للأحفاد.. ودعما له بالرجال.

وما أن دخلت البيت حتى فاجأها بالخبر.. منتظرا أن يرى فرحة في عينيها.. فإذا بالوجه يمتقع بلون اصفرار الخوف.. واللسان يعلن الرفض.. والدموع تنهمرمن العيون غزيرة:- لا.. لا يا والدي.. أنا متعلمة وابن عمّي جاهل.. أنا تربيت في حضن الدّلال والمحبة

وابن عمّي ربيب سجون .. لا يكاد يخرج منه حتى يعود إليه.. لقد اعترض سبيلي بالأمس.. وكان برفقة ثلاثة من أصدقائه المشبوهين.. كلمني وهو يتطوح والإتزان مفقود.. والصوت مطوط.. ورائحة الفم بالخمر تفوح.

قال الأب مندهشا وفي الصوت استغراب:

- ماذا تقولين يا ابنتي..؟؟ ابن عمك شاب مشهود له بالإستقامة.. له هيبة الرجال...المال يملأ جيبه.. والتجارة فنّ طاعت له.. فهو سيّدها في كل مجال.. اقبلي به بنيّتي وستعيشين معه في عزّ وأمان.

قالت وفي صوتها حيرة وتساؤل واستفسار:

- ابن عمّي أجير عندك.. لا يتجاوز أجره قروش.. ألم تسأل نفسك من أين له كل هذا المال؟ أليس السجن على سوء خلقه دليل...؟

قال يعظها ويرشدها الى ماغفلت عنه في حياتها:

- السجن للرجال يا ابنتي.. ما عاب السجن رجلا .. بل أعطاه هيبة واحتراما.

قالت يحيّرها منطق أبيها:

- لا تفهم هذا القول خطأ يا أبي.. السجن للرّجال الأحرار.. الثوار أهل النضال.. محرّرو الأوطان.. وليس للصوص المحترفين والزعران.

قال وفي اللهجة حزم ينهي الجدل:

- انتهى الأمر وصدر القرار.. أعطيت الكلمة لإبن عمّك أمام كبارجاهة رجال البلد

ورجال العائلة ولا رجعة فيه.. ثم نظر إليها يتفحصها يهزّ إصبع سبّابته مهدّدا والعيون مليئة بالشك:

- احذري يا ابنتي .. أن يكون الشيطان قد أضلّك وأغواك بأحد شبّانه.. أنت تعرفين

أنني لا اتعامل مع شيطان الحبّ إلاّ بسكين الشرف.

قالت وفي اللهجة عتاب:-

ترميني في حضن لصّ.. وتقول أنني في حضن الأمان.. وأنك أصدرت قرار..؟.

قال بلهجة الخبير المجرّب:

- ما زلت صغيرة يا ابنتي على فهم الكثير من أمور الحياة.. هؤلاء الذين هم على شاكلة ابن عمّك.. هم الرجال الذين لهم المركز والهيبة.. وطاعت لهم الحياة.

قالت والصدمة ثوره تشعل كلماتها:

- الجامعة .. دراستي.. مستقبلي..؟؟

قال وفي اللهجة حزم:

- كلّ هذا مؤمّن لك في بيت زوجك.. مال وحياة رغدة.. كل ما تطلبينه يحضر لك في الحال .. الرجل مقتدر.. ماذا تريد الزوجة أكثر من الطعام والشراب وسترالحال..؟

قالت يحرقها جهل أبيها:

- والدراسة والعلم..؟

قال والحزم ما زال يركب صوته:- كل هذا موجود عند زوجك..فالمثل يقول "علم المجالس أفضل من علم المدارس" وزوجك عالم في مجتمعه.. وسيّد في مجالسه.

ما كانت البنيّة تجهل طبع أبيها.. ولا شدّة عناده.. وعدم تراجعه عن كلمة أو قرار أو وعد قطعه على نفسه.

إلّا أن قلب البنيّة كان مسروقا من صدرها.. يعانق قلب حبيبها في عالم الأحلام..يرسمان مستقبل حياتهما.

ركضت إليه والدمع ملء العين.

سألها ملهوفا: ما الأمر..؟

- أبي يصرّ على أن يزوجني من ابن عمي.

بعد أخذ وعطاء.. وطول جدل.. قررالحبيبان أن يهربا معا الى بلد يعتاشان فيه

ويكملان علمهما.

رحبت بهما جامعة في مدينة نيويورك الأميركية.

وانهت البنيّة الأمر في رسالة تُعلم أباها عن سفرها مع زوج هي اختاره لنفسها.

جُنّ جنون الأب وأقسم أن ياخذ معه سكين الشرف..يغسل عاره بالدّم.. ليعود ويأخذ مركزه بين الرجال. ...كان في تصرف ابنته عار وذلّ ومهانة له بين تجارالمدينة ورجال الحيّ والعائلة.

سهل الشيطان له طريق السفر.. ذهب الى مدينة نيويورك وفي يده سكين الشرف

عازما أن يرجع مرفوع الرأس .. سكينه تقطر دما.. مستردا مكانته كزعيم له المكانة والهيبة والمركز....وصل مدينة نيويورك.. وعن طريق الجاليات العربية تعرّف على عنوان ابنته.

قرع الباب.. نظرت من خلال عين سحرية كاشفة .. فانطلقت من الصدر شهقة..

ودخل القلب رهبة.. وتلعثمت على الوجه تعابير شتى.. فرحت البنية بلقاء أبيها.. وخافت من سكين يتعجل موتها.....فتحت الباب ورحّبت به.. والبسمة يقتلها على الشّفة رعشات خوف.. والعين حذرة تتابع حركات يده.. استل الخنجر من غمده.

صرخت: لا يا أبي.

غرز الخنجر في صدرها يعذّبه حبّها.. وتحرقه نار عارها.

خرج الزوج من غرفة النوم يتبع صوت صرختها.

هرب الأب والدّم يقطر من خنجره.. تكاثر عليه الناس.. أمسكوا به.. وتولت الشرطة أمره.

في المحكمة تنازلت البنيّة عن حقها.. ووكلت لأبيها محاميا ماهرا للدفاع عنه.

دافع المحامي عن موكله بقدرة وكفاءة.. وكانت حجتة أمام القضاة أن الشرف عند العربي أغلى من الروح.. فحكمت المحكمة على الأب بالسجن سبع سنوات مع التنفيذ.

ما كانت الضربة قاتلة.. جرح في صدر البنيّة.. كان حبّ الأب لإبنته الوحيدة قد أبطل مفعول الخنجر.. وأحبط قواه وشدة اندفاعه.

وِما كان في صدر البنيّة حقد على أبيها لتغفر له.. فكانت تذهب لزيارته كلما سنحت لها إدارة السجن بالزيارة.. ولكنه كان يرفض استقبالها.. ويرد كل ما تجلبه له من طعام.. أو حلوى..أو هدايا.

واستمر الوضع على هذا الحال مدة ثلاث سنوات.. الى أن مرض الأب .. واضطرت إدارة السجن أن تدخله المستشفى..وما تخلّفت عنه ابنته في زيارة سنحت لها.. فَألانُ عطفها وحنانها قسوته.. وأخمد ثورة غضبه.. وجعلته يجلس في محاسبة مع النفس حين أنكره الصديق والقريب والبعيد.. وحمد اللهّ أن سكينه لم تقتلها.. ورغم ذلك ما قابلها يوما.. إلاّ وعاتبها أن وجودها على سطح الأرض خطأ.. وأنه ما زال يحمل عارها.. وإذا قُبِل ان يكون لهما لقاء في السجن.. أو المستشفى بعيدا عن عيون الرّجال الذين يقدّسون الشرف وغسل العار.. فبعد خروجه من السجن .. لن يكون لهما لقاء إلا في الآخرة

بعد أن انتهت مدة سجنه.. ذهب من فوره يعتلي السماء على ظهر طائرة متوجها الى بلده.. تأخذه العزة بالإثم.. ويسيطر عليه جبروت وقسوة عادات وتقاليد مجتمعه.. هاربا من لقاء مع مَن ضعفت وتراجعت سكينه عن أداء واجبها.. وغسل عاره.. أمام حبّه لوحيدته.. التي هزمت قوته وجبروته ببرها وحبّها لأب شرب الجهالة من عادات وتقاليد مجتمعه.

وصل بلده بالسلامة.. دخل الحيّ.. وإذا بعيون أهل الحيّ تجحظ عند رؤيته.. والهمس يكثر.. والإستقبال فيه طعم شوق تغلب عليه الدهشة.

أقبل عليه صديق عزيز عليه يحضنه بلهفة والعين تدمع.. والصوت فيه بحّة حزن وتحلّق حوله باقي الأصدقاء.. ألف حمد للّه على سلامتك.

أقلقته المبالغة في الإستقبال والترحاب .. وكأن اللّه قد نجّاه من مصيبة.. فسأل يستفسر:-

اقترب منه أحد الأصدقاء والصوت همس حزين..أرجوك أن لا تستغرب هذه النظرات التي يملؤها الإستغراب والدهشة.. بصراحة لقد أخذنا عزاءك قبل عام.. وقام ابن اخيك بالواجب ..نصب صيوانا كبيرا واستقبل المعزين.. قال أن اللّه اختارك الى جواره بعد أن غسلت عارك وقتلت ابنتك .. وتصرف في حانوتك ودارك وكلّ ما تملك.

صعقته الدهشة.. كيف حصل هذا.. أين هو..؟

باع جميع الأملاك .. وهاجر الى استراليا.

كانت الصدمة قاسية.. جعله يرجع بشريط الذاكرة.. ليسمع صوت ابنته:

- أبتي كيف تزوجني من شاب خريج سجون.. سيئ السمعة.. فاسد الأخلاق لقد رأيته بصحبة ثلاثة من

الأشقياء.. الخمرة تؤرجحهم شمالا ويمينا.. والألفاظ يخجل منها عابر الطريق.

تجمّل معه بعض رجال العائلة والأصدقاء المقربين أن يحلّ ضيفا على بيوتهم.. فاختار بيت خال ابنته.. أخو المرحومة زوجته.. وفور أن وصل البيت رفع سماعة التلفون :

- بنيتي أرسلي لي تذكرة سفر وساكون عندك بعد أيام لأعيش معك ومع الأحفاد.

تفاجأت البنيّة تسأل نفسها.. قاتلي يريد أن يعيش معي..؟

ثم علا صوتها.. ما الأمر يا والدي..؟؟.. صوتك لا يعجبني .. هل حصل شئ..؟

نتحدّث عند عودتي يا ابنتي.

بعد أيام قليلة عاد الى مدينة نيويورك يطرق باب ابنته.. استقبلته بلسان المحبة والشوق.. وعيونها تقرأ على جبين أبيها حجم كبر المأساة.

قالت وفي العين دمعة.. وفي القلب حسرة.. تودّ أن تعتذر.. وضع الأب كفّه على فم ابنته يمنعها من الإعتذار.

لماذا تعتذرين يا ابنتي ..؟؟ كنت على حق.

تسربت بعض الكلمات من بين شفتيها تهرب من بين أنامله.

لـو أنـنـي أطعتك يــا أبي .. مــا كـنــت سـمـحــت لــذلك الـوغــد أن تطـول يـده علـى تعـب وعـرق سـنين عـمـرك.

لحن حزين

وردة في بستان عشقها عصفور.. كانت توحي له باللحن الجميل.. فتشرق الشّمس له.. مليئة بالشوق والحنين.. تفرد اشعتها على البستان.. والندى ما زال حبّات لولي.. تنام على خدّ الورد والفل والياسمين.. وحبّات اللولي تعكس ألوان الطيف.. تنادي الفراشات.. عمّ البستان الدفئ.. فالشهر إبريل.. الجنة نزلت على الأرض.. والأخضر بين جميع الفصول هو اللون الجميل.

صحت عين العصفور.. وتمطّى جناحه.. وتثاءب يطل من عشه.. فرأى نور اللهّ يعمّ البطاح .. سهل وواد وجبل.. فانطلق يسبّح بحمد اللهّ يصدح بصوت عذب جميل.. وبينما كان يراقب الوردة.. إذا بالبستاني يتوجّع من وخزة شوكة آلمت إصبعه.. ونزف الدم غزير.

حزن العصفور على البستاني.. وحدّثته النفس أن كل ما في هذه الوردة جميل.. إلا هذا الشوك .. فهو بشع المنظر شرّير.. فنزل الى الوردة يخلع بمنقاره الشوك.. فدونه ستكون الوردة أجمل بكثير .. خلع العصفور جميع الشوك عن الوردة.

حزنت الوردة.. وباتت كالقطة المسكينة دون أظافر تدافع عن نفسها من معتد لئيم.

في صباح اليوم الثاني.. نزل البستانيّ الى البستان يقطف وردا.. فخاف أن يقترب من كل وردة لها شوك.. فجزّ عنق الوردة الجميلة.. وباتت جميع ألحان العصفور حزينة.. يفتقد وردته الجميلة.

وتاه موج البحر

تمطى الليل...غطّى الأرض بلون السواد.. وتمنّى لو أن يده تطول السماء تطفئ عين القمر.. وتحجب عن الأرض ضوء النجمات.. وتاه الموج عن طريقه.. وما عاد البحر يعرف له شاطئا.. وما عاد طير النورس يردّد أسطورة حورية البحر والصيّاد..

عابر سبيل

الخطوة ثابتة.. والثقة بالنفس عالية..والهيبة حصن منيع يحمي صاحبه.. يُزيّنها وجه جميل.. والشّعر شّلالُ حرير.. وعينان يذوب فيهما أهل العشق مندحرين خائبين.

كلمات الغزل تتطاير من حولها.. منها الجميل.. ومنها البذئ الذي يخجل منه كل محترم خلوق أديب.. تسمع دون أن تلتفت شمالا .. أو يمينا.. الخطوة ثابتة.. والثقة بالنفس عالية.. والجراة نمرة..مخالب إذا اقتضى الأمر تنشبها في وجه كل معتد لئيم.

الى أن تجرأ حثالة من الشبان المستهترين وسدّوا عليها الطريق.. والتفوا حولها دائرة.. وبدأت الأيادي العابثة تلعب بخصلات من شعرها.. والعيون الجائعة تتلمظ.. والشهوة فاضحة جامحة.. ذئاب جائعة والفريسة حمل.. لا ناب ولا مخلب...قاومت.. ضربت.. صرخت.. استغاثت.. وكان شاب عابر سبيل من أهل النخوة والشهامة.. تدخل وسلاحه الكلمة الطيبة.. علّها تكون هداية لأهل الفجور...ولكنها لم تجد صدى عند اخلاق شباب تربّوا في بؤرة فاسدة.

التفوا حوله يوسعونه ضربا.. فدافع عن نفسه وعن الفتاة دفاع الأبطال...دفاع أهل الشرف والمروءة.. استل احدهم سكينا وغرسه في ذراعه اليمنى.. فشُلّ ذراعه ونزف الدم

غزيرا.. فدخل قلب الأوغاد خوف.. وفرّوا جبناء.. يحملون عار جريمة شرف.. وبتر ذراع الشاب الشهم....مرت الأيام والفتاة أسيرة الشاب مُنقذها.. ولكن ما الحيلة والقلب عاشق

يتربع فيه حبيب منذ زمن.. نقش على جدار قلبها قصائد حبّ .. وأملٌ في بناء عشٍّ سعيد.

الى أن جاء يوم صارح فيه الشاب الشهم الفتاة يسألها..إذا كانت ترضى به زوجا.. وهو صاحب مركز .. ووظيفة رفيعة.. ودخل جيّد يكفي لبناء عشّ مستور الحال مبدؤه القناعة والحب..وحياة كريمة.. فصدمها السؤال.. وأدخلها في دائرة الحرج.

ليست الذراع المبتورة كانت السبب.. إنما القلب يملؤه حبُ شاب مَلكُهُ منذ زمن.

فقالت تُلمّحُ له بذكاء.. قد يستطيع الإنسان أن يصدّ ويمنع أو يحارب حبّ قلبه.... ولكنه لا يستطيع أبدا أن يخرج مّن يسكن فيه.

قال الشاب يواري جرحا وصدمة أربكته: شكرا فهمت.. وحاول أن ينسحب.. فاستمهلته تحاول أن تطيّب خاطره وتعتذر.. فأجابها يقطع عليها حرج كلمات تعذبها:

- قلت لك.. أنا فهمت وانسحب من أمامها جريح القلب.. مهدّم النفس.. غادره أمل كان يبني عليه مستقبل عمره.

مرّت الأيام يعذبها منظر ذراعه.. وكلمات كانت تتمنى لو أنها لم تبح له بها..الى أن جاء ذات ليلة الحبيب يصطحب جاهة من كبار وجهاء البلد.. تليق به وبحسبه ونسبه ومركزه في البلد يطلبون يدها.. فاستمعت وساءها ترفع وتعالي أسلوب كبير الجاهة يطلب يدها.. فشعرت بالإهانة..وثارت عليها كرامتها.. وقفز الى ذهنها شهامة ورجولة ذلك الشاب الذي ضحى بذراعه من أجل فتاة لا يعرفها.. لا يدفعه سوى إنسانيته.. وشهامة الرجال وأصالتها.. وبينما كان رجال الجاهة ينتظرون استجابة أبي الفتاة.. خرجت عليهم مستاءة ترفض الطلب.. وذهبت تطرق باب الفتى في صباح اليوم التالي .

"هات جاهتك وتقدّم.. أبي في انتظاركم الليلية".

حامل حجر

صغير .. لم يبلغ الحلم بعد.. كان كلما سمع عن عملية اقتحام لحيّه.. يهرب الى حضن أمّه.. القلب يخفق.. والجسد يرتعش.. والأنفاس متهالكة متلاحقة.. كموج بحر تتبعه عاصفة.

لم تمسك كفّه يوما حجرا.. وليس لذراعه عزم قاذفي الحجارة....اقتحم الجنود المنزل.. سأل الضابط والغضب يتطاير من عينيه شررا:- أين الشباب قاذفي الحجارة..؟؟.

قالت الأمّ تحضن طفلها.. والخوف يُعثّر كلماتها:- ليس في هذا المنزل من ذكور سوى هذا الطفل.

انتزع الضابط الطفل من حضن أمّه.. وفتح كفّيه بعنف يفتش عن آثار حجر.. وقذف به الى جنوده.. خذوه.. كفّه خشنة وعليها آثار حجر.

هجمت الأمّ تُخلّص طفلها من أيدي الجنود.. توجه الحديث الى الضابط:-

خاف اللّه يا حضرة الضابط .. واللّه ما عرف يوما كفه حجرا.. وما بلغ عزم الشباب حاملي الحجر....عللا صراخ الطفل يطلب الأمان في حضن أمّه.. وعلا صوت الضابط فوق صوت

الطفل والأمّ:- إذا كنت تخافين على ولدك.. لماذا تتركينه يرمينا بالحجارة..؟

واختلطت الأصوات.. صوت رعب الأمّ... بصوت خوف الطفل.. وصوت جبروت الضابط يأمر جنوده:

- خذوه.. لقد رأيته بأمّ عيني.. يقذفنا بالحجارة.. ويهرب وكأنه البرئ يحتمي بصدر أمّه.

لم تُجدِ دموع الأمّ... ولا توسلاتها..أخذواالطفل وشهد الضابط أمام المحكمة أنه رآه بأمّ عينه يقذف الحجارة.. فدخل السجن بشهادة زور لفّقها له ضابط معدوم الضمير.

بعد أن انتهت محكومية الطفل ..خرج من السجن.. ولكنه كان كلما سمع عن عمليّة اقتحام جنود الإحتلال لحيّه.. كان يتشوق للمواجهة.. بعد أن أصبح العقل المدبر لاستدراج الجنود.. ونصب الكمائن.

كلمة بحجم البحر

علت موجة ضخمة فوق السحاب يضربها الغرور بعد أن أغرق باخرة ضخمة.. أنا البحر صاحب الجواهر واللآلئ والضرر.. مغرق البواخر والمراكب والسفن.. مالك لثلاثة أرباع كوكب الأرض.. متى تتعظون يا بشر..؟

قفزت سمكة صغيرة على سطح الماء وقد أغاظها غروره:

- جسم كبير وعقل صغير.. دون هذا الصياد.. وتلك البواخر والمراكب والسفن.. هل كان اسمك اليوم بحر.. ؟

غدّار يا زمن

زلــزل زئـير الأسـد الغابـة.. وعـلا صـوته يسـتغيث.. تجمّعـت حيوانات الغابة حوله عيون تنظر الى بعضها .. وآيـات الشـكر والحمد للهّ حبـل للسـماء طويـل.. العيـون شـامتة.. والقلـوب حاقدة.. ولسان يردّد هذا مصير الظالمين.. وآخر يعلـو "ومـا مـن ظالم إلا سيبلى بأظلم منه".. وقعت في شرك الصياد.. وكـان جزاء اللهّ بك عادلا.. فما رحمت ضعيفا.. ولا نصرت مظلومـا.. ولا أطعمت جائعا.. ولا احترمت فقيرا.

ردّد هـذا القـول اثنـان مـن كبـار زعمـاء الغابـة.. همـا النمـر والفهد.. وهما اللذان كانا في العرش طامعين....فرح من فـرح.. وضحك من ضحك.. وتشدّق بالعبرة والحكمة من تشـدّق.. الى أن

مالت الشمس الى المغيب.. وبدأت تختفي خلف أشجار الغابـة.. التي بـدأت ظلالهـا تطـول.. وشـفافية عتمـة الغـروب تفـرد غشاوتها علـى الغابـة.. والوحشـة أخـذت تـدب في القلـوب.. فاستدارت مخلوقات الغابة.. كلّ يعـود الى عرينـه.. أو بيتـه.. أو عشّـه.. تمـلأ قلبـه الفرحـة.. فيـد الـبطش كبّلـها فـخّ الصياد...نادى الأسد على رعاياة والصوت ذليل.. ولكن هيهـات

لقلب مظلوم أن يغفر.. أو يلين.. هذا جزاء ربّ عادل.. الى جهنم وبئس المصير.

عند منتصف الليل سمع الأسد خطوات كلب.. فنادى عليه.. وذهب الكلب إليه ينبح

منخفض الصوت ذليل.. ولكن عندما رآه مكبلا بأصفاد الفخّ.. لبسته الشجاعة.. وعلا صوت نباحه.. وانطلق الكلام من لسانه أكبر من حجمه بكثير.

قال الأسد: خلصني يا كلب.

قال الكلب: والثمن..؟

قال الأسد: سأجعلك من المقربين.

قال الكلب بخبث الماكرين: أوضح.. لا أفهم.

الأسد: سأجعلك وزيرا.

الكلب: هذا ثمن بخس.. مقابل روح ملك عظيم.

الأسد مستغربا: ماذا تريد..؟

الكلب: روحك ثمنها عرشك.

الأسد: لا تكن طمّاعا أيها الكلب اللئيم.

استدار الكلب يهدّد مبتعدا عن الأسد: ساعات ويبيعك الصيّاد الى حديقة الحيوان

لتكون فرجة.. وعبرة للمعتبرين.

نادى الأسد الكلب مذعورا.. وقد تصور نفسه حبيس قفص حديقة الحيوان.. نهبا لنظرات المتفرجين.. فنادى مذعورا:

- تعال.. تعال قبلت أيها الكلب اللئيم..

عاد الكلب يخلّص الأسد.. يشجعه حلم يوم يكون فيه للغابة ملكا عظيما.

وفى الأسد بوعده.. وجمع الحيوانات يتنازل أمامهم عن عرشه للكلب المستغل الحقير.

جلس الكلب على كرسيّ العرش .. وكان واسعا عليه جدّا.. لا هيبة ...ولا حكمة.. ولا خبرة.. ولا دراية في إدارة الحكم.. وإرساء قواعد دولة غابة كان يديرها ملك له الهيبة والحكمة والخبرة والسلطة والطاعة.

حكم الكلب وكان الجميع له طائعا مستجيبا.. الى أن ضلّله الغرور.. وأربكته قلة الخبرة .. وضعف الشخصية..وانعدام الهيبة.. وقلة التجربة فعمّ الظلم.. وانتشرت الفتنة.. وحاول كلّ من الطامعين"النمر".. "والفهد" أن يستغلا ضعضعة وتردّي أحوال مملكة الغابة للوصول الى كرسي العرش.. فأخذ كل منهما يدّعي الأحقية في الحكم.. لضعف الحاكم وتردي

أحوال المملكة.. وجمع كلّ منهما ما استطاع من الأعوان فانتشرت الفتنة.. ودبّ الذعر بين مخلوقات الغابة.. وقامت الحرب .. وانتشرالقتال ... وسالت الدماء.. وبات خراب الغابة قريبا.

فاجتمع كبار عقلاء الغابة يتداركون الأمر.. فلم يجدوا بدا من تنحية الكلب عن كرسي العرش.. وذهبوا الى عرين الأسد يحملونه على الأكتاف ليعود ويجلس على كرسي عرش الغاية ملكا.. ليخمد الفتنة.. ويعيد الأمان والنظام والإستقرار الى الغابة.. بعد أن تعلمت الغابة أن نجاح وأمان واستقرارالغابة لا يكون إلا في وجود ابن الغابة المناسب في المكان المناسب.

خصام

علا صوت النجوم في خصام يعكّر صفو السماء.. وكانت بينهم نجمة متمردة..لكنها ذكية لمّاحة تراقب دوما كوكب الأرض.. فاستهوى قلبها الأراضي الفلسطينية.. القدس.. تراثها.. الأقصى.. كنيسة القيامة.. جبالها زيتونها.. الساحل الفلسطيني.. برتقالها.. عمقها في صفحات دفتر التاريخ.. الضارب في عمق غور كوكب الأرض.. كعمق البحر الميّت الضارب في قلب كوكبها. ...وتمنّت لو أن تنزل الى الأرض تعيش في جنة أرض كنعان.

ولكنها كانت دوما حزينة.. فعين الشمس تغيب عن أرض كنعان ساعات طويلة.. خصوصا في فصل الشتاء.. فيغشاها الظلام.. ويحتلها البرد.. فيبيت أهلها الطيبون في ظلام دامس.. ويفتك بهم برد قارس....كرهت النجمة النزاع والخصام الدائم مع أخواتها نجمات السماء.. وقرّرت أن تنزل الى أرض فلسطين تنعم بجمالها.. وشهامة ومروءة وكرم أهلها.. ومن ثم تخلّصهم من ظلام الليل الذي يحتل نصف زمن حياتهم.. تضئ لهم الأرض بنورها حين يشتدّ اسوداد حلكة الليل.. فتصبح حياتهم نورا.. لا ظلام فيها.. "فهل يستوي

النور والظلام..؟؟" ثم تعطيهم من دفئها ما يرفع عنهم شرّ برد غياب الشمس.

وما أن وصلت النجمة الى الأرض حتى أقفلت أذنيها.. تكاد الفوضى والضجيج أن يذهب بعقلها.. فخصام الأخوة.. وفرقعات ألغام وقنابل.. وموت .. وصراخ جرحى.. وظلم.. وجوع ممّا جعل الكآبة تحتلها .. فصبرت حتى بدأت الشمس تميل الى المغيب.. ويحتل الظلام أرض كنعان.. فأشعلت مصابيحها.. وزيّنت الأرض ببهاء نورها.. وأعطتها من دفئها ما جعلها تعتقد أنها قدّمت أجمل خدمة لأهل أحبتهم وعشقت جمال أرضهم. وإذا بها تسمع اعتراض.. وثورة احتجاج يصم الآذان.. بعبارات اللوم ونكران الجميل يرجمونها:-

الليل ستّار أيها النجمة.. دون ليل لا تنجح مكيدة أو مؤامرة .. ولا حتى تجسّس.

فجعتها.. قهرتها كلمات تقطر بحقد الأخ على أخيه...فقالت مأخوذة لا تصدّق: أنتم إخوة.

قالوا:الخفافيش أيضا إخوة.

تسلّقت النجمة على خيوط نورها.. وعادت الى السماء تعانق إخوتها النجمات.. وعادت السماء تنعم بحبّها وصفائها..

الحب لا يموت

وقف في العراء منتعشا قلبه.. يأخذ نفسا عميقا ويعلو بالفرحة صوته...وأخيرا تخلّصت من الحبّ... احضنّي يا نسيم الحرية.. أشتاق أن تعيرني جناحيك أطير.. وأجوب الدنيا أرى ما فاتني منذ أن دفنت رأسي في صدر الحبّ أسير.

ولكنه منذ أن عُبَّ أول أنفاس الحرية.. وزفره من رئتيه.. حتى انساحت دمعة صدق من عينيه :- ليتك صبرت حتى تتأكد.. فأنت دون شهيق عبير الحبّ تضمر رئتيك وتموت.

.

عشقت جنونها

صرخات مجنونة تهزّ البيت.. أمسكت بالقلم تقصفه وتلقي به الى سلة القمامة.. هذا القلم عدوّي .. هذا القلم عدوّي.. وهذا الدفتر كلماته ليست خرساء.. إن صوتها بكلام الحبّ والعشق يخرق أذني.. ساعة لحبيبة شقراء.. وأخرى سمراء.. وثالثة بيضاء.. والشعر شلال حرير.. والعيون عربية فيها سواد الليل .. وأخرى زرقاء استعارت لون زرقة البحر.. والصدر ناهد.. والردف جميل.. كلّ هؤلاء يخرجن من دفترك هذا أتعثر بهن في كلّ زاوية من زوايا البيت.. صورهن معكوسة على الجدران يتراقصن عاريات متجاوبات متناغمات مع ضوء فتيلة الشمعة.. يملن حيث مال بضوء الشمعة الهواء.. ولا يحلو لهنّ النوم سوى على فراشي يسرقن منه الطهر والنقاء.

الى سلة المهملات أيها الدفتر .. الى جهنم أيها "اللاب توب" .. وأنت أيها المكتبة الى الجحيم غوري.. تناثرت الكتب في سماء البيت.. وأنّت الحكايات التي على صفحات "اللاب توب" حين أوجعها سقوطها الى الأرض .

أغمضت عيونها الثقافة.. ودخل قلب الأدب حسرة.. سكون يعمّ البيت.. ولا صوت سوى صوت الزوجة.. دمرتم بيتي أيها الأوغاد.. واللهّ ما عاد يسعنا البيت.. إمّا أنا.. أو أنتم.

هال الزوجة منظر زوجها.. يحمل الكتب باحترام قدّيس لكتاب مقدّس.. ينفض عنها الغبار ويعيدها الى مكانها على رفوف المكتبة.. والعين تنقل اعتذارا من القلب الى هذه الكتب رفيقة العمر.. منذ أن تعرّف قلمه على الحرف.. حتى كبر وأصبح يرسم بالكلمات لوحات وصورا.

قطع الرجل صراخ زوجته:- أيتها الحبيبة.. إذا كنت أنت القلب .. فالقلم والدفتر والكتاب الروح.

قالت والحقد يأكلها:- إذاً عليك أن تختار.

قال وفي الصوت دهشة:- أختار بين قلبي وروحي... كلاهما فراقه يقتلني.

إذاً أنت تترك لي الخيار.. لن تكون لي عودة إلا إذا رأيت بأمّ عيني نار جهنم تشتعل في هذا القلم وذلك الدفتر وتلك المكتبة.. وكان ذلك اليوم يوم فراق .. امتد سنوات طويلة..حتى طالت ريشة الزمن تعبث بالشعر.. وتعطيه اللون الأبيض.. وكانت قد اختارت أن تعيش في بيت مقابل بيته تنتظر اليوم الذي تشتعل فيه نار جهنم في قلمه ودفتره ومكتبته.. وما فاتها في يوم أن تقرا كلمة كتبها في كتاب.. أو مجلة.. أو صحيفة..

تعشق كلماته.. كما تعشقه.. الى أن هجم على ذهنها سؤال غفلت عنه طوال سنين.. كان موجه من القلب:-

تغزل زوجي بالشقراء والسمراء والبيضاء.. ودخل في تلافيف عقولهن.. وجمال روحهن.. وحتى في تفاصيل أجسادهن.. ومضت السنون طويلة ولم يتزوج من إحداهن.. ترى هل كنت أعيش عذاب الغيرة.. وهلوسة الوهم..؟

ودار جدل طويل بين العقل والقلب ....مع طلة الصباح.. نهضت لتعيش مع المرآة ساعة زمن.. تحاول قدر استطاعتها أن تخفي ما طبعه الزمن على شعرها ووجهها وقوامها مما لا تحبه النساء.. الى أن اقنعت نفسها أنها أصبحت الأجمل من كل يوم مرّ عليها من أيام عمرها.. ثم أسرعت الى شبّاكها تضع كوعها على حافته .. تسند خدّها على كف يدها وهي في أجمل زينتها.. تستعجل أن يفتح زوجها السابق عشيق الروح الشبّاك.. وما أن فتح الشبّاك حتى ظهر كأنه الشمس أشرق به وجهها.

فقالت تحمل له على بسمة جميلة تحية الصباح:- هل تسمح لي أن أشاركك فنجان قهوة الصباح..؟؟

طارت به الفرحة تعثّر المفاجأة كلماته:- تفضلي.

وذهب من فوره الى المرآة يرتب شعره المبعثر.. ويحلق ذقنه.. ويعطّر نفسه بالعطر الذي كانت تغمر وجهها في صدره تشم رائحة عنقه.

تحدّثت العيون واختصرت الماضي بكلمات عتاب قليلة حين قال :-

أضعت شباب العمر يا الحبيبة.

فقالت تقع في حضنه.. وتمر بكف يدها على شعره:- وها أنا عدت كي أقطف ثمر الحكمة.

رجع الصّدى

وقفت على سور عكا..في العين دمعة.. وفي الصوت بحّة عتاب وذلّ انكسار

يا سور عكا كيف استباحت مدينة عكا عصابة وعاثت فيها الفساد.. وأنت الحارس الذي بطول التاريخ.. واعظم من الزمان.. وفي كل حجر فيك جبروت وصمود "الجزار".. ؟ هزمت نابليون إمبراطور ذلك الزمان وجيشه الجبار.. واليوم تعجز عن قهر عصابة ليس لها في عالم الوجود مكان ولا كيان.. هل كنت في غفلة عمّا يدور حولك.. أم غفت عينك بعد سهر الليالي الطوال..؟

جاءني رجع صدى الماضي.. لا أدري أهو من عمق البحر.. أم من نفس ذاك السور إنما كان في الصوت عمق ماضي السنين والأيام.. صوت فيه رهبة جبار:-

واللّه ما غفت لي عين..ولا قُصُرَ لي باع.. إنما كان ينقصني "الجزّار" ورجاله رجال.

جنون العاصفة

أصـــخيت الســـمع.. لم أصـــدّق أذني.. وقفـــت أمـــام الشـــبّاك .. صـوت عـاصـفـة ينـاديـنـي.. عـاصـــفـة يعـبــث بـهــا جــنّ الأرض.. أم جنّ السـماء لا أدري.. تركـض في شـوارع المدينـة.. لا تأبــه لحــاكـم.. ولا لجنـــود الحــاكـم.. ولا لأهــل المدينــة.. تلــوي أعنــاق الأشـــجار.. وتجتهد أن تقلع بيوت الحجر .. ماؤها طوفان سدٍ انفجــر.. يجــرف أمامــه كــلّ مــن صــادف في طريقــه.. ومــا عــاد ينفــع الحــذر.. فالقانون أصبح في عرفها استهتار ساعة ضجر.

دخل قلبي خوف.. أقفلت الشبّاك.. فعلــت كمــا فعــل القمــر.. كـان يندسّ بين الغيمة والغيمة.. عينه مليئــة بــالخوف والحــذر.. فالعاصفة تجرف النجوم في أزقة السماء فكيف ينجــو منــها القمر؟

هجمت العاصـــفة علــى شـــبّاكي دون إذن.. أو إنـــذار.. أو إشـــارة خطر.. فتحت الشباك قهرا قالت:-

هجرتك.. أطاحت بك حبيبتك عن عرش قلبها .. وتنكــرت لحــبّ قديم كان.. وتجلس اليوم مستسلما .. تنتظر الموت همّاً وحسرة وألما؟ ما طابت الحياة يوما مع حبيب غدر وخان وهجر..هيا معي ندمر الدنيا.. أنا العاصفة.. ما هدأت يوما قبل أن أدمّر مراكــب البحر.. كلما شمخت بانفها أمواجه تدق ناقوس الخطر.

يوم أن كنت نسيما ما أحبتني أنثى.. فالإناث دوما يعشقن ركوب الخطر.

ركضت مع العاصفة بعد أن أخذت من بعض جنونها جنونا.. وآآآآآآه ما أجمل الجنون حين رأيت عيون الحبيبة مليئة بالخوف!!!.. ولسانها قصيدة حبّ..ودموع الندم شلال مطر.. وما نالت الغفران إلا بعد أن أيقنت أنها دوما من عواصف الجنون في خطر.

فاض الكيل أيتها الفتيات

خرجنا من المستشفى نحوقل.. منظر بشع منظر ذلك الشاب .. كلّ ما في جسده يؤلمه.. حتى أن الأمّ كادت لا تتعرف علىولدها.. فالضرب غيّر معالم الوجه.

هو ابن أسرة عريقة ذات تاريخ.. مشهود لها بالخلق الكريم.. والسيرة الحسنة.

قالت الأمّ يقطّع حديثها شهقات دمع غزير.. وصوت تخنقه العبرات:-

اشترك في هذه الجريمة ست شباب.. ثلاثة إخوة.. وابن عمّ وابنة عمّة وابن خال

والحجة أنه وصلهم الخبر اليقين أن ولدي رمى لفتاتهم بعض الكلام الذي لا يليق ببنات العائلات...حاولنا أن نطمئن الأمّ قدر استطاعتنا قبل مغادرتنا المستشفى .. فهي جارة أرملة لا ترى الدنيا إلا من خلال وحيدها.

بعد أسبوع عدنا لزيارة الشاب كما يقتضي الواجب.. وحق الجار على الجار.. فاستقبلنا الشاب بأسلوب ابن الأسرة الراقية عالية الأدب والثقافة والأخلاق.. وكان الشاب خفيف الظل.. مرح الروح وقال:- واللّه يا إخوان احترنا نحن الشباب مع أولئك

الفتيات.. قضيت مع صديقة لي وهي فتاة في مثل عمري آخر سنة من مراحل الدراسة الثانوية.. وسنوات الجامعة كاملة

ونحن نتربع على قمة متعة ورقيّ الصداقة والوفاء.. ولمّا كانت أمّي لحوحة.. لا تكف عن الحديث في أمور الزواج ووصف وصور أشكال البنات التي تصرّ أن تزوجني من إحداهن.. غضضت النظر عن الصور وجميع الأسماء، وفضّلت أن أتزوج من صديقتي هذه التي هي مثال الأخلاق والوفاء.. فسألتها ذات يوم إذا كانت تقبل بي زوجا؟ فكان الجواب بالنفيّ.. وعندما سألتها عن السبب.. قالت بصراحة:

- أنت شاب طيب جدا لدرجة أنك لم تحاول حتى لمس يدي طوال خمس سنوات قضيناها زملاء على كراسي الدراسة .. أوتقدم لي وردة من بستان أشواقك كما يحصل مع الشباب والصبايا الأصدقاء .. أو حتى كلمة حبّ تنام في القلب أسهر معها ليلة حب.. أعتذر يا اخي فأنت لست زوج الأحلام.

كان الجواب صدمة أذهلتني.. إذ أنني كنت أعتقد أن انضباطي وإلتزامي بالأصول والعادات والتقاليد هي الشهادة التي ستجعلها تفضلني على كل من تقدّم لها من العرسان دون منازع.

مضت أيام تلتها شهور .. بل ومرّ أكثر من عام وأنا مضرب عن الحديث في أمور الزواج رغم كل محاولات أمّي .. الى أن

أعجبت بعد مراقبة وسؤال جارتي التي هي سبب بلائي ومصيبتي.. ففكّرت في سرّي.. بأن لا أفوّت هذه الفرصة... لقد أصبحت اليوم على دراية جيدة بأساليب الشباب الذين يرغبهم الفتيات.. فتقدّمت من جارتي وألقيت عليها تحية الصباح.. وسألتها إذا كان بالإمكان أن تسمعني فالقصد خير إن شاء اللّه.. تبسّمت وواصلت دربها دون كلام....سعدت ببسمتها.. وطرت فرحا بها وبدماثة أخلاقها.. وأصبحت على يقين أنني فزت بقلبها.. وأنها لن ترفضني إذا تقدّمت أطلب يدها.

عشت مع أحلام الفرحة فترة أمتدت من الصباح .. حتى فترة انتهاء العمل.. وخرجت مسرعا فرحا من مركز عملي أبشّر أمّي.. وإذا بهؤلاء الشباب الستة يعترضون طريقي.. يوقظونني من غفوتي وحلم عمري.. ثم انهى حديثه مستغربا:

- واللّه أنني تهت بين الشاب الذي كما يقول المثل "مقطّع السمكة وذيلها" وبين الآخر الطيب المتمسّك بالعادات والتقاليد والأصول.. أيّهما يفضلن.. لقد فاض الكيل أيتها الفتيات..

صوت من المجهول

قصر جميل فخم.. يقع على مرتفع.. تحيط به غابة من أشجار الصنوبر على شكل دائرة شاسعة واسعة.. تنام تحت سطحه الشرقي المدينة ممتدة الأطراف واسعة.. ويجاور سفحه الغربي نهر عريض غزير المياه سريع الجريان.

مع طلّة كلّ شروق تمدّ الشمس أول خيوطها تصافح القصر.. فهو أوّل مرتفع تقع عليه عين الشمس في تلك المدينة.. أمّا القمر فهو الذي يفلت يديه من عقارب ساعة الزمن ليقف منبهرا بجمال القصر.. غير مبال بالزمن إذا ركض وخلفه وراءه.

الطريق ترابي ضيّق وعر من طرف غابة الصنوبر حتى صور القصر.

القصر جميل تعشقه العين .. ومخيف تهابه الروح.. وتكتئب منه النفس حين يصبغها الليل بسواد عتمته....يسكنه اثنان فقط.. عجوز قضى عمره بين الكتب يبحث عن الحكمة.. وخادم أمين لم تغفل عينه عن مولاه أبدا.. إلا ساعة أن يلبي له حاجة.. .. أو ساعة أن يذهب الى السوق ليشتري حاجات القصر.. أو ما يحتاج إليه سيّده من كتب ودفاتر وأقلام وحبر.

مات الرجل الحكيم.. واختفى الخادم الأمين..ولما لم يكن لهذا الحكيم من وريث سوى واحد.. عاش مستور الحال من رزق حانوت يبيع فيه كلّ ما تحتاج إليه البيوت من أدوات فخارية .. قرر أن يرتقي ويعيش حياة الحلم.. حياة من يملك مثل هذا القصر العظيم.. والمال الوفير الذي ورثه عن جده.

كان الحفيد نشيطا.. شديد الحماس للإنتقال الى حياة الترف والوجاهة والبذخ بعد حياة عسر قضاها شحيح الرزق.. دخله لا يكاد يكفي بيته.. ودفع غائلة الجوع عن نفسه وزوجته وأطفاله.

قبل أذان الظهر كان قد نقل كل ما يحتاجه من بيته الى القصر الجديد يتوه في إتساعه.. وجمال محتوياته.. وروعة إطلالته على المدينة شرقا.. وعلى جمال النهر ينساب غربا.

وما أن بدأت الشمس تختفي خلف أشجار غابة الصنوبر.. ولا يظهر منها سوى خيوط نور ضعيفة تدخل من خلال فجوات أغصان أشجار الصنوبر.. ثم تعود لتختفي في لون شفق ورديّ أحمر .. ينام على سطح الأفق البعيد حزينا.. حين يبتلع البحر قرص الشمس .. وتتوه في سواد الليل معالم المدينة.

مع دخول عتمة الليل الى غابة الصنوبر.. انفجر فجأة صوت روح تتعذب.. كأنها روح شيطان تكتوي بنار جهنم.. نبحت الكلاب.. وعوت الذئاب وهجرت الطيور أعشاشها وفرّت..واختلطت أصوات الرعب تشعل الرعب في القلوب.. كلٌّ

تائه يركض الى حيث لا يدري .. فالقصر بات جحيم جهنم..
والحفيد المسكين خذله الحلم وبات يركض هو وأسرته في
الطريق الوعر يتعثّر.

كانت الأصوات عالية تصمّ الآذان.. أدخلت الرعب في قلوب
الجيران.. جاف النوم عيونهم.. وشوّش عقولهم.. وأشقى
أرواحهم.. فالليل أصبح كابوسا يدخل القلب مع ساعة
الغروب.. والعيون ما زالت مفتوحة يقظة.. كلّ يقفل باب بيته
على نفسه.. منذ ساعة الغروب حتى طلة الصباح.. وصوت
عذاب هذه الروح رعب لا يكنّ ولا يهدأ.. الى أن وصل الأمر
بكثير من الجيران القريبين من القصر الى هجر بيوتهم.. والفرار
خوفا من نار جهنم التي توقد حطبها منذ ساعة الغروب
حتى طلّة الفجر.. تعذب أرواحا شقية.. مما اضطر الحفيد أن
يعرض القصر بأبخس الأثمان.

ولكن مَن هذا الذي يجرؤ أن يعيش مع نار جهنم وروح تتعذب..
أعرض الناس عن شراء القصر.. إلا رجل واحد كان يحفظ
القرآن ويعرف كيف يتعامل مع الجان.. اشتراه فرحا بثمن
بخس..واثقا أنه بعلمه يستطيع ان يطرد الجان وينعم بالقصر..
إلا أنه وفي نفس الليلة التي دخل فيها القصر.. فرّ بروحه
تاركا كتبه وكل ما أوتي من علم السحر ينجو بنفسه من
رهبة تلك الأصوات..

الى أن بات القصر معروفا بإسم القصر المسكون.. لا يفكر
أحد بشرائه.. أو السكن بالقرب منه.. الى أن سمع بالقصة

رجل قوي مؤمن.. شديد الثقة بالنفس.. لا يؤمن بالأشباح ولا بالأرواح.. ويعتبر الأمر لا يزيد عن خرافات وخزعبلات وتهيؤات.. فاشتراه من الرجل الساحر العالم أيضا بثمن بخس.

دارت الشمس دورتها وغشت المدينة شفافية الغروب..ثم عادت شدة عتمة الليل تحتل الكون.. وبدأت أصوات الرعب كالعادة تنتشر في الأجواءالمحيطة بالقصر.. يزيدها رعبا صدى رجع الصدى في غابة الصنوبر.. لم يدخل قلب الرجل خوف.. أو تحدّثه النفس بانسحاب أو تراجع.. وإنما أخذ يصغي السمع يقظا يتبع الصوت حتى عرف مصدره.. غرفة صغيرة في طرف زاوية القصرالجنوبية.. كان قد اتخذها الحكيم صاحب القصر مخزنا يضع فيها كل ما يستغني عنه من حاجيّات.

حاول الرجل أن يفتح الباب.. فوجده مقفلا.. طرق عليه عدة طرقات.. وطلب ممن في الداخل أن يفتح الباب.. لكنه لم يتلق سوى زيادة من صراخ أصوات العذاب..ومع ذلك فلم يدخل قلبه خوف.. أو ميل للتراجع.. بل زاد إيمانا وشغفا في اكتشاف المجهول.. فالرجل رابط الجأش قوي القلب والبدن.. دفع الباب بقوة.. إذا به يفاجأ بالخادم الأمين للرجل الحكيم في زاوية الغرفة.. فعلا صوته.. أنت..؟

سأقدمك لأهل الحيّ يجمعون حطبا ويوقدون نارا .. يعذبون بها روحك.. كما عذبت أرواحهم.

قال الخادم برباطة جأش مظلوم له حق:

- قبل أن تسمعني أيها الرجل الشجاع..؟؟

خفض الرجل صوته وتراجع قليلا .. يرى أن من حق الخادم أن يدافع عن نفسه.

– يا سيدي قضيت خمسين عاما في خدمة الرجل الذي أقسم لك أنني لا أعرف حتى اليوم إذا كان حكيما عاقلا.. أم مخبولا مجنونا.. تعرفت مدة هذه العشرة الطويلة مع هذا الرجل على جميع متناقضات الحياة .. تعرّفت على جميع عذابات الدنيا والآخرة.. وهذه الآهات والصرخات التي كنت تسمعها ليست سوى من وحيّ شقاء حياتي مع هذا الرجل.

عاش معنا حفيده الوحيد عدة أيام فقط.. وكان لا يملك ثمن رغيف الخبز.. لكنه فرّ من القصر.. ينجو بنفسه.. وفضّل الجوع على الحياة مع جده.. حين طلب منه ان يقرأ كتاباعدد صفحاته **1200** صفحة في مدة يومين اثنين..ويلخصه في صفحات قليلة.. كان يمنع عنه الطعام لمدة ثلاثة أيام.. بحجة أنه يجب ان تكون عنده مناعة وإرادة ضدّ الجوع فيما لو قست عليه الدنيا فلا يمدّ يده ذليلا لأحد.. وكان احيانا يأمرني أن أقدم له سخلا صغيرا يصرّ عليه ان يأكله.. خوفا من أن تخونه نفسه يوم ضائقة وتشتهي نفسه الطعام.

كان له عشيقة يضربها حتى يُغشى عليها.. وعندما كانت تهجره.. كان يُبكيه الندم بكاء مرا.. ويتوسل اليها توسل

الذليل المهان حتى ترجع إليه.. كان يشتري لها الذهب بآلاف الدنانير ساعة رضى.. ويعود فيسترده ساعة غضب.

عندما كان يعاوده الحنين إليها .. كان يرسلني إليها.. والويل لي إذاعدت بدونها

كان يسلخ جلدي بضربات كرباجه دون رحمة.. ويعيدني إليها فأذهب متوسلا أكشف لها عن أوجاع جسدي.. فتلين أحيانا.. وترفض أحيانا حين يتملكها الخوف من ثورة غضب مجنونة تكون فيها الضحيّة.

كان أحيانا في ساعة غضب يجلدني ويطردني.. فتثور عليّ كرامتي.. وأعزم أن لا اعود إليه.. ولكنه بعد ساعات كان يعود اليّ متوسلا توسل العبد الى السيد.. فتلح عليّ العشرة بالعودة.. وتحذرني نفسي من ساعة جنون قد تكلفني حياتي.. لكن وبعد حوار مع النفس تتحالف العشرة مع العاطفة وأعود الى القصر طائعا

مسلوب الإرادة.. وكأننا التوأم الذي خلقنا اللهّ حتى لا ننفصل عن بعضنا.

يمسح الخادم دمعة.. عشت سيدي خمسين عاما مع هذه العذابات.. أبَعدَ كل هذا هل تجد من هو أحق مني أن يكمل ما تبقى له من عمر في هذا القصر مع ذكريات رجل عجيب الأفعال.. غريب الأطوار لا أعرف حتى هذا اليوم إذا كنت أحبه.. أم أكرهه..؟؟ ولكنني اشعر أنني سأموت لو ابتعدت عن هذا

القصر.. فحياتي بعد هذا العمر الطويل التي قضيتها معه..
أصبحت مربوطة بكل ما يحتويه .. حتى حجارته..

عاشقة القبطان

علـى صـخرة عنـد حافـة ضـفة النـهر.. عـادت لـتجلس الى جوارحبيبها الصيّاد.. وحروف التوبة مغموسة بـدموع النـدم.. تطرق باب قلبه.. ولكن هيهات لقلب مخدوع أن يغفر.

كان قد خطف قلبها منظر القبطـان والمركـب.. حـين توقـف المركب عند حافة ضفة النهر .. فانطلقت مبهورة تتحدّث مع القبطان.. أمسكت بيده تصعد الى سطح المركب.. ثم اتجهـت ناحيـة حافـة المركـب تلـوّح لحبيبـها الصـيّاد بيـدها .. ويعلـو صوتها بكلمات الوداع التي كانت تسقط في مـاء النـهر دون أن تدري.. مأخوذة بمنظر القبطان وضخامة المركب:-

انتظرني .. هي ساعة زمن أجوب بها النـهر علـى هـذا المركـب وأعود لـك حبـيبي ..ولكـن النـهر كـان طـويلا.. والرّسـوّ علـى ضفاف النهر كان كثيرا.

ثم اقتربت منه أكثر توسع لنفسها وتأخذ من الصخرة مكانـا أوسع.. تحضنه وتطوّق عنقه بدلال:-

أقسم لك حبيبي أنني كنت ضحية لطول النـهر .. وقبطـان كاذب.. قال هي ساعة من الزمن وتعودين الى الصيّاد حبيبك.. هي جولة في النهر ليس أكثر فهل لهذا الخطـأ غـير المقصـود من غفران؟.. أرجوك اصفح ولا تتكدّر.

كانت فترة الغياب طويلة.. أشرقت الشمس عليهما وهما في طريقهما الى النهر..

وها هي تغطس في الطرف البعيد الآخر من النهر.وكان قلب الصيّاد قد اشتاق .. فانطلقت كلمات الشوق مغموسة بالغفران والسماح.

وبينما كان الحبيبان يتبادلان كلمات حبّ محموم حروفه من نار.. تزيدها القبل اشتعالا.. إذا بصفير المركب يدوّي .. وينتشر في أجواء المكان.. وحديث الحبّ المغموس بنار الحبّ يصمت.. وتُفلتُ الحبيبة شفتيها من بين شفتيّ الحبيب.. وعيناها الوالهتان بعيون الحبيب تهرب تجاه النهر والمركب.. نهض الصياد يحمل سلّة رزق يومه من الأسماك:-

ما عدت بحاجة الى جسد دون قلب وروح.. توقف المركب.. وها هو القبطان يلوح لك بيده.. هيا اذهبي إليه لتعيشي فضلة الزمن من حياة قبطان.. تنتظره على رصيف كل ميناء عشيقة..

.

الخيار الصعب

كان لليل زغرودة رعدٌ.. وللبرق نارُ جهنم.. وللعاصفة ثورةُ براكينٌ.. وللمطر طوفان جبّارين.. حين جرف الطوفان البيت بين طيّات أمواجه مع صاحبيه العجوزين.. ساعة أن عجزت أرجلهما عن حملهما الصعود الى سطح الغرفة التي عجز الطوفان عن جرفها.. ولم يُبق من أهل البيت سوى ابنتهما.. فتاة في عمر الورد اعتلت سطح الغرفة.. وعلا صوتها تستغيث .. وكلما علا صراخها ابتلعه صوت الرعد .. أو أحرقه البرق.. وحملته العاصفة بعيدا عن أهل الشهامة والمروءة من أهل الحيّ...الجميع جزع وخاف أن يصعد الى السطح .. إلا ذلك الشاب الشهم الفقير ابن الحيّ.. جازف بروحه.. رمى لها حبلا.. وطلب منها أن تربطه بزاوية حديدية ثابتة على حافة سور السطح وصعد إليها.. ثم نزل بها سالمة.. بين هتاف أهل الحيّ.. وتمجيد مروءته وشهامته.

أفرغت الغيمات السوداء جبال حقدها أنهارا.. وشهقت عين الشمس حين طلّت بعينها.. فالأرض التي فارقتها ساعة الغروب.. ليست هي نفس الأرض التي تستقبلها مع طلّة شروق هذا اليوم.. السماء خالية من أوراق الأشجار العالية.. وصوت العصفور حزين يقف على غصن شجرة تعبث بها

الـــريح علـــى الأرض جاثمـــة.. والبيـــت الجميـــل أطـــلال.. وأرض البسـاتين مسـتنقع ماء آسـنة.

تلفتــت الفتــاة حولهــا.. حيــث لم يبــق منــها ســوى أطــلال ذكريات.. وشـموخ عزة نفس وكرامة.. حين فتح لهـا أهـل الحـيّ بيوتهم فرفضـت.. وأبـت أن تعـيش إلا فيمـا تبقـى لهـا مـن البيت.. وطلبت من كل جار أن يعيد ما تحمل يده من عطاء الى جيبه.

تقدم لخطبتـها جـاران عـن طريـق المختـار وكبـار أهـل الحـيّ.. أحدهما الفقير الذي أنقذها.. تقـدّم لهـا ومهـره لا يزيـد عـن محبـة صـادقة.. ووعـد بحيـاة هنيئـة رغـدة.. مليئـة بالحـب والسعادة.

أما الآخر فكان غنيا فتح لها جيبه.. وكانت قـد أغرتهـا ألـوان أوراق النقد التي كانت تطل من طرف جيبه فارتضت به زوجا.

مرت الأيام وقد طغـى سـوء خلقـه وقسـوته وغلظتـه علـى جميع ألوان الأوراق النقدية.. والأحلام الوردية.. والحيـاة الجميلـة الرغدة التي كانت لها أمنيّة.. وافترقت عنه لتعـود تعـيش في بقايا ما أبقى لها الطوفان من بيتها.

وتمر الأيام أكثر والندم يأكلها.. والقلب يسأل عن جارها الفقـير الشهم الذي افتداها بروحه سـاعة الخطـر.. فـأوعز لهـا حـبّ قلبها أن تكسـر حـاجزا يمنـع التواصـل بينـهما فمـا عـاد في صفحة عينيهما مكان للكلام أكثر.

مع انتصاف الليل صعدت الى سطح الغرفة.. وعلا صوتها تستغيث.. حرامي.. حرامي..فتح الجيران أبوابها يسألون.. وحيث أنها كانت تثق أن هذا الشاب والبيت الذي تربّى فيه هو أكثر بيوت الحيّ شهامة ومروءة وكرامة.. وقد تأكد صدق حَدَسها.. حين أقدم الشاب مندفعا لحمايتها.. وتقدّم والده يطلب من الفتاة أن تدخل في حمايته.. وتسكن في بيته الى أن يصلح لها باب بيتها ويجعله أكثر أمنا فأطاعت.. ولكنها كانت أكثر فطنة وذكاء حين أن دخلت البيت ولم تخرج منه أبدا.

ارجموها

رجل كريم .. أنعم اللّه عليه بالمال الوفير.. عمل معه منذ أن احترف العمل التجاري .. وأصبح له حانوت رجل أمين.. حين كان للفقر جذور عطشى في جيب صاحب الحانوت.. تمتصّ كل قطعة نقد تدخل فيه .. عاش هذا الرجل مع صاحب الحانوت على الحلوة والمرّة وصبر معه صبر الصابرين.. إذا يسّر اللّه لصاحب العمل أُكُل الرجل وشبع.. وإذا أعسرت عاش الجوع والفلس.. دون شكوى من ضيق.. أو تذمّر وألم.

كان لصاحب العمل ولد أنهى دراسته الثانوية.. وكان لذلك الرجل الأمين ولد في مثل عمر ولد صاحب العمل .. وقد أنهى دراسته الثانوية أيضا.. فتبرع صاحب العمل أن ينهض بتكاليف الدراسة الجامعية له جزاء خدمات أبيه وأمانته.. وطمعا على أن يقوم ولد الرجل الأمين على خدمة ولد صاحب العمل أثناء الغربة والدراسة الجامعية..حيث أنه يعيش في قرية بعيدة عن العاصمة.

غادر الشابان القرية وسافرا الى العاصمة يلتحقان بالجامعة.. إلا أن الأخبار بعد مدة.. وصلت الى الرجل أن لهو الدنيا أخذت ولده وأدخلته دائرة إغواءاتها وإغراءاتها فقرر أن يقطع التمويل عنهما.

ضاق الحال بالتلميذين .. فلا مال ولا طعام ولا شراب.. أو مصاريف جامعية.. فانفطر قلب فتاة صغيرة السّن.. جميلة الشكل..حذقة اللسان حسرة وشفقة عليهما فهما اللذان كانا العطف والحنان.. والكرم الذي يصل حدّ الخيال.. مقابل الخدمة.. وعطاء الجسد.

الى أن جاءت ليلة أشتدّ فيها الجوع على الثلاثة.. فاستأذنت ألفتاة أن تخرج لتغيب عنهما ساعة زمن.. .. وفعلا عادت بعد ساعة من الزمن.. وفي أذيالها الخير الوفير.. طعام ومال.

واستمر الحال مع الثلاثة هكذا.. في كل ليلة تغيب ساعة زمن.. وتعود بالمال والطعام.. وكان لفيض كرمها تأثير.. حيث أن كلا الشابين وعداها بالزواج أثناء غياب واحد منهما.

الى أن أنهى الشابين دراستهماالجامعية .. وعادا الى قريتهما.. وكان الوداع مشروطا بعودة لا يفترقوا بعدها أبدا.. وأنهما لن ينسيا لها هذا المعروف أبد الدهر.

بعد ان غادر الشابين المدينة.. ارتدت الفتاة الى سلوك الفضيلة ..والحياة الكريمة القويمة.. وكانت التوبة نصوحة.. وما عادت تأكل إلا من عرق جبينها.

بعد عام من الزمن .. عادت الفتاة الى قريتها.. وإذا بسمعتها السيئة تسبقها منتشرة في القرية.. وأن سيرتها جاءت على لسان إمام الجامع ..وأن الرجم بات بانتظارها فارتدت ولم تجد

لها طريقا أسلم من أن تذهب الى قرية الشابين اللذين كانت في خدمتهما.. وسبب زلّتها.

ذهبت الى القرية .. واهتدت الى عنوان الشاب الغني.. فأزعجته المفاجأة .. ولم يسره اللقاء.

حدّثته عن التوبة النصوح.. والعودة الى طريق الفضيلة.. وانها تعمل وتأكل وتشرب من عرق جبينها.. وأن الحال معها صعب.. وسألته الستر وزواج الحلال كما وعدها.. حيث أنه كان هو وزميله سبب انحرافها.. فاستاء وأزعجه الطلب..

وأفهمها أنه لن يتزوج من مومس ساقطة.. ومدّ يده في جيبه وأخرج حفنة من المال ودسّها في صدرها يُسدي إليها بنصيحة:-

--- عودي الى قريتك.

فأفهمته أن العودة مستحيلة.. لأن الرجم في انتظارها.. ثم أعادت إليه المال مبلّلا بدموع قهر نزفت حتى وصلت عمق صدرها.

ابتعدت وسوء الحال يُعثّر خطواتها تسأل عن عنوان الشاب الآخر..الى أن اهتدت الى عنوانه .. وكان قد تبوأ مركزا ذا شأن في دائرة البريد.. سألت عنه فطلب منها أحد الأذنة أن تنتظر بعض الوقت.. إنه يُؤدي صلاة الظهر جماعة مع بعض زملائه.

وما أن أنهى الشاب صلاته.. وأخبره الآذن أن هناك فتاة تنتظره في مكتبه.. حتى ذهب إليها تأخذه المفاجأة .. فاستقبلها بالترحاب.. يرتسم على وجهه فرحة شوق ومحبة.

قالت منشرحة الصدر فرحة:-

تقبّل اللّه سيدي .. وأنا تُبت أيضا وارجعت الى اللّه ربي.

قال: وأنا ما زلت أستغفر وأطلب رحمة ربي.

أمر بإحضار شراب لها .. وعادت به الذاكرة الى أيام جميلة .. لم يخلُ بعضها من مرارة وصعوبة.. وأنه ما زال يعترف بالجميل يطوق عنقه.. وأنه بدون كرمها وعطائها ما كان اليوم يهذا المركز.. أما هي فتحدّثت عمّا صادفها في حياتها بعد أن فارقاها.. وأنها جاءت تُذكّر بوعد قطعه على نفسه.. أو أنها تعود للقرية لتجد الرجم في إنتظارها.

فأمسك بيدها يصطحبها الى بيته عروسا يّحبها ويحترمها يّردد "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان".. اليوم أعود الى ربي وقد قبل توبتي.

طلّقني الفيس بوك

كان لنظراته كلما التقت العين بالعين .. لمعة برق تُكهرب جسدي.. وتلعثم لساني.. وتُعثّر خطواتي. وكان لكلماته صدى أُغنيات كنت أرسمها على وسادة أحلامي.

وكان لوردة يرمي بها من شُبّاكه الى شبّاكي.. عطر البساتين ولون الفراشات والعصافير.

رضيت به زوجا مُقتنعة بالنظرة والكلمة والوردة.. وعشت معه أجمل أيام حياتي.. الى أن تعرّفت على "الفيس بوك".. وبدأت أقرأ وأُراسل وأكتب عن الحياة والحب مثل الآخرين.. وإذا بعين زوجي التي كانت نظرة منه تخلّ بتوازني.. وتزلزل كياني.. أراها عينا باهتة.. لا حياة.. ولا مفعول.. ولا حتى حرف حبّ مرسوم على صفحتها.. فأهملتها وما عُدتُ أشتاق إليها.. وعشقت العيون المرسومة على صفحات "الفيس بوك".. فسبحان مَن لونها.. ورسم جمال الحب والعشق على صفحتها.

قرأت قصائد الشعراء.. وكلام الأدباء.. وإذا بقصائد زوجي أحرف صف أول إبتدائي فأهملتها.. وبدأت أهتم بقصائد فطاحل الشعراء.

رأيت جنات البساتين على صفحة "الفيس بوك".. فإذا بوردة زوجي باهتة.. لا عطر .. ولا منظر يأخذ بلُبّي ويُنعش حياتي.. أهملتها وأصبحت صفحات "الفيس بوك" بساتين حياتي.

شعر زوجي بالإهمال.. وعشقي "للفيس بوك" عشقا يفوق الخيال.. فثارت عليه رجولته حين شعر أن رجل البيت هو "الفيس بوك".. فالسيطرة له.. والكلمة كلمته.. والأمر والنهيّ له.. وأنني أصبحت لا أُعطيه من الوقت سوى الفائض الذي لا يُعنيني من صفحاته.

وكان لزوجي في ذلك اليوم ثورة.. حين طلب مني أن أجهّز له طعام العشاء.. فاستمهلتُه حتى أسمع قصيدة شاعر.. وكنت قد نسيت قول اللّه تعالى" والشعراء يتبعهم الغاوون".. فأخذ بيدي يُلقي بي خارج البيت .. وأتبع بي الكمبيوتر:

--- – طالق أنت .. تزوجيه .. علّك تعيشين معه حياة أفضل من الحياة التي كنت تعيشين فيها معي.

وكانت النهاية

رقصت صغيرة.. وكانت تُحسن الرقص بحركات التناغم مع نقرات الطبلة أكثرما تحسن نُطق الكلمات.. فرح بها الأب والأمّ... وصفّقت لها الجارات..

وكان لها عين ناقدة.. وحضور على شاشة التلفاز.. تُقلّد أصعب حركات الراقصات.. وكلما أتقنت حركات الراقصات المحترفات بكفاءة .. زاد بها الإعجاب أكثر.. وخوفا من الحسد كانت أمها تُرقيها.. وتقرأ لها سورة قل أعوذ برب الفلق وجميع الآيات التي تُبعد شرّ العيون الحاسدات.

الى أن كبرت البنيّة جميلة.. لها جسد الفاتنات.. وأصبح الغرور أطول من قامتها والحجم أكبر.. لمحتها عين تاجر اللحم الأبيض بالمال أغراها.. وبالذهب الأصفر أغواها.. فأصبحت سيدة صالات الرقص.. وحفلات كبار القوم.. ملوكا وأمراء ووزراء.. كانت في قصورهم ترقص.. وتنعم وبالعزّ والثراء .

غنّت.. تأوهت.. غرّدت بنغم الشهوة الآلآلآلآلآلآلآهات.. فأوجعت القلوب وأطربت حتى الثمالة أهل الثراء....تعرّت.. كشفت من الجسد ما أشرقت له عيون الزناة.. وركبت الفاحشة حصانا.. وفي ميادين كلّ ما يُغضب اللهّ أبدعت..

جمعت المال قناطير.. حتى أصبح أكبر مما تعلمنا من جداول الضرب..ودفاتر الحساب حجما وعدّا بكثير.

الى أن جاء يوم حذّرتها فيه مرآتها من سواد حول العين.. وبداية تجاعيد بدأت تظهر على الوجه والعنق.. والصدر الذي كان يرمح عليه الخيّال فاستاءت.. وأرخت أذنها للغرور فانتعشت.. ونظرت للمرآة شذرا وقذفتها بالشتائم واللعنات..ورمت بها الى الأرض وكأن الحقيقة تموت إذا أصبحت أجزاء وفتاتا.. الى أن صعدت ذات ليلة الى خشبة المسرح.. ثقيلة الحركة.. بطيئة الخطوات.. خجلة أن تكشف عن ساقيها.. وقد بدا عليهما ترهل وبعض التجعدات.. فانقلب عليها الصوت الذي كان يمدح جمالها بأجمل الكلمات.. الى صوت بشع يشتم ويلعن بأقذع الكلمات.. وطالت يد الذين كانوا عشّاقا لجمالها.. فرموها بالبيض عجوزا شمطاء.. بينما استمر الذهول يسمّرها على خشبة المسرح دون دمعة أوكلمة حتى من ضربة وجع تشتكي منها.. أو تقول آآآآآآآآآة.

الى أن أتت يد رحيمة رمت على جسدها شبه العاري عباءة..ونزلت بها عن خشبة المسرح.. تحميها من الرجم بالبيض.. وبشع الشتائم واللعنات.

حجاب بقلم الشيطان

هو عش العصافير.. لكن الحب كان فيه.. هديل الحمام وعشقها الجميل.. قبل كلّ كلمة قُبلة.. وبين كل قُبلة وقُبلة قُبلة.. دفء الحب والحنان يملأ البيت.. والثقة بين الزوجين أساس متين.. وحرارة العشق تُذيب كلّ خلاف مهما كان عصيب.

غفت عين الرجل.. وكالعادة كانت عين الزوجة مفتوحة.. تعشق النظر الى وجه زوجها.. كما تعشق الأمّ النظر الى طفلها ساعة راحة وهدوء ونوم عميق.

دخل الأمان والإطمئنان قلب الزوجة.. وأغمضت عينيها تستقبل النوم.. إلا أن صوت حلم الزوج علا غاضبا:-

"رحاب" ساتزوجك زواجا عرفيا.. فليس من حل آخر.. أو أن كلّا منا يذهب في طريق.

جلست الزوجة على السرير.. تهجم على زوجها تهزّه مجنونة :-

استيقظ الرجل يقف على سريره فزعا يدور حول نفسه يسأل عن حدث عظيم جعل زوجته توقظه بمثل هذا الجنون؟

قالت والصوت بركان ينفجر من عمق صدرها:-

من هذه "رحاب"؟ وأيّ جريمة ارتكبتها في حقها.. جعلك تعرض عليها الزواج عرفيا؟

قال مذهولا يكاد يهرب منه عقله:-

وحّدي اللّه يا زوجة.. واللّه ما ارتكبت خطأ يُغضب اللّه.. أو يجعلك تغضبين.. "رحاب هذه فتاة زميلة لي في العمل.. فيها من الإيمان والتقوى ما يحميها من أيّ خطأ أو ذلل.

قالت وما زال الحلم في أذنها يُزلزلها:- سمعتك بأذني.

قال بصوت المظلوم يحاول أن يُهدئ ثورتها:- أضغاث أحلام حبيبتي.

قالت وما زالت الغضب في لهجتها ثورة:- أضغاث الأحلام لا تكون إلا وليدة ما يشغل الفكر والبال بإلحاح وإصرار.

علا صراخهما ودبّ الخلاف بينهما.. وكان للحلم على الزوجة تأثير كبير نزع الثقة.. وحلّ محلها شك كبير.. يطلّ واضحا من عين الزوجة.. ويقف على صحن الأذن واشٍ ينقل كلّ كلمة يقولها الزوج تجسسا على التلفون .. أو سؤال أصدقاء زوجها عن تحركاته.. وسماع كلّ كلمة بدرت من على لسانه.. بينما كان الحبّ في عمق صدرها أكثر تطرفا واندفاعا.. كان يُحرضها على أن تقوم بزيارات مفاجئة الى مكان عمل زوجها.. ولم تنس أبدا أن تقوم بعمليات مسح نظري شامل لكلّ

عضو من أعضاء جسد زميلته"رحاب".. مما جعل رحاب تسأل زميلها عن سرّ النظرات الغريبة التي ترميها بها زوجته.

الى أن تطور الأمر أكثر وبات حساب الزوجة مع زوجها عند عودته الى البيت عسيرا.. بالثانية والدقيقة.. والويل له إذا صدف وأن تأخر.. فكان عليه أن يُقسم الأيمان الغلاظ أنه كان في مكان آمن .. بعيدا عن موعد كان فيه مع زميلته "رحاب".. هذا بالإضافة الى الإستعانة بنظارة تكبير تمر بها على ثياب زوجها.. علها تجد شعرة نسائية غريبة تركت سهوا على ثيابه.. أو طبعة قلم أحمر شفاه تؤكد الشبهة.

ضاقت الدنيا بالرجل.. كره التحقيق اليومي الذي يقف فيه أمام زوجته متهما الى أن تثبت براءته.. كره نظرات الشك في عينيها.. والقسوة في كلامها.. الى أن دسّ يده ذات ليلة تحت وسادته.. لتخرج بحجاب.. ليكون هذا الحجاب القشة التي قصمت ظهر البعير.. فأمسك بيدها وذهب بها الى المأذون ليسلمها باليد ورقة طلاقها.. لكنها رفضتها بشدة تُقسم أنها مظلومة.. وأن حبّها هو الذي أخذها الى السحرة لتتحالف مع الشيطان.. أملا أن تُزيل الشك وتُعيد الثقة..

وتجدّد بناء عشها من جديد.

لا تلوموا الذئب

وقفت أمام المرآة تسأل.. ملّت المرآة من التكرار.. أقسمت لها أنها جميلة.. كشفت الفتاة عن جسدها...تعرت كما تتعرى الوردة الجميلة من شوكها.. تدخل الأمان الى قلب محبوبها.. تقسم أنها من غدر حواء بريئة.. ووقفت أمامه تطل من الشباك .. اللسان عاجز عن الكلام والبسمة جريئة. بالإشارة تواعدا.. واغراها إن في بيته المهجور عند الغابة لها هدايا جميلة طمعت به فالشاب جميل.. والكلام عذب.. والوعد زواج على سنة اللّه ورسوله.. وانه ستكون لها معه حياة جميلة. كان حديثه معها أثناء الطريق تغريد ينساب من منقار عصفور.. أو ذكر حمام عاشق مجنون.. إذا بالدنيا بستان.. وموسقى تعزف أجمل الألحان. وصلا الى البيت المهجور.. وما أن فتح الباب حتى قال لها ادخلي بقدمك اليمين.. وبسمل حتى يطرد الشياطين.. أقفل الباب خلفه.. فجأة تحول منقار العصفور الى ناب ذئب.. وتغريد العصفور الى عواء جوع واشتهاء المغتصبين الضالين.. ومنظر الشاب

وحش كشّر عن الناب.. وشهر المخلب.. وباتت الفتاة المسكينة الحمل الوديع. صرخت تستغيث.. ردّ عليها صدى الغابة .. قصة ليلى والذئب كانت قصة لتسلية الصغار.. فباتت اليوم حكمة وعظة للكبار.

البنت المهيوبه

يويا.. يويا.. يويا

هالبنت المهيوبه

عيونها عيون المها

حلوة ومغروره

قدّمت منها خطوتين

وأجت العين بالعين

قلت إلها كلمتين

احمرّت الوجنتين

اللهم صلي على النبي الزين

بيضه وطويله.. والعين مكحوله

قالت:- إن كان القصد زين

أبويّ الشيخ صدّام.. في الديوان

أنا في الإنتظار.. واللهّ يحقق المُرام

أخذت الجاهة.. ورحت على العنوان

وكان الشيخ صدّام في الديوان

علا صوته:- يا غلام

صب القهوة للرجال

وبقيت القهوة في الفنجان

قلت:- يا شيخ.. القهوة قبل إجابة الطلب.. ما تنشرب

جايين طالبين القرب من بنت الحسب والنسب

قال الشيخ:-وضحة بنت مزيونه.. زينة بنات القبيلة

مهرها غالي ألف ناقة.. وعبيد.. والذهب قناطير

* **

دقّيت على صدري

أنا شاري..والمهر رخيص.. ما هوغالي

وفوق الألف .. مني ألف

دايما الحلو غالي

طلبت مده شهرين.. وقرينا الفاتحة

وصلينا على النبي الزين

في الميعاد.. عُدت ومعي المهر

نوق.. وعبيد.. وذهب.. ورجال

مهر يليق بالعروس والمهرجان

لكن قابلني الشيخ صدّام محرج وخجلان وقال:-

حسب العرف والعادات

ابن عمها.. أحق وأولى..

قلت:لكن وعد الحر دين..

قال: - أنا ما أخطيت.. وعلى عوايد العرب ما تعدّيت-

ابن العم.. بنزّل بنت عمه عن ظهر الحصان

فاعذرني يا ابن الكرام.

* * *

وما كان أمامي خيار

وكان الشوق في القلب نار

أقسمت أن لا أعود

إلا ووضحة أمامي على ظهر الحصان

غزيت.. وبالقسم برّيت ووفيت

وأصبحت وضحة حلالي

وعـرفـت الـعـرب مـركـزي وقـيـمـتـي ومـقـامـي

وياااااه.. يااااااااااه.. يا الحـب

كـم إنـتِ عـزيز وغـالي..